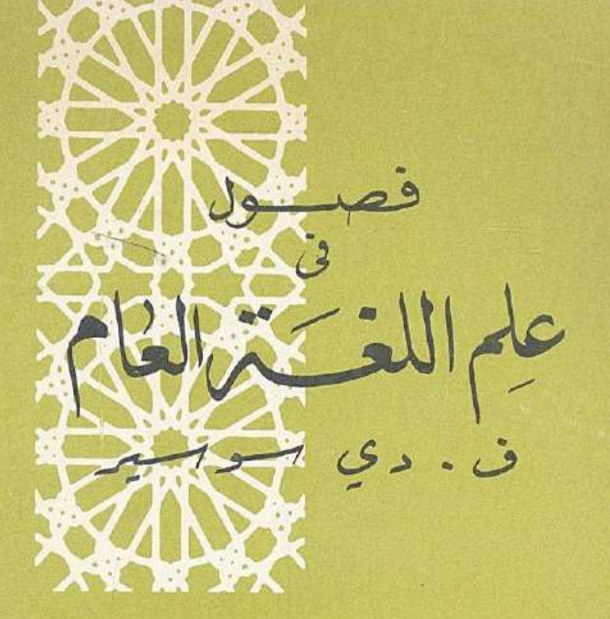


فصول في علم اللغة العام

ف . دي سوسير

نقله الى العربية

دكتور

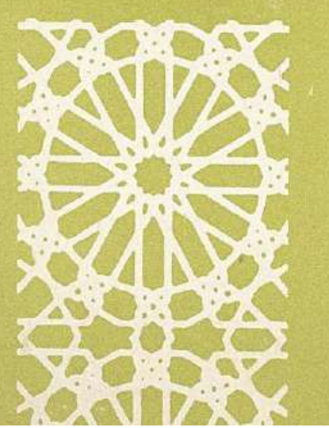
أحمد نعيم الكراعين

أستاذ الدراسات اللغوية المساعد

جامعة بيرزيت

رئيس وحدة اللغة العربية (حاليا)

مركز اللغات - جامعة صنعاء



١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير الازاريطة - اسكندرية

فصول في علم اللغة العام

لعالم اللغة السويسري

فرديناند دي سوسير

ترجمه من الفرنسية إلى الإنجليزية

واد باسكين

ترجمه إلى العربية

الدكتور أحمد نعيم الكراعين

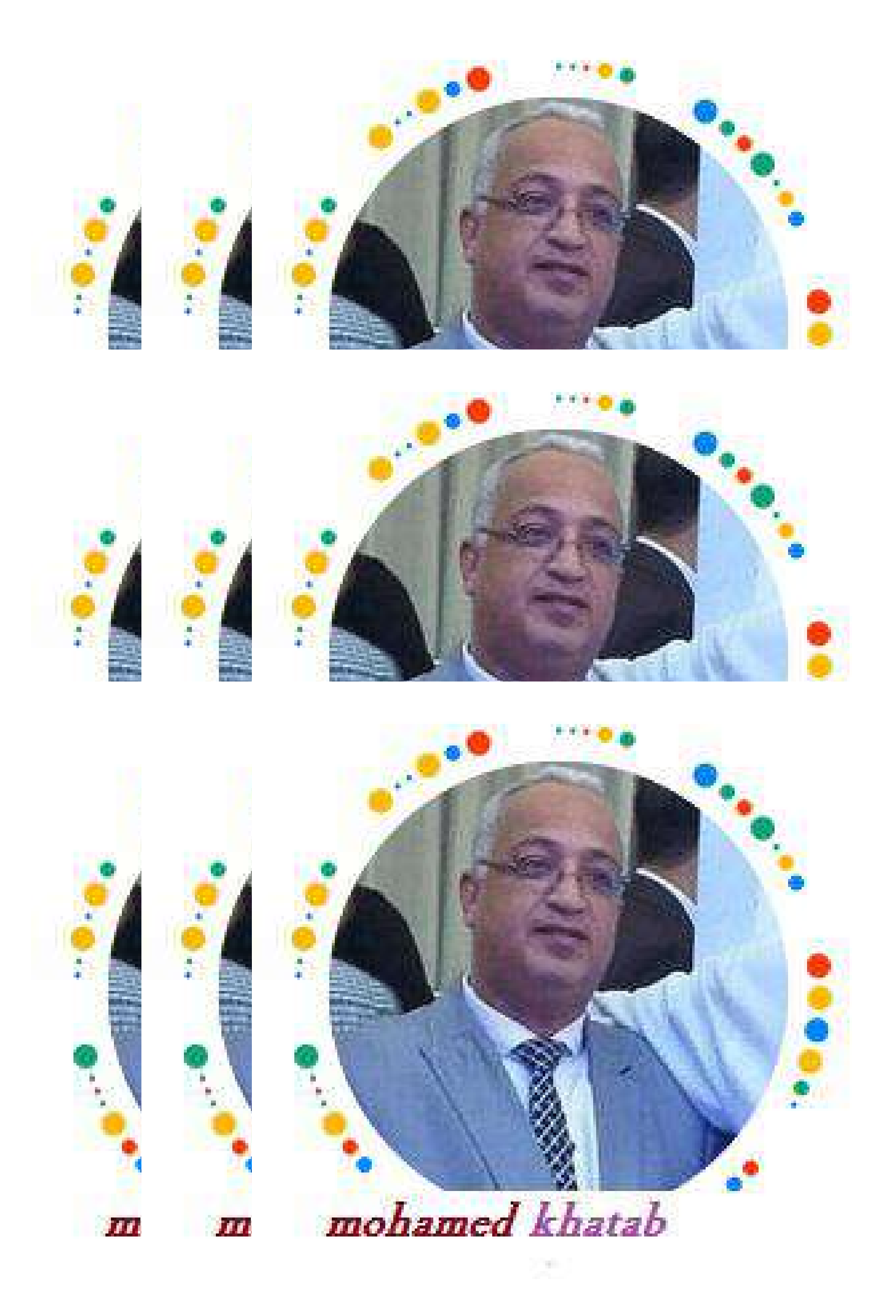
أستاذ الدراسات اللغوية المساعد - جامعة بيروت

رئيس وحدة اللغة العربية - مركز اللغات جامعة صنعاء

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة

اسكندرية


mohamed khatab

مقدمة المترجم إلى العربية

لقد التقيت بأفكار دي سوسير وآرائه من خلال قراءاتي اللغوية الأولى ، ولم أكن أملك إمكانية الاطلاع على كتابه مباشرة في لغته الفرنسية ، فلغتي الثانية هي الإنجليزية فاطلعت على كتابه في ترجمته الانجليزية،وتساءلت كثيرا ، لماكان دي سوسير له هذه الأهمية في الدراسات اللغوية ، فلماذ لم يترجمه أحد خريجي السوربون أو الجامعات الفرنسية إلى لغتنا العربية ؟والبحوثون والدارسون العرب في فرنسا ليسوا قلة !! ، وكتاب مثل هذا تتصل أفكاره ليس بالعلوم اللغوية فحسب، وإنما بالدراسات الانسانية بشكل عام؟ فتارة يقولون أنه رائد المدرسة الوصفية ، وتارة أخرى رائد البنيوية ، وقد ألحقوا به غالبية المناهج اللغوية ، كما ألقى بتصوره حول غالبية المناهج المعروفة .

ثم حاولت الاتصال بالنسخة المترجمة إلى الانجليزية، وقرأتها أكثر من مرة وتركتها ، لأن موضوع الترجمة لم يختمر في ذهني ، ولم أكن لأجرؤ على اقتحام مثل هذا الموضوع ، ولكن عندما كنت أكتب رسالتي للدكتوراة « دراسة دلالية في غريب الحديث » كنت قد اتصلت بالدراسة اللغوية الحديثة ، وقرأت غالبية ما وقع تحت يدي من كتب علم اللغة في العربية والانجليزية ، ووجدت مرة أخرى هذا الاهتمام بأفكار دي سوسير وآرائه ، عاد إلى ذهني التساؤل مرة أخرى.لماذا لم يترجم هذا الكتاب إلى العربية وقد ترجم إلى غالبية اللغات الحية ؟ وأخذت فكرة الترجمة تراودني ولكنني وجل من الاقدام على ترجمة كتاب يعد من أهم مصادر علم اللغة الحديث في العالم الغربي،على الأقل ، ولا أجيد الفرنسية . فعملي سيكون ترجمة المترجمة ، وسيكون في ذلك تحريف كبير وابتعاد عن الأصل . وهذه مسألة منهجية فيها خطر ومغامرة علمية .

ناهيك عن الموقف من أولئك الذين يجلسون لاهم لهم إلا تصيد الأخطاء وإبراز المعايب والنقص مع قصور هممهم بالرغم من امتلاكهم الأداة .

ولكننى عزمت على استشارة بعض المختصين من الأساتذة فى الدراسات اللغوية ، فأشفق على غالبيتهم لصعوبة هذا الكتاب ولعدم اجادتى للفرنسية ، ولأننى سأعتمد على الترجمة الإنجليزية ، فمنهم من ثبطمن عزيمتى ، ومنهم من شجع ، ولكن الرغبة فى ترجمته كانت أقوى ، بالرغم من كل المحاذير ، وكانت رغبتى فى أن أقدم هذا الكتاب لدارسى العربية - بقدر الامكان - حتى يعرفوا أصول الدراسات اللغوية التى قامت عليها الدراسات اللغوية فى العالم الغربى حتى ولو لم تكن كاملة ، فشىء أحسن من لاشىء ، ومن كان يملك الأداة فليرجع إلى الأصل ، فانى أقدم هذا الجهد المتواضع لمن لا يملكون الأداة ويرضون بما هو فى الامكان ، ولقد روى لى أحد الزملاء أنه ذكر محاولتى لترجمة هذا الكتاب فى دار العلوم أمام أستاذ علم اللغة ، وهو الدكتور / كمال بشر ، فقال له ، هذا كتاب صعب ، وقد حاولت ترجمته ولكنى توقفت لصعوبة ترجمة هذا الكتاب ، وها أنا حاولت اقتحام الصعب . ولا أدعى أنى قدمت مايجب أن يكون ، ولكنى أقدم الممكن ، وأنا أتقبل بكل ارتياح أى نقد هدفه تصويب الأفكار الواردة نتيجة خطأ فى الفهم أو فى الترجمة ، ولكنى لاأقبل نقد الهدامين ولوكانوا علماء ، لانهم قصروا ولو تقدموا وعملوا لأعفونى من تقدمهم ولحققوا أكثر مما طمحت فيه بالنسبة لابناء لغتى ، فليس هدفى الكسب المادى أو المعنوى (وقد يكون العكس) .

أما عملى فى الترجمة ، فقد حاولت أن أكون دقيقا أو بمعنى أدق ، حرفيا ، لأنى كنت دائما أضـــع أمامى فكرة ترجمة الترجمة ، وتصرفى فى

النص سيبعد عن الأصل ثلاث خطوات . الخطوة الأولى ، المبادرة الشجاعة التي قام بها شارل بلي وزميله في تجميع أفكار دي سوسير وإعادة صياغتها ، ثم ما قام به المترجم الانجليزي ، ثم محاولتي هذه ، وقد عانيت الكثير أثناء ترجمته ، لأن المترجم الانجليزي أطال في جمله الانجليزي بشكل كبير ، حتى يستطيع الوصول إلى المعنى الذي عبرت عنه الفرنسية ، وقد أجاد وتصرف حتى يكون واضحا ، ولكنني لم أحاول التصرف ، وحاولت المحافظة على الحرفية ، مع ما يسببه من ارتباك في صورة النص من ناحية الصورة التركيبية للغة العربيه ، ولكنه مع هذا العيب الواضح أقرب إلى الأصل من وجهة نظري مما لو حاولت التصرف فيه فسيكون الكتاب فهمي لترجمة فصول دي سوسير وليس كتاب دي سوسير . وقد حافظت على الامثلة كما وردت في الأصل الفرنسي من اللغات الأخرى ووضعتها في مكانها مع أنها ستكون ناقصة الضبط بالشكل بالنسبة للغاتها الاصلية ، وذلك تبعا لما تملكه المطبعة من امكانيات لطباعة مثل هذا النص الذي يحتاج إلى مؤسسة مؤهلة لذلك .

لقد قدم دي سوسير لمحة عن تاريخ علم اللغة والجهود القيمة التي قام بها بعض اللغويين المشهورين والذين كان لهم دور بارز من وجهة نظره في تقدم الدراسة اللغوية ، ووجه اهتمامه إلى علم اللغة الوصفي أو لغة الكلام « Parole » ، واعتبر هذا موضوعه الرئيسي لأن الكلام هو اللغة بالفعل ،لأن الناس تتعامل به . وأما اللغة فهي مستودع أو مخزن يأخذ منه الأفراد ما يحتاجونه ، كما أنه فصل بين المنهج الوصفي والتاريخي ، أو علم اللغة الوصفي ، وعلم اللغة التاريخي ، وصحح بعض المفاهيم التي كانت سائدة في الدراسات اللغوية الأوروبية بخصوص العائلات اللغوية وعلاقاتها بالزمان والمكان والجنس ، وتكلم عن الأصوات والتغيرات التي تصيبها نتيجة التطور ، وأجرى بعض المقارنات على لغات

عثلثة وبين الأسباب المؤثرة والمساعدة على التطور الصوتي واللغوي ، وبين أن الزمان هو العامل الأساسي في التطور .

أما الجانب الدلالي فقد تناوله بشكل عام ، ولم نجد عنده تركيزا على هذا الجانب .

فقد تناول اللغة والكلام باعتبارها أفضل أداة اتصال ابتكرها الانسان ، وجعل اللغة مائرة لاتكتمل الا بوجود مرسل ومستقبل . واللغة نظام متكامل مثل لعبة الشطرنج ، كل لفظ يؤدي دوره من خلال ارتباطه بالنظام الكلي واللفظ الذي قبله وبعده وأن التغيرات تصيب الألفاظ ولكنها لاتمس النظام بشكل عام وأساسي ، بالاضافة إلى نظرته الكلية للغة . فهو يرى عدم اتصال الصورة الصوتية عن الفكرة التي تعبر عنها ، وهذا مايصور نظرته البنيويه للغة .

هذه بعض ملامح عامة لما جاء في هذا الكتاب .

أرجو أن أكون قد قدمت شيئا بهذا الجهد ، والله من وراء القصد .

الاسكندرية ١٩٨٢/٢/٧

مقدمة المترجم

(من الفرنسية الى الانجليزية)

أشخاص قليلون هم الذين حظوا بالاحترام الواسع والانتشار فى تاريخ علم اللغة على انجازاتهم المختلفة مثل فرديناند دى سوسير . ولقد استعار ليونارد بلومفيلد L. Bloomfield تفوق الأستاذ السويسرى باضافة الأساس النظرى للاتجاه الجديد فى الدراسة اللغوية ، وان الباحثين الأوروبيين نادرا ما فشلوا فى الأخذ بالاعتبار آراءه (وجهات نظره) كلما تعرضوا لأى مشكلة نظرية.

ولكن كل ماتضمنته تعليماته ، بالنسبة لجانبى الدراسات الثابتة (الوصفية) والتطورية ، لاتزال صحيحة .

ولقد نجح سوسير فى فرض طابعه الشخصى على كل شىء من خلال مسيرته . ففى سن العشرين عندما كان طالبا فى ليبزيج نشر بحثه الهام « النظام الصوتى للغة الهندوأوروبية الأصلية (البدائية) » .

" Proto - indo - Européan Vocalic System "

ولقد قام هذا البحث على نظريات وحقائق كانت ملكية عامة (مشاعا) فى زمانه ولايزال يعتبر أوسع وأشمل معالجة لصوتيات الهند أوروبية الأصلية .

ولقد تتلمذ على النحويين الجدد أوستوف Ostof ، ولسكين Leskien ؛ ولكنه رفض منهجهم التجزيئى لعلم اللغة فى محاولته لتشكيل علم مترابط لعلم اللغة .

وبالرغم من قلة منشوراته (أبحاثه) (ستمائة صفحة خلال حياته) فقد وصل تأثير دى سوسير حدا بعيد المدى . فى باريس حيث تعلم السنسكريتية لمدة عشر سنوات سنة ١٨٨١م — ١٨٩١م وعمل سكرتيرا الجمعية اللغوية الباريسية فإن أثره فى تطور علم اللغة كان حاسما وفعالا . ان دراساته الاولى للمخطوطات القديمة واللهجات التراثية ربما تكون مشتركة إلى حد ما ، من بعض الجوانب فيما يعبر عن حب طلابه له فى جامعة جنيف سنة ١٩٠٦ — ١٩١١م . ان نظرته الموحدة (التكاملية) لظاهرة اللغة أثمرت أوحققت أفضل تفكير عصرى. بالاضافة إلى الصبر على البحث لسنوات طويلة والفكر النافذ .

ان سيطرة النظام الفاسق لكل عصر يضع بصماته على كل خطوة من خطوات تطور علم اللغة ان المنهج التجريبى فى البحث عن الحقيقة الذى ساد القرن الثامن عشر هو الذى منع الباحثين من الاقتراب من الحقائق الموجودة فى مادة الكلام . فقد كانت اللغة تعنى بالنسبة لاولئك الباحثين بكل بساطة : المخزون أو الكم الآلى M·chnical Sum من الوحدات تستعمل فى الكلام .

لقد حالت الدراسات المتفرقة (التدرجية) دون التطور فى مفهوم الطريقة الكلية (Gestalteinheit) التى كانت تلائمها الحقائق التجريبية . ان المفهوم التجريبى (الجذرى) للكلام ، انعكس على الدراسات التاريخية لعلماء فقه اللغة المقارن ، وفتحت المجال للمفهوم الوظيفى والبنائى للغة .

وقد كان سوسير يرى فى البداية أن اللغة تحوى نظاما خاصا تتوافق وظيفة أجزائه وتكتسب قيمة من خلال علاقاتها مع الكل .

وبتركيز الانتباه على الجانب الإنسانى الواضح فى الكلام ، أعنى ، نظام اللغة فقد أعطى سوسير لعلمه الوحدة والمباشرة . وحتى نشر بحثه (وقد ترجم

أخيراً إلى الألمانية والاسبانية) ، فقط أولئك الذين سعدوا بعلاقات وثيقة مع سوسير هم الذين توصلوا (عرفوا) إلى نظرياته . وبقيامنا بترجمة محاضراته هذه إلى الانجليزية ، آمل أن أسهم في تحقيق هدفه : وهو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجلها .

إلى الذين تكرموا على بوقتهم وجهدهم في اعداد هذه الترجمة، أقدم تشكراتي القلبية ، إلى جيرالد ديكسترا Gerald Dykstra ، دانيـــال - جيرارد Daniel Girard ، لينوكس غري Lennox Grey ، ايلين كيتشن Aileen Kitchin ، واندري مارتنيت Andre Martinet في جامعة كولومبيا ، وإلى شارلز بازل Charles Bazel في جامعة استنبول، وإلى هنري فراي Henri Frei ، ورروبرت جودل Robert Godel وأدمونت سولبرجر Edmond Sollberger في جامعة جنيف ، وإلى دوايت بولينجر Dwight Bolinger في جامعة كارولينا الجنوبية وإلى رولن ويلز Rulon Wells في جامعة يل Yale ، وإلى أصدقائي المخلصين كينيث جيمينز Kenneth Jimenez ، وباول سوارت Paul Swart ، وهوج وايتمور Hugh Whittemore . وأما بالنسبة للنقص في الترجمة فأنا مسئول عنه وحدي .

وادي باسكين (Wade Baskin)

مقدمة الطبعة الأولى

لطالما سمعنا نعى دى سوسير قلة الأسس والمناهج التى تميز علم اللغة خلال فترته التطورية ، ولقد استمر طيلة حياته يبحث عن القوانين التى تعبر مباشرة عن أفكاره وسط هذه الهيولى (Chaos) .

ولم يكن فى مقدوره حتى سنة ١٩٠٦ م ، عندما حل محل « يوسف ورثيمر Joseph Wertheimer » فى جامعة جنيف ، أن يعرف بأفكاره التى تباها وبرعاها خلال سنين عديدة . كما أنه درس ثلاثة مساقات فى علم اللغة العام خلال السنوات سنة ١٩٠٦ م ، سنة ١٩٠٧م ، سنة ١٩٠٩م ، وما بين سنتى ١٩١٠ — ١٩١١ م فرض عليه جدوله أن يكرس نصف وقت فصوله لتدريس تاريخ اللغات الهندوأوربية ووصفها ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن القسم الأساسى فى موضوعه استقبل باهتمام أقل مما يستحق .

كل الذين كان لهم شرف الاشتراك فى معرفة موهبته الفذة أسفوا لأنه لم يترك مؤلفاً من انتاجه . وبعد وفاته ، تأمل أن نجد فى مخطوطاته (مسوداته) ـ فقد اكرمت باتاحتها لنا Mme. de San Ssure ـ ملاحظات صحيحة أو على الأقل ملائمة من محاضراته الحية الملهمة .

وكان علينا فى البداية أن نقارن بين ملاحظات دى سوسير الخاصة ومدونات تلاميذه . لقد أخفقنا بشكل كبير . لم نجد شيئا — أو دائما لا شيء — يشابه مذكرات تلاميذه . وعلى كل حال فقد أدت غرضها ، فقد أتلف دى سوسير مسودات ملاحظاته التى استخدمها فى محاضراته . وفى أدراج سكرتيرته وجدنا

ملاحظات قديمة له ومن بالتأكيد ليست تافهة أو عديمة القيمة ، ولكن لا يمكن دمجها مع مادة الفصول الثلاثة . وإذا كانت تعترضه صعوبات لأن واجبات الأستاذية (العمل الجامعي) قد جعلت من المستحيل بالنسبة لنا متابعة محاضراته الأخيرة وهذه تبدو خطوة مضيئة في سيرة حياته لأنها الشاهد الأول على ظهور بحثه عن النظام الصوتي في الهندوأوروبية الأصلية (البدائية) . علينا أن نعود إلى الملاحظات والمذكرات التي دونت وجمعت بواسطة تلاميذه في محاضراته في الدورات الثلاث خلال الفصل .

ويوجد تحت تصرفنا ثلاث مذكرات كاملة : بالنسبة للفصلين الأولين كتبا بواسطة مسز لويس كايل Messrs. Louis Caille وليوبولد جوتير Leopold Gautier ، باول رجارد Paul Regard ، ألبرت ريدلينجر Albert Riedlinger أما بالنسبة للثالث ـ أكثرها أهمية ـ كتب بواسطة ألبرت سيخهاى Mme. Albert Sechehaye والسيدة جورج ديجاليير Mrs. George Degallier وفرنسيس يوسف Francis Yoseph ونحن مدينون لـ م . لويس بروتش M. Louis Brutsch بملاحظات خاصة بنقطة معينة . كل أولئك المساهمين يستحقون منا جزيل الشكر . كما أننا نرغب في تسجيل عرفاننا بالجميل العميق لـ م . جولس رونجات M. Jules Ronget ، الباحث الرومانى المتفوق (المشهور) الذى تفضل بمراجعة المخطوطات قبل الطبع ، وصاحب الاقتراحات الجليلة القدر . ماذا علينا أن نعمل بهذه المواد ؟ . أولا ، العمل النقدى ، بالنسبة لكل فصل ، ولكل تذييل على الفصل ، علينا أن نقارن كل الاختلافات ونعيد بناء أفكار دى سوسير لنزيل عنها التردد والبهوت والتضارب فى بعض الأحيان والمديحات .

بالنسبة الفصلين الأولين نستطيع أن نعدد المقدمات التى قدمها م . رايدلينجر أحد الطلاب الذين تابعوا فكرة الأستاذ باهتمام بالغ ، فعمله ذو قيمة كبيرة . أما

بالنسبة للفصل الثالث فان واحدا منا وهو ا. سيشهاي A. Sechehe قام بانجاز تفصيلات العمل نفسه من فحص ومقارنة وتركيب للمادة . ولكن بعد ذلك ، فان الكلام الشفوى الذى يتناقض غالبا مع الشكل الكتابى يشكل أكثر الصعوبات وجوانب هذا فلم يكن ف. دى سوسير من أولئك الرجال الذين يقفون فى مكانهم فأفكاره تتطور فى كل الاتجاهات دون أن تتناقض ذاتيا نتيجة لذلك . أن نشر كل شىء فى شكله الأصلى يعد مستحيلا ، فالتكرار ـ الذى لايمكن تجنبه أثناء الكلام الشفوى الحر ـ على الشفاه ، والتداخلات والأشكال المختلفة ستظهر هذا النشر وتعطيه مظهرا متنافرا . وتحديد الكتاب فى فصل واحد ، أى فصل، سوف يحرم القارىء من الاطلاع على المعلومات المختلفة والغنية المتوافرة فى الفصلين الآخرين والفصل الثالث لوحده ، وهو أهم الفصول الثلاثة ، لايمكنه أن يقدم لنا احصاءا كاملا لنظريات ومناهج ف. دى سوسير .

أحد الاقتراحات كانت تنشر بعض الفقرات أو المقاطع الأصلية الواضحة من غير تغيير .

هذه الفكرة طرأت فى البداية ، ولكن عندما اتضح أننا سنشوه أو نحرف أفكار أستاذنا إذا قدمناها على هذه الصورة من التجزىء الذى لاتظهر قيمتها إلا من خلال الصورة الجمية أو الكلية .

ووصلنا إلى الجرأة ولكن كما نعتقد ، إلى حل أكثر معقولية ، أن نحاول إعادة التركيب والتأليف باستخدام الفصل الثالث كنقطة بداية والاستفادة من كل المواد الأخرى الموضوعة تحت تصرفنا ، بالاضافة إلى مذكرات ف . دى الخاصة كمصادر مكملة .

إن مشكلة إعادة تمثل وابداع فكر ف . دى سوسير ، كانت الأكثر صعوبة

لأن اللغة الخلق والابداع، يجب أن تكون موضوعية. وعند كل نقطة كنا نعمل على الوصول إلى النقطة الأساسية أو الحيوية لكل فكرة خاصة. وذلك بمحاولة معرفة الشكل المحدد في ضوء النظام الكلى. وكان علينا في البداية أن نزيل الاختلافات والخصائص الشاذة أو الغريبة الكلام الشفوى، وأن نضع الفكرة في مكانها الطبيعى من العمل، ووضع كل جزء منها تبعا للنظام الذى قصده المؤلف، حتى ولو كان قصده - غير واضح دائما - يحتاج إلى حدس. من هذا العمل من المماثلة واعادة التركيب ولد أو خرج هذا الكتاب الذى نقدمه - ليس من غير حذر إلى الجمهور المثقف وإلى كل الأصدقاء من اللغويين.

لقد كان هدفنا أن نعمل منه كلا عضويا (وحدة عضوية) وذلك بعدم حذف شىء يؤثر على الانطباع أو الصورة الكلية. ولكن بالنسبة للسبب الرئيسى، فمن المحتمل أن يوجه لنا النقد من جهتين. الأولى، سيقول النقاد: ان هذا الكل غير كامل. إن الأستاذ فى تدريسه لم يدع أو يطالب باختبار كل أقسام علم اللغة أو يكرس نفس الجهد لكل واحد من هذه الاختبارات، فإنه لايستطيع ذلك مادياً. بجانب هذا لم يكن ذلك همه الرئيسى:

وبالانسياق مع بعض العناصر الاساسية والشخصية أينما وجدت فى ثنايا البحث - والتى شكلت لحمة أو نسيج هذا العمل (فبركته) الذى يعتبر صعبا بقدر ما هو متنوع - الذى حاول النفاذ اليها، فقط عندما تتطلب هذه الأسس تطبيقات خاصة أو عندما تتضارب بوضوح مع جانب من جوانب النظرية التى يحاول أن ينجزها. هذا هو السبب فى أن بعض المجالات مثل علم الدلالة، لاتلمح بسهولة ونحن لا نشعر بأن هذه الثغرات تقلل من شأن البناء الكلى ان عدم وجود علم لغة الكلام، يعتبر أمرا مؤسفا».

هذه الدراسة ، التي قررت على طلاب الفصل الثالث وتحتل بدون شك مكانا مرموقا ، وعدم الاحتفاظ بهذا المقرر أمر معروف جيدا .

كل ما كان فى استطاعتنا عمله هو جمع الانطباعات السريعة من الملاحظات المنظرية لهذا المشروع ووضعها فى مكانها الطبيعى .

وبالمقابل ، فمن الممكن أن يقول النقاد إننا أعدنا استخلاص الحقائق محولة على نشاط تطورت بواسطة ف. دى سوسير والسابقين له . ليس كل شىء على امتداد هذا البحث يعد جديدا . ولكن إذا كانت الأسس المعروفة ضرورية لفهم الكل ، فهل ندان لأننا لم نحذفها ؟ ففصل التغيرات الصوتية ، على سبيل المثال ، يتضمن أشياء قيلت من قبل ، ومن الممكن أن تكون قيلت بصورة أوضح ، ولكن أحد جوانب الحقيقة هو أن هذا الجزء يحتوى على تفصيلات أساسية وقيمة ؛ وحتى أن القارىء السطحى (البسيط) سوف يرى إلى أى مدى سيقلل حذفها من فهم الأسس التى بنى عليها ف.دى سوسير نظامه لعلم اللغة الوصفى Static Linguistic .

نحن حذرون من مسئوليتنا أمام النقاد . كما أننا حذرون من مسئوليتنا بالنسبة للمؤلف ، الذى من الممكن أن لايسمح لنا بنشر هذه الصفحات .

لقد تقبلنا حمل المسئولية كاملة ، ونرغب فى تحملها منفردين ، فهل يستطيع النقاد التمييز بين الأستاذ وشراحه ؟ وسوف نكون شاكرين لهم إذا توجهوا إلى مهاجمتنا مباشرة لأنه ليس من العدل أن تنصب اللعنات على رجل ذكراه عزيزة علينا .

جنيف يوليو ١٩١٥ Charles Bally, Albert Sechehaye

مقدمة الطبعة الثانية :

الطبعة الثانية مثل الطبعة الأولى فى الأسس ، ولكن المؤلفين أجريا بعض التعديلات الطفيفة التى صممت لتسهيل القراءة ولتوضيح بعض النقاط .

Ch. B. Alb. S.

مقدمة الطبعة الثالثة :

فيما عدا تصحيحات بسيطة فإن هذه الطبعة مثل سابقتها .

ش. ب. أ. س.

Ch. B. Alb S.

الفصل الأول

لمحة عن تاريخ علم اللغة

إن العلم الذى قام بتطوره حول حقائق اللغة قد مر فى ثلاث مراحل قبل أن يجد حقيقته وموضوعه الواحد .

المرحلة الأولى شيء يقال له النحو قد درس . وهذه الدراسة ابتدأت عند اليونانيين واستمرت بشكل رئيسى عند الفرنسيين ، وقد قامت على أسس منطقية ، وكانت تنقصها الطريقة العلمية ومنفصلة عن اللغة نفسها ، وقد كان هدفها الوحيد وضع قواعد للتمييز بين التراكيب الصحيحة والخاطئة. لقد كانت دراسة معيارية بعيدة عن الملاحظة الفعلية وصورتها المحددة .

وتلاه فى الظهور فقه اللغة Philology . لقد ظهرت المدرسة « الفيلولوجية » « مدرسة فقه اللغة » مبكرا فى الاسكندرية ، ولكن استعمال وتطبيق هذا الاسم بشكل واسع يعود إلى الحركة العلمية التى بدأت على يد فريدريك أوجست وولف Friedrich August Wolf سنة ١٧٧٧ م والتى استمرت حتى يومنا هذا . لم تكن اللغة موضوعه الوحيد . فلقد وجه علماء فقه اللغة « الفيلولوجيون » الأوائل نظرهم بخاصة نحو التصحيح والشرح والتعليق على النصوص المكتوبة .

وقد قادتهم دراساتهم إلى العناية بتاريخ الأدب والتقاليد والأعراف الخ . وقد استخدموا مناهج النقد تبعاً لأغراضهم الخاصة وعندما يعالجون المسائل

اللغوية ، يكون ذلك من أجل تحقيق أغراضهم الملحة لمقارنة نصوص من فترات مختلفة مؤكدين على خصوصية لغة كل مؤلف أو لغته وتحليل وشرح مخطوطات قديمة أو لغة غامضة . وهذه الأبحاث - بدون شك - هي التي شقت الطريق لعلم اللغة التاريخي .

دراسات ريتشـل Ritchle عن أفلاطون تعد فعلا لغوية . ولكن النقد « الفيلولوجي » بقى مقتصرا على نقطة واحدة : فقد تابع اللغة المكتوبة وظل عبدا لها وأهمل اللغة الحية . وفوق ذلك فقد ارتبطت دراساتهم مع استثناء بسيط بالآثار اليونانية واللاتينية القديمة .

وبدأت المرحلة الثالثة عندما اكتشف الباحثون أنه يمكن مقارنة اللغات بعضها مع بعض . هذا الاكتشاف يعد الأساس لفقه اللغة المقارن

" Compartive Philology "

وفي عام ١٨١٦ قام فرانز بوب Franz-Bopp بعمل بحث تحت عنوان :

" u " bar des conjugatiore System der-sanskrit sprache"

قارن فيه بين السنسكريتية والألمانية واليونانية واللاتينية .. الخ .

ولم يكن بوب أول من لاحظ أو سجل تشابه هذه اللغات، وقرر أنها جميعا تنتمي إلى عائلة لغوية واحدة. وذلك عمل قد سبقه اليه المستشرق الشهير و. جونز الذى توفى سنة ١٩٧٤ م ولكن العبارات المتفرقة التي قدمها « جونز » لا تثبت أولا تقوم دليلا على أن علمية وأهمية المقارنة قد فهمت بشكل عام قبل سنة ١٨١٦ م .

بينما لا يستطيع « بوب » ادعاء الفضل باكتشاف صلة السنسكريتية باللغات الاوروبية والآسيوية، ولكن أكد أو تحقق من أن مقارنة اللغات المتقاربة يمكن

أن تكون الموضوع الرئيسي لعلم مستقل. وتماء الضوء على لغة بواسطة لغة أخرى وتفسير صيغ وأشكال واحدة من خلال صيغ وأشكال لغة أخرى، هذا هو ما لم يسبقه اليه أحد. أما أن «بوب» قد ابتكر عليه – بهذه السرعة على الأقل – من غير أن يسبقه اكتشاف السنسكريتية «أمر مشكوك فيه. لقد وضع «بوب» قواعد واسعة وثابتة لدراساته بواسطة السنسكريتية التي تمثل الشاهد الثالث بجانب اللاتينية واليونانية. وبالمصادفة، فقد كانت السنسكريتية بصورة استثنائية مناسبة تماما للقيام بدور الموضح للمقارنة. وعلى سبيل المثال، فان مقارنة صيغ اللاتينية:

(genus) (genus, generis, genere, genera, generum, etc.)

والصيغ اليونانية:

(genos, geneos, genei, genea, geneon, etc.)

لا تكشف أو توضح شيئا. ولكن الصورة تتغير عندما تضيف السلسلة السنسكريتية المطابقة لها:

(ganas, ganasas, ganasi, ganasu, ganasam, ect.)

ان لمحة واحدة تكشف لنا التشابه بين الصيغ اليونانية واللاتينية. وإذا قبلنا مؤقتا الفرضية وهي أن ganas، تمثل المرحلة البدائية – وهذه الخطوة تجعل التفسير سهلا – وبعدها نستنتج أن (S) يجب أن تكون قد سقطت من الصيغ اليونانية لأنها وقعت بين (حرف علة) صائتين. والاستنتاج الثاني هو أن (s) أصبحت (r) في اللاتينية تحت نفس الظروف. لهذا فالصيغة السنسكريتية تمثل مفهوم الجذر نحويا، فالوحدة (ganas) محددة تماما وثابتة. ولقد كانت اللاتينية واليونانية تملك نفس الصيغ مثل السنسكريتية، ولكن فقط في مراحلها المبكرة. هنا تعتبر السنسكريتية الموضح الدقيق لأنها حافظت على كل الـ (S ، S)

الهندوأوروبية. وبالطبع فقد فعلت السنسكريتية من جوانب أخرى فى المحافظة على ملامح النموذج الأصلى، وعلى سبيل المثال، لقد غيرت بشكل ثورى النظام الصوتى. ولكن بشكل عام فان "العناصر الأصلية التى حفظتها السنسكريتية تساعد بشكل بارز فى البحث — وقد ساقها القدر لتوضح نقاطاً كثيرة فى دراسة اللغات الأخرى.

وهناك علماء لغة مشهورون آخرون قد أضافوا إلى انجاز «بوب»: جاكوب جريم Jacoob Grimm مؤسس الدراسات الألمانية، وكتابه النحو الألمـانى Deutsche Grammatik قد نشر ما بين سنتى (١٨٢٢ م وسنة ١٨٣٦ م)، «بوت Pott» أتاحت ووفرت دراساته الاشتقاقية Etymological مادة ذات شأن أمام اللغويين. وكون Kuhn، الذى عنيت أبحاثه بعلم اللغة والميثولوجيا المقارنة (علم الأديان المقارن)، والباحثان الهنديان بنفى Benfey وأفرخت Aufrecht الخ.

وأخيراً، ومن خلال تصورات الممثلين الآخرين للمدرسة، ماكس مولر May Muller وج. كورتيوس G. Curtius، داوجست شليشر August Schleicher، فانهم يستحقون اهتماما خاصاً. لقد ساهم الثلاثة وبأشكال مختلفة فى تقدم الدراسات المقارنة.

ولقد تقدمهم ماكس مولر فى أبحاثه القيمة «دروس فى علم اللغة ١٨٦١ م Lessons in the science of language»، ولكن فشله كان بسبب نقص ما فى الاحساس. أما كورتيوس، ذلك الفيلولوجى المشهور بفضل كتابه Grundzuge der giechischen Etymology, 1879 كان من الأوائل الذين قاموا بالتوفيق بين فقه اللغة المقارن وفقه اللغة الكلاسيكى.

ولقد راقب الأخير تقدم العلم الجديد بشك وحذر ، كما شككت كل مدرسة بالأخرى . وقد كان شليخر أول من حاول تنسيق النتائج من الأبحاث المتفرقة .

وكتابه : (Compendium der Verleichenden Grammatik der indo germanischen sprachen, 1816 1862).

يعد بصورة أو بأخرى تنظيما للعلم الذى أوجده « بوب » . وكتابه مع سجله الطويل فى الخدمة ، يمثل أكثر من غيره الخطوط العريضة ، لمدرسة المقارنة ، التى تعد الفصل الاول فى تاريخ علم اللغة الهندوأوروبى .

ولكن مدرسة المقارنة — التى يرجع اليها الفضل ، بدون جدال ، فى فتح مجال مفيد وجديد — لم تنجح فى إقامة العلم الحقيقى لعلم اللغة . لقد فشلت فى تلمس طبيعة موضوعها فى الدراسة .

وبشكل واضح ، فإنه بدون هذه الخطوة الأولية فان العلم لا يستطيع تطوير المنهج .

ان الخطأ الاول لعلماء فقه اللغة المقارن « للفيلولوجيين » كان أيضا مصدر كل أخطائهم الأخرى . فن أبحاثهم (التى تناولت اللغات الهندوأوروبية فقط) فانهم لم يسألوا أنفسهم عن معنى أو فائدة مقارناتهم أو أهمية العـــلاقات التى اكتشفوها . لقد كان منهجهم مقارنيا على وجه الخصوص وليس تاريخيا .

صحيح أن المقارنة لازمة لكل من يعيد صياغة التاريخ ، ولكنها — بشكل منفرد لا تؤدى — نتيجة .

وعندما ينظر فقهاء اللغة المقارن إلى تطور لغتين كما ينظر الطبيعى إلى نمو نبتتين تكون النتيجة محيرة . وعلى سبيل المثال ، فإن شليخر ، الذى يدعونا دائما

أن تبدأ من الهندوأوروبية البدائية (الأصلية) وهكذا تبدو فى الشعور وكأنها مستقرة تاريخيا، لم يتردد فى القول بأن الـ(a) والـ(e) اليونانيتين تعدان درجتان Stofen فى النظام الصوتى . وذلك لأن السنسكريتية لها نظام من التغيرات الصوتية يتحقق فيه مفهوم الدرجات .

ولقد افترض شليخر أن كل لغة عليها أن تمر بهذه الدرجات منفردة وبنفس الطريقة، تماما مثل النباتات التى من نفس النوع، فانها تمر بنفس المراحل التطورية مستقلة عن بعضها ، وانظر إلى درجة قوة أ (e) فى الـ(o) اليونانية ودرجة قوة الـa) فى الـ(a) السنسكريتية . والحقيقة أن التغيرات فى الهندوأوروبية الأصلية قد انعكست بصور مختلفة فى اليونانية والسنسكريتية من غير أن يكون هناك أى توازن ضرورى بين المؤثرات النحوية التى تظهر فى اللغة الأخرى (أنظر الصفحة ٨٥ وما بعدها) .

ولقد قام المنهج المقارن — على وجه الخصوص — على مفاهيم زائفة ولا يستند على أسس حقيقية، ان هذه المفاهيم لا تستطيع بكل بساطة أن تعكس حقائق الكلام . لقد اعتبرت اللغة عالما مميزا، المملكة الطبيعية الرابعة، ولقد قادم هذا إلى مناهج من التحليل سببت استغرابا ودهشة لدى العلوم الأخرى . ولا يستطيع أحد اليوم أن يقرأ اثنى عشر سطرا مما كتب فى ذلك الوقت بتلك التحليلات السخيفة وتلك المصطلحات المستعملة لتبرير تلك السخافات . ولكن من وجهة النظر المنهجية، فان أخطاء فقهاء اللغة المقارن لم تكن بدون قيمة، فأخطاء العلم الناشىء تعطى صورة بارزة عن الجهود التى بذلت بواسطة أى منهم فى المراحل الأولى للبحث العلمى ، وسأنتهز الفرصة لأشير إلى عدد منهم فى فصل أخصصه لهذا الغرض .

وحتى حوالى سنة ١٨٧٠م بدأ الباحثون فى البحث عن الأسس التى تحكم حياة اللغات ، وبعد ذلك بدأوا يدركون أن التشابه بين اللغات يعد جانبا واحدا من الظاهرة اللغوية ، لأن المقارنة ماهى إلا منهج لإعادة صياغة الحقائق . علم اللغة الصحيح ، هو الذى يدع الدراسات المقارنة فى مكانها الصحيح ، فأصلها يعود إلى دراسة اللغات الرومانية والجرمانية .

لقد بدأت الدراسات الرومانية على يد « ديز Diez » فى كتابه :

(Grammatik - der romanischen sprachen)

مابين سنتى ١٨٣٦ — ١٨٣٨م الذى يعد الأداة الأساسية فى تقريب علم اللغة من موضوعه الحقيق . أما بالنسبة للباحثين الرومانيين فقد أعجبوا بالحالات المميزة التى لم تكن معروفة من قبل علماء الهندوأوروبية .

لقد وجهوا علمهم مباشرة إلى اللاتينية ، النموذج الأصلى للغات الرومانية ، وقد سمحت لهم النصوص الكثيرة أن يتتبعوا بالتفصيل تطور اللهجات المختلفة ، هاتان الحالتان ضيقتا مجال الحدس والتخمين وأعطتا شكلا قوى الوضوح لكل بحثهم .

أما الباحثون الألمان فقد كانوا فى حالة مشابهة ، فهم لا يستطيعون دراسة النموذج الأصلى مباشرة ، فالنصوص المتعددة مكنتهم من متابعة تاريخ اللغات المشتقة من الألمانية الأصلية خلال مرحلة من عدة قرون . لقد توصل الباحثون الألمان إلى مفاهيم كاملة حقيقية أكثر مما توصل اليه الباحثون الاوائل فى اللغات الهندوأوروبية ، لقد توصلوا إلى نتائج متعددة .

ان الدفعة النافعة الأولى قدمها الباحث الأمريكى « ويتنى Whitney » مؤلف كتاب Life and Growth of language (1875) وبعد ذلك بقليل تشكلت

مدرسة جديدة بواسطة النحويين الجدد Jung grammatiker التى كان كل روادها من الألمان :

ك. بروجمان K. Brugmann وه. استوف H. Osttof ، والباحثون الألمان و. برونه W. Brazne ، إ. سيفرز E. Sievers ، ه. باول H. Paul، والباحث السلافى لسكين Leskien الخ. وكانت مهمتهم فى وضع نتائج الدراسات المقارنة فى منظور ا التاريخى وهكذا وصلوا بين الحقائق ز نظامها الطبيعى. شكرا لهم ، لم يدم طويلا النظر إلى اللغة كعضو يتطور مستقلا ، ولكن كنتائج للفكر الجمعى للمجموعات اللغوية. ولقد تحقق الباحثون فى نفس الوقت من الخطأ وعدم الكفاية فى مفاهيم فقه اللغة وفقه اللغة المقارن. هذا وبالرغم من الخدمات التى قدموها ، فان النحويين الجدد لم يوضحوا القضية كلها ، والمشكلات الرئيسية لعلم اللغة مازالت تنتظر الحل .

الفصل الثاني

الموضوع الرئيسي وهدف علم اللغة وعلاقاته مع العلوم الأخرى

الموضوع الرئيسي لعلم اللغة يتضمن كل مظاهر الكلام الانساني ، سواء أكان لامم متخلفة أم متحضرة ، أو من اللغات المهجورة أو الكلاسيكية أو فترات الانحطاط .

وعلى اللغوي في كل فترة أن لا يأخذ بعين الاعتبار الكلام الصحيح واللغة البلاغية المستأنفة فحسب ، ولكن كل أشكال التعبير على حد سواء . وليس هذا كل شيء . فإنه لا يستطيع دائما ملاحظة الكلام مباشرة ، فعليه أن يستعين بالنصوص ، لأنه من خلالها فقط يستطيع الوصول إلى اللغات التي أهملت أو ابتعدت زمانياً أو مكانياً .

ان هدف علم اللغة يجب أن يتجه إلى :

أ) وصف ومتابعة كل اللغات الجديرة بالملاحظة والتي تملك القدرة على اكتشاف تاريخ العائلات اللغوية واعادة بناء اللغة الأم لكل عائلة بقدر الامكان .

ب) تحديد القوى الثابتة والعامة المؤثرة في كل اللغات ، واستنتاج القوانين العامة التي تعود اليها كل خصائص الظاهرة التاريخية .

ج) تحديد وتعريف نفسه ،

أن علم اللغة يرتبط بقوة بالعلوم الأخرى ، يستعين من معطياتها أحيانا ، كما يزودها بالمعطيات أحيانا أخرى . ان الخطوط المميزة لا تكون واضحة دائما . على سبيل المثال ، فإن علم اللغة يجب أن يتميز بوضوح عن الانثروبولوجيـــا الوصفية Ethnography وما قبل التاريخ ، لأن اللغة تستخدم لمجرد التوثيق فقط كما أنه يجب أن ينفصل عن علم الانثروبولوجيا الذى يدرس الانسان «فقط» وحده من وجهة النظر النوعية أو الجنسية ، وبالنسبة للغة فهى حقيقة اجتماعية . ولكن هل يجب أن يندمج علم اللغة مع علم الاجتماع ؟ ما صلة القرابة بين علم اللغة وعلم النفس الإجتماعى ؟ كل شىء فى اللغة هو فى الأساس نفسى ، بالاضافة إلى مادتها (الميكانيكية) الآلية ، مثل التغيرات الصوتية ، وبعد هذا فعلم اللغة يزود علم النفس الاجتماعى بمعطيات قيمة ، ألا تمثل الجزء والكل من هذا البحث ؟

وهنا سأطرح كثيراً من الأسئلة المتشابهة ، ثم بعد ذلك أفصلها بشكل أوسع .

ان الروابط بين علم اللغة وعلم وظائف الأصوات سهلة الفك والتحليل .

ان العلاقة تكون أحادية الجانب فى حالة تنقية دراسة اللغات تماما من علم وظائف الأصوات ولكنها لن تقدم شيئا فى النهاية . وعلى أية حال فانه لايمكن المزج بين البحثين أو المجالين .

ان ما يشكل اللغة ، كما سأبديه فيما بعد ، لايرتبط بالصفة الصوتية للعلامة اللغويـــة .

وبالنسبة لفقه اللغة ، فقد رسمنا خطا : انه يتميز عن اللغة بالرغم من وجود نقاط اتصال بين العلمين والخدمات المشتركة التين يؤديانها أو يعالجانها .

أخيرا ، ما فائدة علم اللغة أو فيما يستعمل؟ أناس قليلون جدا هم الذين عندهم

أفكار واضحة حول هذه النقطة ، وليس هذا بمجال التعريف بهم . ولكنه من الواضح ، على سبيل المثال ، أن قضايا اللغوية تهم كل المشتغلين بالنصوص — المؤرخين ، فقهاء اللغة ، الخ : وبوضوح أكثر ، أهمية علم اللغة بالنسبة الثقافة العامة : في حياة الأفراد والجتمعات ، الكلام أكثر أهمية من أي شيء آخر . يجب أن لا نفكر أو نعتقد أن الاستمرار في دراسة علم اللغة امتياز يقتصر على قلة من المتخصصين — كل شخص معنى به بطريقة أو بأخرى .

ولكن — وهذه نتيجة مناقضة للاهتمام المنصب على علم اللغة .

انه لا يوجد في أي حقل من حقول المعرفة مفاهيم سخيفة وبجحفة ووهمية وروايات كما في اللغة . ان لهذه الأخطاء أهمية من وجهة النظر النفسية . ولكن واجب اللغوى وعمله هو ، فوق كل شيء آخر ، ادانتها وانهاؤها بقدر مايستطيع .

الفصل الثالث

موضوع علم اللغة

تعريف اللغة :

ما الموضوع الأساسى والمتكامل لعلم اللغة ؟ ان السؤال يتميز بالصعوبة . وسنرى بعد ذلك لماذا ، وهنا أرغب فقط فى بيان وتحديد الصعوبة .

ان العلوم الأخرى قد تقدمت ، ويمكن النظر اليها من خلال وجهات نظر مختلفة ، إلا علم اللغة . ينطق بعض الأشخاص الكلمة الفرنسية « nu عار » : الملاحظ السطحى سيحاول وصف الكلمة بأنها موضوع اللغة الأساسى ، ولكن الاختبار الدقيق سوف يكشف بنجاح عن ثلاثة أو أربعة أشياء مختلفة ، معتمدا على ما إذا أعدت الكلمة صوتا ، معبرا عن الفكرة ، أو المساوى للكلمة اللاتينية (nudum) الخ . بعيدا عنها سوف يكون الموضوع الذى يقدم وجهة النظر ، سوف تبدو وكأنها وجهة النظر التى تخلق الموضوع ، بجانب هذا ولاشىء يخبرنا سلفا أن طريقة واحدة من اعتبار الحقيقة فى السؤال لها حق الأسبقية على الأخريات أو أنها تتفوق عليها بأى شكل . وفوق ذلك ، وبصرف النظر عن وجهة النظر التى تبنيناها . فان الظاهرة اللغوية لها جانبان متصلان ، كل منها يأخذ قيمته من الآخر . على سبيل المثال :

١) المقاطع المنطوقة هى انطباعات سمعية تدرك بالأذن ، ولكن الأصوات

لاتحد ـ بدون أعضاء النطق ، والـ n) على سبيل المثال ، تتواجد (تحدث) بفضل العلاقة القائمة بين الجانبين . اننا لانستطيع ببساطة تحويل اللغة أو اختزالها إلى صوت أو فصل الصوت عن النطق الشفوى ، وبشكل تبادلى ، لانستطيع تحديد حركات أعضاء (الصوت) النطق من غير تأخذ فى الحسبان الانطباع السمعى (أنظر ص ٢٨ وما بعدها) .

٢) ولكن افترض أن الصوت هو أبسط شىء ، فهل يمكن أن يشكل كلاما ؟ لا ، انه فقط أداة وحدة صوتية سمعية مركبة ، تتحد بالتالى مع الفكرة لتشكل وحدة نفسية عضوية معقدة ولكن ذلك لايشكل الصورة الكاملة .

٣) الكلام له جانبان ، فردى واجتماعى ، ولانستطيع تصور أحدهما من غير الآخر . بجانب هذا :

٤) فالكلام يتضمن النظام الثابت والمتطور ، فى كل لحظة يتواجد فيها قانون ونتاج من الماضى . والتمييز بين النظام وتاريخه ، بين ما هو كائن وما كان ، يبدو بسيطا لأول وهلة ، والشيئان مرتبطان ببعضهما فعليا ارتباطا وثيقا حتى أننا لا نستطيع فصلها عن بعض بسهولة . وعلينا أن نبسط السؤال وذلك بدراسة الظاهرة اللغوية فى مراحلها المبكرة - إذا بدأنا - على سبيل المثال ، فهل بدراسة كلام الأطفال ؟ لا ، فبالنسبة التعامل مع الكلام فإننا ننقاد إلى الخطأ كلية ، وهو افتراض أن مشكلة الخصائص السابقة تختلف عن مشكلة الخصائص الحالية . لقد دخلنا فى حلقة مفرغة .

ومها يكن الاتجاه فقد قربنا السؤال ، والآن هل وجدنا هنا الموضوع المتكامل لعلم اللغة ؟ حيثما كنا ، فنحن فى مواجهة مع المأزق : فإذا ركزنا انتباهنا على جانب واحد فقط فى كل مشكلة ، فنحن نتحمل خطر الفشل لنرى الثنائية التى

سبق بيانها ، ومن جهة أخرى ، إذا درسنا الكلام من وجهات نظر متعددة معاً ، فإن موضوع علم اللغة سيظهر لنا وكأنه كتلة مختلطة من عناصر متغايرة وأشياء غير مترابطة . والإجراء أو النظام الآخر يفتح الباب لعلوم متعددة - علم النفس ، الانثروبولوجيا ، النحو المعياري ، فقه اللغة .. الخ . متميزة عن علم اللغة ، ولكن من له حق المطالبة أو ادعاء الكلام ، في تصور المنهج الخاطىء لعلم اللغة ، كواحد من موضوعاتها . وكما أرى فإن هناك حلا واحداً للصعوبات التي مرت : من البداية علينا أن نضع قدمينا على أرض اللغة ونستعمل اللغة معيارا لكل مظاهر الكلام الأخرى . عبر كثير من الثنائيات بشكل طبيعي ، فان اللغة قادرة أن تعطي لنفسها منفردة التعريف أو التحديد المستقل وتجهز نقطة الارتكاز التي تقنع الفكر (العقل) .

ولكن ما اللغة (Langue) ؟ يجب ألا يخلط بينها وبين القدرة الفطرية عند الإنسان ، الكلام ، الإنساني (Langage) ، الذي يعتبر الجزء المحدد ، ولهذا ، فهو بالتأكيد الجزء الأساسي .

انها نتاج المجتمع للملكة الكلاميـــة وتجميع للتقاليد الضرورية التي أقرها الاجتماعي لتسمح للأفراد بتدريب ملكاتهم . وبالنظر اليها ككل ، فان الكلام متعدد الجوانب والعناصر المتغايرة ، فهو يغطي جوانب متعددة في وقت واحد فيزيائية عضوية ونفسية . وهو يخص الجانبين الفرد والمجتمع ، ولا نستطيع أن نضعه تحت أي نوع من الحقائق الانسانية ، لأننا لا نستطيع الكشف عن توحده .

واللغة ، بالمقابل تعد مكتفية ذاتيا كما أنها أساس التصنيف . وطالما أعطينا اللغة المكان الأول بين حقائق الكلام ، فاننا نقدم النظام الطبيعي داخل الكتلة التي

لاتسلم نفسها لأى تصنيف آخر . قد يعترض شخص على ذلك الأساس التصنيف على أساس أن استعمال الكلام قائم على ملكة طبيعية بينما اللغة شىء مكتسب وتقليدى ، فيجب أن لا تحتل اللغة المكان الاول ، ولكن يجب أن تكون تابعة للغريزة الطبيعية .

ان تفنيد ذلك الاعتراض سهل .

أولا ، لم يثبت أحد أن الكلام ، باعتباره يظهر نفسه عندما نتكلم ، طبيعى كلية ، بمعنى أن جهازنا الصوتى قد صمم كما صممت أرجلنا للمشى . واللغويون بعيدون عن الاتفاق حول هذه النقطة . « فويتنى Whitney ، على سبيل المثال، الذى يعد اللغــة واحدة من "قوانين الاجتماعية المتعددة ، يعتقد أننا نستخدم الجهاز الصوتى كأداة للغة من خلال المصادفة الخالصة ، وللبحث عن الملائم والمناسب ، كان على الانسان أن يختار الاشارات (الايماءات) ، ويستخدم الرموز المرئية بدلا من الرموز السمعية . وبدون شك فان افتراضه غير مؤكد بدليل ، فان اللغة لاتتشابه من كل جوانبها مع القوانين الاجتماعية (أنظر ص ٧٣ وما بعدها وص ٧٥ ، ومابعدها) . وفوق ذلك ، فقد ذهب « ويتنى » بعيداً جدا عندما قال ان اختيارنا قد وقع على أعضاء النطق ، فإن الإختيار قد فرضته الطبيعة بشكل أو بآخر .

ولكن اللغوى الامريكى مصيب فى النقطة الأساسية ، اللغة اصطلاحية، وطبيعة العلامة الموافقة لها ليست مشكلة . ان مسألة جهاز النطق تحتل بوضوح مكانا ثانويا فى مشكلة الكلام . ان تعريفا واحدا للكلام المنطوق يجب أن يؤكد هذه النتيجة . بالتطبيق على الكلام والصيغة اللاتينية articulus تعنى العضو ، جزء ، أجزاء صغيرة من التتابع، يدل النطق اما الأجزاء الصغيرة للسلسلة الكلامية داخل

المقاطع أو الأجزاء الصغيرة لسلسلة المانى داخل وحدات دالة . والمصطلح gegliederte Sprache يستعمل فى المعنى الثانى فى الألمانية . وباستعمالنا للتعريف الثانى ، نستطيع القول أن ما هو طبيعى للانسان ليس الكلام الشفوى ولكن القدرة على تشكيل اللغة وبنائها ، أعنى نظام من علامات محددة توصل أو تتطابق مع أفكار محددة .

لقد اكتشف بروكا Broca أن ملكة الكلام تقع فى الثلث الأمامى الايسر من تلافيف الدماغ ، ولقد استخدم اكتشافه فى التأكيد على الصفة الطبيعية للكلام . ولكننا نعلم أن نفس هذا الجزء من الدماغ هو مركز كل شىء يتعلق بعملية الكلام ومن ضمنها الكتابة .

إن المقولات السابقة ، مجتمعة مع الملاحظات التى قدمت فى حالات الحبسة (عدم المقدرة على النطق بسهولة) المختلفة الناتجة عن أذى أصاب المواقع المركزية، يمكن أن تدل :

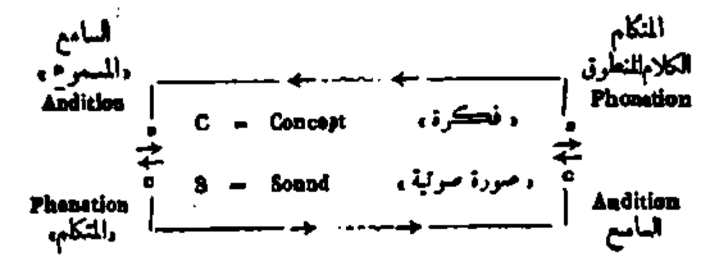
١) على أن الاضطرابات المختلفة للكلام الشفوى متصلة بعشات الطرق مع تلك الموجودة فى الكلام المكتوب ،

٢) أن كل ما فقد فى كل حالات الحبسة أو (الأوجرافيا Ograpbia) يضعف ملكة أو قدرة انتاج الصوت المطلوب أو كتابة العلامة المطلوبة أكثر من قدرة استدعاء أو استحضار - وبصرف النظر عن ما هيتها - علامات النظام المطرد للكلام بمساعدة الأداة. ان المفهوم الواضح الذى يقع تحت توظيف الأعضاء المختلفة هناك يحدث ملكة عامة أكبر تحكم العلامات التى تشكل الملكة اللغوية المناسبة . وهذا يقودنا إلى نفس النتيجة السابقة . ولإعطاء اللغة المكان الأول فى دراسة الكلام ، نستطيع أن نقدم المناقشة الأخيرة . ان القدرة على نطق الكلمات

- سواء كانت طبيعية أولا - تمارس فقط بمساعدة الأداة المبتكرة بواسطة التجميع والتجهيز لاستعمالها ، ولهذا السبب ، فان القول بأن اللغة تعطى الوحدة للكلام لايعد قولا وهميا أو خياليا .

٢ - «وضع» مكان اللغة فى حقائق الكلام :

حتى نتمكن من فصل الجزء الخاص باللغة عن الكلام ككل ، علينا أن نختبر الحدث الفردى الذى يمكن من خلاله إعادة بناء الدائرة الكلامية. والحدث يتطلب حضور شخصين على الأقل ، وهذا هو الحد الأدنى الضرورى لاكمال الدائرة . افترض أن شخصين «أ» و «ب» يتحاوران مع بعضهما . ولنفترض أن مفتاح الدائرة فى دماغ «أ» ، الذى تترابط فيه الحقائق الفكرية مع مايمثلها من الأصوات اللغوية (الصور الصوتية) المستعملة فى تعبيرهم . الفكرة المعطاة لاتبدو متطابقة مع الصور الصوتية فى الدماغ ، هذه ظاهرة نفسية خالصة يتبعها بالتـــالى عملية (فسيولوجية) عضوية : الدماغ ينقل الأثر أو الدافع المتطابق مع الصورة إلى الأعضاء التى تستخدم فى انتاج الصورة . ثم تنتقل الموجات الصوتية من فم «أ» إلى أذن «ب» : عملية فيزيائية خالصة . وبعد ذلك ، تستمر الدائرة فى «ب» ، ولكن النظام معكوس من الأذن إلى العقل، الانتقال الفسيولوجى للصورة الصوتية فى الدماغ ، التجميع النفسى للصورة مع الفكرة المطابقة . إذا تكلم «ب» بعد ذلك فان الحدث الجديد سيسير ــ مع دماغه إلى «أ» ــ تماما كما حصل فى الحدث الأول ويمر بنفس الأشكال المتتابعة ، التى سأوضحها بالشكل الآتى :



والتحليل السابق لايدعى فيه الكمال . وعلينا أيضا أن نعزل الشعور السمعى الخاص ، تطابق ذلك الشعور مع الصورة الصوتية الأخيرة ، الصورة العضوية للكلام المنطوق (الملفوظ) : الخ . لقد حصرت عناصر الفكرة لتكون الاساس، ولكن الرسم يظهر عند النظر اليه الفارق بين الجانب الفيزيائى (الموجات الصوتية) والجانب الفسيولوجى المنطوق والمسموع ، والأجزاء النفسية (صور الكلمة والافكار) . فى الحقيقة ، علينا أن لانفشل فى ملاحظة انفصال صورة الكلمة عن الصوت نفسه ، وان ذلك يكون نفسيا مثله مثل الفكرة التى يرتبط بها . والدائرة التى وضحتها يمكن تقسيمها إلى :

أ) قسم خارجى يتضمن الاهتزازات الصوتية التى تنتقل من الفم إلى الاذن ، والقسم الداخلى الذى يتضمن كل شىء آخر .

ب) القسم النفسى وغير النفسى ، ويتضمن الشـانى النتاجات العضوية (الفسيولوجية) للأعضاء الصوتية مثلها مثل الحقائق الفيزيائية التى تكون خارج نطاق الفرد .

جـ) القسم المعلوم والمجهول : كل شىء يتوجه من مركز تداعى المعانى للمتكلم إلى أذن السامع يعد معلوما ، وكل شىء يتوجه من أذن السامع إلى مركز تداعى المعانى عنده يعد مجهولا .

د) أخيرا ، كل شيء معلوم في الجزء النفسي من الدائرة يعد أداء (ارسالا) .

(S → C) ، وكل شيء مجهول يعد تلقيا (استقبالا) (C → S) . وعلينا أيضا أن نضيف ملكة التجميع (تداعي المعاني) والتنسيق التي نجدها طالما ابتعدنا عن العلامات المفردة ، هذه الملكة تلعب الدور الأساسي في التنظيم اللغوي باعتبارها نظاما (أنظر ص ١٢٢ وما بعدها) .

ولكن حتى نفهم بوضوح دور ملكة التجميع والتنسيق ، علينا أن نترك والجهد ، الحدث الفردي الذي هو جنين الكلام ، ونقرب الحقيقة الاجتماعية .

عبر كل الأفراد الذين ربط الكلام بينهم ، سيظهر نوع ما من المستوى : سيعيدون جميعهم انتاج — ليس تماما بالطبع ، ولكن تقريبا — نفس العلامات موجدة مع نفس الافكار .

كيف يحدث التبلور Crystalization الاجتماعي اللغة ؟

أي أقسام الدائرة يمكن معقدا أو مشوشا ؟ بالنسبة لجميع الاقسام فإنها لاتشارك بالتساوي فيها . أما القسم غير النفسي فيمكن اخراجه من المنظور .

عندما نسمع اناسا يتكلمون لغة لانعرفها ، فاننا نستقبل الأصوات ولكنها تبقى خارج اطار الحقيقة الاجتماعية لأننا لم نفهمها ، حتى ولو كان الجانب النفسي من الدائرة يتحمل المسئولية كاملة . فان الجانب الادائي (الارسالي) مفقود ، ان الأداء أو الارسال لايكون أبدا من المجموع .

ان الأداء (الارسال) فردي دائما ، والفرد هو سيده الدائم . سأسمي الجانب الأدائي التنفيذي الكلام (Parole) . من خلال أداء ووظيفة ملكات الاستقبال والتنسيق ، فان الانطباعات التي تدرك بشكل واحد عند الجميع تكون قد فرضت على أفكار المتكلمين .

كيف نستطيع تصور الانتاج الاجتماعي بطريقة تجعل اللغة (مستقلة) عن أي شيء آخر ؟ إذا استطعنا حصر مجموع صور الكلمات المخزونة في عقول كل الأفراد فاننا نستطيع مطابقة الرابطة الاجتماعية التي شكل اللغة . انها مخزون علوه بأعضاء من مجتمع معين عبر استعمالهم النشيط للكلام ، ان النظام النحوي له وجود قوي في كل عقل أو بصورة أدق ، في عقول مجموعة من الأفراد ، لأن اللغة ليست موجودة بالكامل عند أي متكلم ، إن وجودها الكامل فقط داخل المجموعة . في فصل اللغة عن الكلام (في التفريق بين اللغة والكلام) فنحن نفرق في نفس الوقت .

١ – بين ما هو اجتماعي وما هو فردي ،
٢ – بين ما هو أساسي وما هو ثانوي وحجم المصادفة .

ليست اللغة وظيفة أو عمل للمتكلم ، انها انتاج تمثله الفرد بطريقة مجهولة . انها تتطلب التروي دائما ، وتدخلها (الفكرة) فقط من أجل الوصف والتصنيف ، الذي سنتناوله فيما بعد (أنظر ص ١٢٢ وما بعدها) . أما الكلام بالمقابل ، فهو حدث فردي . انه متعمد و عقلي من خلال الحدث ، علينا أن نميز بين :

١ – التجمعات التي يستعمل بواسطتها المتكلم قواعد اللغة ليعبر عن فكرته ،
٢ – والعامل الفيزيائي النفسي الذي يسمح له بتجسيد تلك التجمعات .

لاحظ أنني عرفت وحددت الأشياء أكثر من تحديدي الكلمات ، هذه التحديدات لا تتعرض الخطر بواسطة الكلمات الغامضة نوعا ما والتي ليس لها معان مطابقة في اللغات المختلفة . على سبيل المثال ، الكلمة الألمانية Sprache تعني اللغة والكلام Rede ، كذلك تتطابق مع التكلم ولكنها تضيف الدلالة الخاصة

للمعادنه . والكلمة اللاتينية Sermo تعبر عن الكلام والتكلم ، بينما Lingua تعنى « اللغة » .. الخ .

لا يوجد كلمة تتطابق تماما مع أى من المفاهيم المحددة قبل ، لهذا جرت تحديدات الكلمات بطريقة غير منتظمة ، الابتداء من الكلمات فى تحديد الأشياء يعتبر اجراءاً رديئا .

لنلخص ، هذه هى خصائص اللغة أو ميزاتها :

١ — اللغة موضوع محدد جيداً فى كتلة من العناصر المتغايرة لحقائق الكلام . انه يمكن وصفها فى جزء محدد من الدائرة الكلامية عندما تجتمع الصورة السمعية مع الفكرة .

. انها الجانب الاجتماعى للكلام ، انها خارج نطاق الفرد الذى لا يستطيع ابتكارها (خلقها) ولا تغييرها بنفسه ، انها تتواجد (تحدث) فقط بفضل نوع ما من العقد الموقع من أعضاء الجماعة . وفوق ذلك ، على الفرد أن يتخذها مهنة حتى يتعلم أداء اللغة ، فالطفل يتمثلها تدريجيا . انها شىء متميز بحيث أن الرجل الذى حرم من استعمال الكلام يحتفظ بما زودته به لأنه يفهم العلامات الصوتية التى يسمعها .

٢ — اللغة ، لاتشبه الكلام ، هى شىء يمكن دراسته منفرداً . اللغات الميتة لم يتكلم بها لمدة طويلة ، ومع ذلك فاننا نستطيع بسهولة تمثل أنظمتها اللغوية . نستطيع أن نستغنى عن العناصر الأخرى الكلام ، فى الحقيقة ، ان علم اللغة يكون ممكنا فقط إذا استبعدت العناصر الأخرى .

٣ — بينما الكلام متغاير العناصر فان اللغة كما حددت متجانسة التكوين . انها

نظام من العلامات التى يكون توحد المعانى والصور الصوتية فيها الشىء الأساسى والوحيد ، ويكون فيها قسما العلامة نفسيين .

٤ ـ اللغة حسية مادية بشكل ليس أقل من الكلام ، وهذا عامل مساعد لنا فى دراستنا لها .

العلامات اللغوية التى هى فى الأساس نفسية ، ليست مجردات ، التجمعات التى تحمل طابع الموافقة الجمعية ـ والذى يجمعها مع بعضها تشكيل أو بناء اللغة ـ تعد حقائق لها مكانها فى العقل . بجانب هذا ، فان العلامة اللغوية مادية ملموسة ، ومن الممكن تحويلها إلى رموز كتابية اصطلاحية ، بينما يكون من المستحيل عليها أن تقدم صوراً مفصلة لأحداث الكلام actes de parole . ان نطق حتى أصغر كلمة يتطلب عددا غير محدود من التحركات العضلية التى يمكن أن تتطابق وتوضع فى صيغة كتابية بصعوبة كبيرة .

فى اللغة ، وبالمقابل ، هناك فقط الصوتية ، والأخيرة يمكن ترجمتها إلى صورة مرئية دقيقة . ولهذا إذا لم نحسن التعامل مع العدد الكبير من التحركات الضرورية لتحقق الصور الصوتية فى الكلام ، سوف نرى أن كل صورة صوتية ليست أكثر من مجموعة من عدد محدود من العناصر أو الفونيمات (الوحدات الصوتية) التى يمكن بالتالى استعادتها بعدد مطابق من الرموز المكتوبة (أنظر ص ٦١ وما بعدها) .

ان الامكانية الكبيرة لوضع الأشياء التى تتعلق باللغة فى صيغ كتابية تسمح للمعاجم وكتب النحو أن تمثلها بدقة . لأن اللغة هى مخزن الصور الصوتية ، والكتابة هى الصيغة المادية أو الشكل الملموس لتلك الصور .

٣ — وضع اللغة أو مكانها فى الحقائق الانسانية : علم العلامات Semiology

ان الخصائص السابقة للغة تكشف عن ميزة أكثر أهمية . لقد اتضحت حدود اللغة عبر معطيات الكلام، ويمكن تصنيفها داخل الظاهرة الانسانية ، بينما لايمكن فعل ذلك مع الكلام . لقد عرفنا أن اللغة (قانون اجتماعى) مؤسسة اجتماعية ، ولكن هناك ملامح ومميزات متعددة تفصلها عن المؤسسات السياسية والقانونية .

علينا أن نبحث عن نوع جديد من الحقائق حتى نستطيع توضيح الطبيعة الخاصة للغة .

اللغة هى نظام من العلامات الذى يعبر عن الأفكار ، ولذلك فهى مشابهة لنظام الكتابة ، لأبجدية الصم ، للطقوس والمذاهب الرمزية ، لصيغ المجاملة ، للاشارات العسكرية ، الخ . ولكنها أهم من كل هذه الانظمة . لقد أصبح ممكنا تصور ذلك العلم الذى يدرس حياة العلامات داخل المجتمع ، ولابد أن يكون جزءا من علم النفس الاجتماعى وبالتالى من علم النفس العام، سوف أسميه Semiology علم العلامات (فى Semeion اليونانية «علامة») .

علم العلامات سوف يبين ما الذى يشكل العلامات ، ما القوانين التى تحكمها .

ولأن العلم لم يظهر للوجود إلى الآن، فلا أحد يستطيع القول ماذا سيكون، ولكن له حق الوجود ، لقد دق أول رائد فى التقدم . علم اللغة هو جزء فقط من العلم العام لعلم العلامات، ان القوانين المكتشفة بواسطة علم العلامات (السيميولوجيا) سوف تكون ملائمة لعلم اللغة ، والأخير سوف يعين مجاله المعروف جيدا داخل كتلة الحقائق الانثروبولوجية (علم الاجناس البشرى) .

ان تحديد المكان الصحيح لعلم العلامات هو من عمل أو من واجبات عالم النفس .

وهل اللغوى أن يكشف عما يجمل اللغة نظاماً خاصاً داخل كتلة (المعطيات السيميولوجية) معطيات علم العلامات سنعود لهذا البحث فيما بعد مرة أخرى، أرغب هنا فقط فى التنويه على شىء واحد : إذا كنت قد نجحت فى تحديد مكان علم اللغة بين العلوم ، فان ذلك يعود لربطى اياه بعلم العلامات .

لماذا لم يعرف علم العلامات حتى الآن كعلم مستقل له موضوعه الخاص مثل كل العلوم الاخرى ؟

لقد كان اللغويون يحاورون (حوله) فى حلقات : اللغة أفضل من أى شىء آخر ، تعطينا القواعد لتفهم المشكلة السيميولوجية ، ولكنه كان يجب على اللغة ، حتى تضعه فى مكانه الصحيح ، أن ندرس اللغة فى ذاتها ، وهنا بالنسبة للغة فانها كانت تدرس دائما مرصوزة بشىء آخر ، من وجهات نظر أخرى، وهناك قبل كل شىء المفهوم السطحى لعامة الناس : فالناس لاتعرف أكثر من النظام الاسمى المعطى فى اللغة (أنظر ص ٦٥) . وبذلك فأى بحث فى طبيعتها الحقيقية محظور .

وبعد هذا ، فهناك وجهة نظر عالم النفس ، الذى يدرس فاعلية mechanism العلامة فى الفرد، هذا هو أسهل منهج ولكنه لايوصل نحو الأداء الفردى ولايصل إلى العلامة التى تعد اجتماعية . أو حتى عندما تدرس العلامات من وجهة النظر الاجتماعية فقط فإن المميزات التى تصل اللغة بالمؤسسات الاجتماعية الاخرى — تلك التى تكون ارادية أو مقصودة بكثرة أو بقلة — قد تأكدت ، وكنتيجة ، لقد ابتعدوا عن الهدف by - passed والمميزات الخاصة بأنظمة علم العلامات بشكل عام وباللغة بخاصة (مرفوضة تماما) تجوهلت تماما . بالنسبة الخاصية المميزة للعلامة — ولكن الشىء الذى يبدو أقل وضوحا من النظرة الأولى — هى بشكل ما تلك التى تحجب (تمنع) الارادة الاجتماعية أو الفردية دائما .

باختصار، ان الخصائص التى تميز الأنظمة السيميولوجية عن جميع المؤسسات الأخرى تظهر بوضوح فقط فى اللغة عندما تظهر فى الأشياء التى لم تدرس بشكل كاف ، والضرورة أو القيمة المميزة لعلم السيميولوجيا لهذا السبب لم تعرف بشكل واضح .

ولكن بالنسبة لى ، فان مشكلة اللغة سيميولوجية بشكل رئيسى ، وأن كل التطورات استمدت أهميتها من تلك الحقيقة المهمة . إذا كنا سنكتشف الطبيعة الحقيقية للغة فعلينا أن نعرف الجوانب المشتركة بينها وبين جميع الأنظمة السيميولوجية ، ان القوى اللغوية التى تبدو عظيمة الأهمية لأول وهلة (على سبيل المثال ، دور الجهاز الصوتى) سوف تحظى بتقدير ثانوى فقط إذا عملت فقط على فصل اللغة عن الأنظمة الاخرى . هذا الاجراء سوف يقوم بأكثر من دور الموضح للمشكلة اللغوية .

. . بدراسة الطقوس (المذاهب) . التقاليد ، الخ ، مثل العلامات ، فانى اعتقد أننا نلقى ضوءاً جديداً على الحقائق ونبرز الحاجة لضمها فى علم السيميولوجيا ويفسرها بواسطة قوانينها .

الفصل الرابع

علم اللغة اللغوي وعلم اللغة الكلامي

عند وضع علم اللغة ضمن الدراسة الكلية للكلام ، أكون قد وضعت كل علم اللغة . كل عناصر الكلام الأخرى — تلك التي تشكل الكلام — تخضع نفسها بصورة للعلم الأول ، وهي بفضل هذا الخضوع أو التبعية تجد أقسام علم اللغة مكانها الطبيعي .

إفترض ، على سبيل المثال، أن إنتاج الأصوات ضروري للكلام . فالأعضاء الصوتية تعد خارجية بالنسبة للغة مثل الأجهزة الكهربائية المستعملة في نقل أو إرسال شفرة مورس إلى الشفرة نفسها ، والنطق ، أعني ، تنفيذ أو أداء الصور الصوتية ، فانها لا تختار النظام نفسه بأي شكل . أن اللغة تشبه — السمفونية في أن ما تمثله السمفونية لا تعرض هذه الحقيقة للخطر . ان الحجة المواجهة لتفريق النطق عن اللغة يجب أن تكون التغيرات الصوتية ، التناوبات في الأصوات التي تحدث في الكلام والتي تمارس تأثيراً عميقاً على مستقبل اللغة نفسها .

هل نملك الحق في الادعاء بأن اللغة تعيش مستقلة عن التغيرات الصوتية ؟ نعم ، لأنها تختار فقط الجوهر المادي للكلمات (من الكلمات) . وإذا ما جرا اللغة على أنها نظام من العلامات ، انها فقط بطريقة غير مباشرة ، عبر التغيرات المتعاقبة للتفسير أو الشرح ، ليس هناك شيء صوتي في الظاهر (أنظر ص ٨١).

ان تحديد أسباب التغيرات الصوتية قد يكون له أهمية ودراسة الأصوات

سيكون مفيداً بالنسبة لهذه النقطة ، ولكن ليس أى من هذه أساسياً : فى علم اللغة، كل ما نحتاج إلى عمله هو ملاحظة التحولات الصوتية وحساب تأثيراتها . ان ماقلناه عن النطق ينطبق على كل أقسام الكلام ، فنشاط المتكلم يجب أن يدرس فى عدد من الأبحاث أو المجالات التى ليس لها مكان فى علم اللغة إلا من خلال علاقتها باللغة .

وهكذا فدراسة الكلام ثنائية (مزدوجة) : جزؤها الرئيسى — يأخذ اللغة على أنها موضوعه ، التى يعد إجتماعيا خالصا ومستقلا عن الفرد — نفسى على وجه الخصوص ، وجزؤها الثانوى — الذى يتخذ الجانب الفردى من الكلام موضوعا له ، أعنى ، التكلم ، متضمناً النطق — فيزيائى نفسى . وبدون شك فان الموضوعين متصلان تماماً ، كل منها يعتمد على الآخر : فاللغة ضرورية حتى يكون الكلام مفهوماً ويؤدى كل تأثيراته ، ولكن الكلام ضرورى لاقامة اللغة وتأسيسها ، وتاريخياً فان حدوث الكلام يكون أولا . كيف يأخذ المتكلم على عاتقه (كيف يعتمد المتكلم على نفسه) فى أن يربط الفكرة مع صورة الكلمة إذا لم يسبق له مرافقة الحدث الكلامى ؟

وفوق ذلك ، لقد تعلمنا لغتنا الأم عن طريق سماع الآخرين (الإنصات إلى الآخرين) ، وبعد خبرات طويلة فقط تستقر فى عقلنا . أخيراً ، الكلام هو الذى يسبب التطور اللغوى : الإنطباعات تتجمع من سماع الآخرين وهم يحورون عاداتنا اللغوية . فاللغة والكلام يعتمد كل منها على الآخر ، فالسابق هو أداة ونتاج الثانى . ولكن إعتمادهما على بعضها لا يمنع كونها شيئين متميزين بشكل مطلق . واللغة توجد على شكل كية من الإنطباعات المستقرة فى عقل كل عضو من الجماعة . كما أنها تشبه المعجم الذى توزع منه نسخ متطابقة لكل فرد (أنظر ص

١٢) . اللغة موجودة عند كل فرد ، فهي مشتركة بين الجميع – ولا تختار بشكل إرادى عند المستقرة عندهم .

يعبر الشكل الآتى عن طريقة تواجدها :

١ + ١ + ١ + ١ ٠٠ ٠٠ = ١ (نموذج جمعى) .

ما الدور الذى يلعبه الكلام فى نفس الجماعة ؟ إنه مجموع ما يقوله الناس ويتضمن :

أ) التركيبات الفردية التى تعتمد على إرادة المتكلمين .

ب) الأحداث النطقية المقصودة المتساوية الضرورية لأداء هذه التركيبات .

فالكلام هكذا ليس أداة أو وسيلة جمعية ، ظاهرة فردية ولحظية . هناك فى الكلام فقط كية من الأحداث الخاصة كما هو فى الشكل :

(١ + ١' + ١'' + ١''' ٠٠٠٠)

لكل الأسباب السابقة ، فان النظر إلى اللغة والكلام من نفس وجهة النظر سيكون أمراً وهمياً أو غريباً . وبتناولها ككل ، فالكلام لا يمكن دراسته لأنه غير متجانس ، ولكن الاختلاف واتبعية تحتاج هنا إلى توضيح كل البحث . هنا هو التفريع الأول الذى نجده فى محاولتنا لتشكيل (النظرية الكلامية) نظرية الكلام . وعلينا أن نختار بين طريقين لا يمكن متابعتها معاً ، لا بد من متابعة كل منهما على حدة على الشخص إذا وجد استعمال مصطلح علم اللغة ضرورة حقيقية لكل من المجالين فعليه أن يتكلم عن علم اللغة الكلامى . ولكن ذلك العلم يجب أن لا يختلط مع علم اللغة الخاص ، الذى تعد اللغة موضوعه الوحيد . وسوف أوجه عنايتى فقط لعلم اللغة اللغوى ، وإذا استعملت بالتالى مادة تخص الكلام لتوضيح نقطة ، فإنى سأحاول عدم محو وإزالة الحدود التى تفصل بين الميدانين .

الفصل الخامس

العناصر الخارجية والداخلية للغة

إن تحديدي للغة يفترض مقدما إقصاء كل شيء يقسم خارج عضويتها أو نظامها ـ باختصار ، عن كل شيء معروف على أنه « علم اللغة الخارجي » . ولكن علم اللغة الخارجي يتناول أشياء كثيرة هامة ـ أكثر الأشياء التي نفكر فيها عندما نبدأ دراسة الكلام .

أولا ـــ وقبل كل شيء ، تأتي كل النقاط عندما تلتقي حدود علم اللغة مع حدود علم الاعراق البشرية (Ethnology) كل العلاقات التي تربط تاريخ اللغة وتاريخ الجنس البشري أو الحضارة .

إن التفاعل القوي بين اللغة والانثروبولوجيا الوصفية (Ethnography) يقدم لنا الروابط التي تجمع الظاهرة اللغوية تماما (أنظر ص ٧ وما بعدها) .

إن ثقافة الأمة تؤثر على لغتها ، واللغة من جهة أخرى ، عليها مسئولية كبيرة اتجاه الأمة . وتأتي ثانيا العلاقات بين اللغة والتاريخ السياسي . الحوادث التاريخية الكبيرة مثل الغزو الروماني كان لها تأثير غير محدود (واسع الأثر) على مجموعة من الحقائق اللغوية .

الاستعمار ، الذي يعتبر شكلا واحداً فقط ، وهو أن المنتصر يمكن أن يأخذ،

تحدث وبسبب تغيرات في تلك اللغة . وذلك بنقلها إلى بيئات مختلفة . كل أنواع الحقائق يمكن أن يستشهد بها على أنها دليل قوى . على سبيل المثال ، لقد تبنت النرويج الدمركية عندما توحدت سياسياً مع الدانمارك ، ويحاول النرويجيون الآن إزالة ذلك التأثير اللغوى . السياسة الداخلية للحكومات لا تقل أهمية في تأثيرها على حياة اللغـة ، بعض الحكومات (مثل سويسرا) تسمح بتواجد لغات متعددة ، وأخريات (مثل فرنسا) تناضل من أجل الوحدة اللغوية .

إن مرحلة التقدم الحضارى تفضل أو تساعد تطور اللغات الخاصة (اللغة القانونية ، المصطلح العلمى . . الخ) .

وهنا نأتى إلى النقطة الثالثة : العلاقات بين اللغة وجميع أنواع المؤسسات (الكنيسة ، المدرسة ، الخ) . كل هذه المؤسسات بالتالى مرتبطة تماماً بالتطور الأدبى للغة ، الظاهرة العامة أنها جميعاً أكثر التصاقاً وملازمة من التاريخ السياسى .

تقوم اللغة الأدبية عند كل نقطة بمراقبة الحدود التى وضعها الادب بوضوح ، نحن بحاجة إلى دراسة أثر الصالونات ، المحكمة ، والمعاهد القومية . وفوق ذلك ، فإن اللغة الادبية تبرز القضية المهمة للصراع بين اللهجات المحلية (أنظر ص ١٩٥ وما بعدها) ، كما أن واجب اللغوى أيضا أن يختبر ويمحص العلاقات المتبادلة بين لغة الكتاب واللغة العامية ، لأن كل لغة أدبية تعد نتاجا الثقافة ، وفى النهاية يفصلها عن ميدانها الطبيعى ، اللغة المتكلمة (لغة المحادثة) .

أخيراً ، كل شىء يتعلق بالإنتشار الجغرافى للغات والإنقسامات اللهجية يخص

علم اللغة الخارجي أو ينتمي إليه. وبدون شك فان الفارق أو الخلاف بين علم اللغة الداخلي والخارجي يبدو أكثر نسبية هنا، لأن الظاهرة الجغرافية مرتبطة تماما بوجود أي لغة. ولكن الامتداد الجغرافي والانقسام اللهجي لا يمثار عادة النظام الداخلي للغة. يؤكد بعضهم أن الأبحاث السابقة يمكن فصلها ببساطة عن دراسة اللغة تماما.

لقد سيطرت هذه النظرة بخاصة عندما نركز التأكيد على الحقائق. تماما مثل النظام الداخلي للنبتة فانه مقيد بقوى خارجية (الأرض والمناخ .. الخ). ألا يعتمد النظام النحوي باستمرار على القوى الخارجية للتغير اللغوي؟ يبدو أننا نادراً ما نستطيع تقديم تفسيرات مقنعة أو كافية للمصطلحات التقنية والكلمات الدخيلة التي تكثر في اللغة من غير الأخذ بعين الإعتبار تطورها. هل من الممكن تمييز النمو العضوي الطبيعي اللغة عن الصيغ الصناعية، مثل اللغة الادبية التي تنتمي إلى الخارجي (علم اللغة الخارجي)، وهكذا القوى غير العضوية؟

اللغات المشتركة تتطور دائما من خلال اللهجات المحلية. أعتقد أن دراسة الظاهرة اللغوية الخارجية أكثر فائدة، ولكن أن نقول إننا لانستطيع فهم النظام اللغوي الداخلي من غير دراسة الظاهرة الخارجية يعد خطأ.

خذ على سبيل المثال استعارة الكلمات الأجنبية. نلاحظ في البداية أن الاقتراض ليس قوة مطردة أو متواصلة في حياة اللغة في بعض الوديان المنعزلة توجد لهجات لم تأخذ أبداً أي مصطلح (صناعي) من الخارج. فهل علينا أن نقول، ن مثل هذه اللغات خارجة عن حالات الكلام الطبيعي وأنها تتطلب دراسة عجيبة الشكل teratological بقدر رفضها لعملية الامتزاج؟ بقي شيء مهم، أن الكلمة الدخيلة (المقترضة) لاتحسب على أنها دخيلة عندما تدرس

داخل النظام ، ولكنها تبق فقط من خلال علاقتها وتناقضها مع الكلمات المرافقة لها مثل أى علامة أصلية .

المعلومات عن الظروف التى تعزى إلى التطور الفردى ، الكلام بشكل عام ، ليست لازمة أو أساسية أبداً . لأن بعض اللغات ــ على سبيل المثال ، الزندية والسلافية القديمة ــ حتى هوية المتكلمين الأصليين غير معروفة ، ولكن نقص مثل هذه المعلومات لا يمنعنا بأى شكل من دراسة هذه اللغات داخليــا أو بشكل ذاتى ، ومعرفة التحولات التى خضعت لها . على أى حال ، فان الفصل بين وجهتى النظر يعد الزاميا ، وبقدر فصلهما عن بعض بقدر ما يكون ذلك أفضل . إن أفضل دليل للحاجة إلى الفصل بين وجهتى النظر هو أن كلا منهما يبتكر منهجا مميزا . إن علم اللغة الخارجى يستطيع أن يضيف تفصيلا إلى تفصيل دون أن يحكم عليه فى صورة من النظام . كل كاتب ، على سبيل المثال ، سوف يجمع الحقائق المناسبة من وجهة نظره حول إنتشار اللغة تبعاً لاقليمها . فإذا بحث عن القوى التى أبدعت اللغة الادبية بجانب اللهجات المحلية ، فإنه يستطيع إستعمال قائمة بسيطة دائما . وإذا كان يرتب الحقائق بشكل قل أو أكثر تنظيميا ، فانه سيعمل هذا لمجرد البحث عن الوضوح . فى علم اللغة الداخلى فإن الصورة تختلف كليا . سوف لا يقوم بأى ترتيب أو تنظيم . اللغة نظام لها ترتيبها الخاص بها .

مقارنتها مع الشطرنج سوف يوضح النقطة . فى الشطرنج ، ما هو خارجى يمكن عزله نسبيا بواسطة عما هو داخلى . حقيقة إنتقال اللعبة من فارس (إيران) إلى أوربا يعد خارجيا ، مقابل ذلك ، كل شىء

يدخل فى نظامها وقواعدها يعد داخليا . إذا استخدمت رجال شطرنج من عاج بدل رجال من خشب ، فإن التغيير لا يؤثر على النظـــام ، ولكن إذا زدت أو أنقصت عدد رجال الشطرنج ، فإن هـــذا التغيير يكون له تأثير عميق على « نحو » اللعبة .

ولابد دائما من التمييز بين ما هو خارجى وما هو داخلى ، فى كل مثال يمكن أن تتحدد طبيعة الظاهرة بتطبيق هذه القاعدة : كل شئ يغير النظام بأى شكل يعد داخليا .

الفصل السادس

التمثيل الكتابي للغة

١ - الحاجة لدراسة الموضوع :

إن الموضوع الأساسي لعلم اللغة هو النتاج الإجتماعي المستقر في عقل كل فرد، أعني ، اللغة . ولكن النتاج يتنوع بحسب المجموعات اللغوية : فعلينا أن نتعامل مع لغات . فاللغوي مجبر على تثقيف نفسه (الاطلاع) بأكبر عدد ممكن من اللغات حتى يمكنه تحديد ما هو عالمي فيها عن طريق ملاحظاتها ومقارنتها .

ولكننا بشكل عام نتعرف على اللغات من خلال الكتابة فقط . حتى في دراسة لغتنا القومية فإننا نعتمد باستمرار على النصوص المكتوبة .

تتزايد ضرورة استعمال الدليل الكتابي عند التعامل مع اللغات المنعزلة ، وبصورة أكبر عند دراسة اللغات التي لم تعش طويلا . سوف نحتاج إلى نصوص مباشرة لتكون تحت تصرفنا في كل مثال فقط إذا كان الناس يعملون دائماً ما يعمل الآن في باريس وفينا . هناك ، نماذج من كل اللغات قد سجلت . حتى تلك العينات المسجلة قد أتيحت الآخرين من خلال الكتابة فقط . الكتابة ، تلك التي لا تتعلق بنظامها الداخلي ، تستعمل باستمرار لتمثل اللغة . لانستطيع ببساطة تجاهلها . علينا أن نلم بدرجة فائدتها وعيوبها وأخطارها .

٢ - أثر الكتابة ، أسباب سيطرتها على الشكل الكلامي :

اللغة والكتابة نظامان متميزان للعلامات ، ووجود الثاني من أجل غرض

واحد و هو تمثيل الأول (وجود الكتابة من أجل تمثيل اللغة) . ان موضوع اللغة ليس الصيغ الكلامية والكتابية الكلمات ، ان الصيغ المتكلمة وحـــدها تشكل الموضوع . ولكن الكلمة المتكلمة مقيدة بشكل أساسي بصورتها الكتابية حتى أن الصورة الكتابية تسمى لاغتصاب الدور الرئيسي . حتى أن الناس يعطون أهمية أكبر للصورة الكتابية للعلامة الصوتية من العلامة نفسها .

خطأ مماثل أن يعتقد أنه يمكن معرفة شخص ما عن طريق صورته أكثر من مقابلته مباشرة . هذا الوهم ، الذى يتواجد دائمـــاً ، قد انعكس على كثير من المفاهيم التى يتناقش الناس حولها عادة على موضوع اللغة . خذ المفهوم الذى يقول بأن اللغة تتغير بسرعة أكبر عندما لا توجد الكتابة (عندما لاتكون هناك كتابة) . لا شىء يمكنه الابتعاد عن الحقيقة . من الممكن أن تعوق الكتابة عملية التغيير تحت ظروف معينة ، ولكن غيابها لا يعرض وجود اللغة الخطر بأى شكل . ان أقدم النصوص المكتوبة من اللغة الترابية Lithuanian ، التى مازالت متكلمة فى شرق بروسيا وفى جزء من روسيا ، تحمل تاريخ سنة ١٥٤٠ ، ولكن لغة هذه الفترة المتأخرة تعطى صورة أكثر صدقاً للهندوأوروبية الأصلية مما تعطيه لاتينية سنة ٣ قبل الميلاد ، هذا المثال يكفى لبيان مدى إستقلال اللغات عن الكتابة .

لقد عاشت بعض الحقائق اللغوية البسيطة جداً من غير مساعدة الكتابة . خلال جميع مرحـــلة اللغة الألمانية الفصحى القديمة ، كان الناس يكتبون toten, fuolen, stozen ، وقد ظهرت الصيغ tŏten, fŭelen حـــوالى نهاية القرن الثانى عشر ، ولكن stozen بقيت كما هى .

كيف تأصل الاختلاف ؟ عندما ظهر التغيير العلى « umlaut » (نقطتان فوق حرف العلة فى الألمانية) ، كانت توجد هناك « Y » فى المقطـــع التالى .

إحتملت الألمانية القديمة على الصيغ dampyan, folyan وكذلك stantan . فى البداية المبكرة للمرحلة الأدبية (حوالى ٨٠٠) أصبح حرف « Y » ضعيفا حتى لم يبد له أثر فى الكتابة لمدة ثلاثة قرون ، ولا يزال أثر خفيف متبقيا فى الصيغة الكلامية ، ولكن الأمر العجيب عودة ظهورها على شكل تغير على « umlaut » حوالى سنة ١١٨٠ م] .

بدون مساعدة الكتابة ، إختلاف طفيف فى النطق انتقل على نحو دقيق . وهكذا فاللغة لها تقاليد شفوية ثابتة ومحددة مستقلة عن الكتابة ، ولكن تأثير الصيغة المكتوبة تحجب رؤيتنا هذه .

لقد خلط اللغويون الأوائل بين اللغة والكتابة ، كما فعل أصحاب الدراسات الإنسانية قبلهم . حتى أن «بوب» فشل فى التفريق بين الحروف والأصوات . فإن أعماله تعطى انطباعا بأن اللغة وأبجديتها شيئان متلازمان . وقد وقع تلاميذه الحاليون فى نفس الخدعة ، الصورة الكتابية « th » (للاحتكاكى b) جعلت جريم « Grimm » يعتقد ليس فقط ، أن « th » صوت ثنائى ولكنها أيضا انفجارية مهموسة esplrat d occlusive ، وتبعا لذلك فقد خصص لها مكانا مميزاً فى قانونه عن تغير الأصوات الساكنة (الصوامت) أو Lautverschiebung (أنظر ص ١٤٤) لا يزال الباحثون يخلطون بين اللغة والكتابة . جاستون دى شامبس Gaston de eschamps ، قال ان برثلوت Perthelot قد حمى الفرنسية من التدهور لأنه عارض اصلاح الهجاء ! . ولكن كيف يمكن بيان أثر الكتابة؟

١) أولا ، الشكل الكتابى قد طبع فى أذهاننا وكأنه شىء مستمر وثابت ، وهو أكثر ملاءمة من الصوت للمحافظة على وحدة اللغة عبر الزمن . ومحصلة ذلك ،

فقد ابتكرت وحدة زائفة تماما . إن الرابط الخارجي للكتابة تعد ملاحظته أو الإمساك به أكثر سهولة من الرابط الحقيق ، « الرابط الصوتى » .

٢) يعير غالبية الناس إنتباها كبيراً للانطباعات المرئية بن ساطة لأنها أكثر ثباتا ووضوحا من الإنطباعات السمعية ، ولهذا فهم يفضلون الاول . ان الصورة الكتابية تعمل على فرض نفسها عليهم على حساب الصوت .

٣) اللغة الادبية تجمع على أن الكتابة لا تستحق الاهمية . فانها معاجمها وقواعدها فى المدرسة ، يتعلمها الاطفال عن طريق الكتب ، اللغة محكومة بشكل واضح بنظام ، يتألف هذا النظام من مجموعة مكتوبة من قواعد دقيقة لاستعمال الإملاء Orthography ولهذا تتطلب الكتابة أهمية رئيسية .

النتيجة هى أن الناس ينسون أنهم تعلموا الكلام قبل أن يتعلموا الكتابة ، والتتابع أو النتيجة الطبيعية معكوسة .

٤) أخيراً ، عندما لايكون هناك توافقا بين اللغة والإملاء ، فإن استمرار الخلاف يكون صعبا على كل شخص باستثناء اللغوى ، وإذا لم يقدم حلا للمشكلة ، فان الشكل الكتابى هو الذى يفوز حتما ، لأن أى حل مدعوم بها يكون سهلا ، ولهذا فالكتابة تحمل أهمية لا تستحقها .

٣ ـ أنظمة الكتابة :

هناك نظامان فقط للكتابة :

١) إن كل كلمة فى نظام الكتابة التصويرية « Ideographic » ممثلة بعلامة واحدة غير مرتبطة بأصوات الكلمة نفسها . وكل علامة مكتوبة (تمثل كل الكلمة) (تحديد الكلمة كاملة) وبالتالى ، تعبر عن الفكرة التى تحملها الكلمة .

ان النموذج الكلاسيكى لنظام الكتابة التصويرية هو اللغة الصينية .

٢) النظام العام المعروف بالنظام الصوتى Phonetic يحاول توليد وإيجاد تتابع من الاصوات التى تشكل الكلمة . تكون الانظمة الصوتية فى بعض الاحيان مقطعية ، وأحيانا أخرى أبجدية لحروف هجائية ، أى ، قائمة على عناصر لا يمكن إختزالها مستعملة فى الكلام . علاوة على ذلك ، فان أنظمة الكتابة التصويرية تصبح بشكل مطلق مزيجا عندما تفقد بعض هذه الصور قيمتها الاصلية وتصبح رموزا لأصوات منفردة . ان مقولة ان الكلمة المكتوبة تتجه لتحل محل الكلمة المنطوقة فى عقولنا (فكرنا) هى صحيحة فى كلا نظامى الكتابة ، ولكن هذا الاتجاه يكون أكثر قوة فى نظام الكتابة التصويرية . بالنسبة للصينيين ، فان الصورة الكتابية والكلمة المنطوقة يعدان رمزان لفكرة واحدة ، والكتابة بالنسبة لهم تعد لغة ثانية ، وإذا كان هناك كلمتان لهما نفس الصورة الصوتية مستعملتان فى المحادثة فى الممكن أن يلجأ للكتابة حتى يوضح فكرته . ولكن البديل العقلى للكلمة المنطوقة (توجد منه نتائج المزعجة) لا توجد فيه تتابعات المزعجة التى توجد فى النظام الصوتى ، لأن البديل مطلق نفس الرمز الكتابى يصلح لتمثيل الكلمات فى اللهجات الصينية المختلفة .

سأحدد البحث بالنظام الصوتى ، وبخاصة لما يستعمل اليوم ، النظام الذى نشأ من الابجدية اليونانية .

عندما ابتكرت الابجدية الصوتية — ما لم تستعار وأشتهر بتناقضاتها — لأول مرة قدمت تمثيلا عقليا جيـــداً لله . فيما يتعلق بالمنطوق ، فان اليونانية جديرة بالملاحظة أو التقدير (أنظر ص ٦٤) ولكن علاقة التناسق والتلاؤم بين الكتابة والنطق ليست نهائية . لماذا ؟ لابد من اختبار هذا السؤال أولا كدمه .

٤ ـ أسباب التعارض بين الكتابة والنطق :

سوف أذكر أهم الأسباب من بين الأسباب العديدة لعدم التوافق بين الكتابة والنطق .

أولا : ان اللغة تتطور باستمرار ، بينما تميل اللغة إلى الإستقرار والثبات . النتيجة التي وصلت إليها هذه النقطة هي أن اللغـة لم تتطابق طويلا مع ما هو مفترض أن تسجله .

ان المخطوطات أو الكتابات التي تكون صحيحة ودقيقة في فترة معينة ستبدو سخيفة بعد قرن . لأن الناس مع الزمن يمكن أن يغيروا الرموز الكتابية لتطابق التغيرات النطقية ، ثم يهجرون المحاولة . وقد حدث هذا في الفرنسية في حالة « Oi » :

	الصورة النطقية	الأشكال الكتابية
القرن الحادي عشر	1 rei, Lei,	rei, Lei
القرن الثالث عشر	2 roi, Loi	roi, Loi
القرن الرابع عشر	3 roe, Loe	roi, Loi
القرن التاسع عشر	4 rwa; Lwa	roi, Loi

كما نرى فقد سجلت التغيرات النطقية حتى الفترة الثانية ، فان كل خطوة في تاريخ اللغة كانت متلائمة مع خطوة مماثلة لها في تاريخ الكتابة الكلمات بقيت بدون تغيير بينما إستمر التطور اللغوي ، من تلك اللحظة بدأ التعارض بين اللغة وإملائها (طريقة كتابتها) يزداد حدة . أخيراً ، إن محاولة ربط المصطلحات المتعارضة قد انعكست على النظام الكتابي نفسه : فان التجمع « Oi » يتطلب

قيمة لا تنتسب إلى « O » أو « i » . هذه النماذج يمكن أن تزيد الغموض أو أن تتكاثر بشكل غير محدود . على سبيل المثال ، لماذا يترجب على الفرنسيين أن يكتبوا « mais » لكن ، و « fait » حقيقة ، بينما النطق ماتان الكلمتان me ، fe ؟ ولماذا تحمل « C » غالبا قيمة « S » ؟ .

الجواب على هذا أن الفرنسية احتفظت بالصور الهجائية المهجورة . التهجئة دائما تتخلف أو تتستر خلف النطق . « L » الفرنسية تغيرت اليوم إلى « Y » ، يقول المتكلمون evoyer، mouyer ، تماما مثل ما يقولون « ينظف netloyer » و « ennuyer » ، ولكن الصيغ الكتابية لهاتين الكلمتين لا تزال « يتخلل mouiller » و « يوقظ eveiller » .

سبب آخر للتعارض بين التهجئة والنطق هو هذا : إذا استعيرت الأبجدية من لغة أخرى فقد لا تتلاءم مواردها أو ثروتها مع الوظيفة الجديدة ، فتتواجد الذريعة [1] (على سبيل المثال ، إستعمال حرفين للتعبير عن صوت واحد) . خذ مثلا « b » هذا الصوت الأسناني الاحتكاكي المهموس في اللغة الألمانية . فلما لم يكن في اللاتينية علامة تمثل هذا الصوت فقد استعملوا « th » . لقد حاول شلبريك chilperic الملك الميروفنجي [2] أن يضيف رمزاً خاصا لهذا الصوت إلى الأبجدية اللاتينية ، ولكن محاولته لم تنجح ولاقت « th » القبول . كانت في الانجليزية خلال العصور الوسطى — الحرف المغلق « e » (كما في Sed) .

---

(١) الذريعة : الحجة لحدوث التعارض بين التهجئة والنطق لكي يوائموا بين الهجاء المستعار وأساليبهم في النطق .

(٢) الأسرة الميروفنجية أو الفرنكية حكمت بلاد الغال وألمانيا ما بين سنة ٥٠٠ — ٧٥١ م .

والحرف المفتوح « e » (كما فى Led) ، ولما فشلت الأبجدية فى وضع رموز مميزة للصوتين ظهرت أو ابتكرت الصورتين الحاليتين seed and lead ، تستعمل الفرنسية الرمز الثنائى « ch » لتمثيل الـ « S » الخفيفة أو المهموسة ، أخ . كما يساعد الاشتقاق على توسيع الفجوة بين التهجئة والنطق . وله قوة خاصة خلال بعض الفترات (على سبيل المثال ، عصر النهضة) . وكذلك الاشتقاق الزائف غالبا مايفرض نفسه على تهجئة الكلمة : لقد أقحم حرف « d » فى الكلمة الفرنسية « وزن poids » وكأن الكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية pounds » و poids مشتقة فعليا من pensum ، وإذا كان تطبيق هـــذا الأساس قضاياه الصحيحة قليلة ، فان تهجئة الكلمات تبعا لاشتقاقها فكرة عاطلة . الأسباب الأخرى للتعارض ليست فى مثل هذا الوضوح ، بعض الغرائب أو الشواذ لا يمكن تبريرها حتى على الأسس الاشتقاقية . لماذا تستعمل than بدلا من tun فى الألمانية ؟ لقد ذكرت الـ « h » لتمثل المهموس الذى يتبع الصامت الابتدائى ، لكنه يجب أن يضاف أينما يحدث أو يظهر صوت مهموس ، وهناك كثير من الكلمات المشابهة لم تكتب أبداً فيها الـ « h » (Tugend, Tish, etc) ..

٥ ـ نتائج التعارض :

إذا أردنا وصف وتصنيف التناقضات الذاتية للكتابة فانه سيطول الأمر . هناك مدرر بارز وهو تلك الكثرة من الرموز التى تمثل أو تعبر عن صوت واحد.

بالنسبة لـ $\check{Z}$ الفرنسية تستعمل J, g, ge (الترثار geai وبجمد geler وجميل Joli) وبالنسبة لـ Z تستعمل الاثنين z and s ، وبالنسبة لـ s, c, ç, t (ميال القبول acquiescent) و (قبول ac acquiesce) و (أمة nation) و (عشرة dix) x وبالنسبة لـ c غالبا تستعمل c, qu, k, ch, cc, cqu

ويكتسب acquerir، وبالمقابل، رمز واحد يمثل أو يعبر عن قيم متعددة: بالنسبة لـ x تمثل الـ s والـ S، والـ g تمثل g and s الخ. التهجئات غير المباشرة جديرة باهتمامنا أيضا. لايوجد صامتان فى settet, tailler الخ، تستعمل الألمانية tt, ll الخ، لمجرد الدلالة على أن حرف العلة السابق مفتوح وقصير. ويسبب انحراف أو إضطراب مماثل تضيف الانجليزية الساكن النهائى e لتطيل صوت العلة السابق: mad، made فصوت الـ e الذى ينقل عادة المقطع السابق (الاول)، يخلق مقطعا ثانيا بالنسبة للعين. والصور الهجائية غير المنطقية لا تزال تمثل شيئا فى اللغة، ولكن الأخريات ليس لها وجه ولاسبب. لايوجد فى الفرنسية صامتان باستثناء صيغ الاستقبال القديمة:

mourrai و «سأركض courrai»، و «سأموت» etc.

بينما يكثر وجود الصامتين فى املاء sottise (orthography) اللغة:

bourru و «يقاس» souffrir و «جنون و غباء» و «بالتأكيد» etc.

إن الكتابة تتذبذب مع الزمن لكونها غير ثابتة وفى صراع مستمر من أجل الاضطراد والانتظام. والنتيجة هو تقلب الصور الكتابية (صور الاملاء) التى تنشأ من محاولات تسجيل الأصوات فى فترات مختلفة. خذ الألفاظ الآتية فى الألمانية الفصحى القديمة:

erthe, erdha, erda, or thri, dhri

ترى أن th, dh, d تمثل نفس العناصر الصوتية. ولكن أى عنصر؟ ولكن الكتابة لا تقدم الجواب. فإن التعقيد الذى يظهر هو هذا: مواجهة تهجئتين لنفس الكلمة، فاننا لانستطيع أن نؤكد أو نقرر أيا من النطقين هو الممثل حقيقة.

لنفترض أن نصوص اللهجات المجاورة تقدم الصورة الكتابية « a ، ae ، للكلمة في إحدى اللهجات و aucha لنفس الكلمة في لهجة أخرى ، إذا كان الصوت واحداً فان النسخ الخطية (الكتابات) تشير إلى وجود تقلب في الصور الكتابية (تقلب إملائي) ، وإذا لم يكن الصوت واحداً ، فإن الاختلاف يكون صوتيا ولهجيا ، كما في الصيغ اليونانية Paizo, paizdo, paiddō أو أن فترتين متعاقبتين تشابكتا أو تداخلتا . الصيغ الانجليزية hwat, hweel, etc التي حل بدلا منها أخيراً what, wheel إلخ . فهل هذا يشير إلى تغير كتابي أو إلى تغير صوتي ؟ .

يتلخص البحث السابق فيما يلي : الكتابة تسبب الغموض للغة ، إنها لا توضح اللغة ، ولكنها تسترها وتجعلها غامضة . تلك الحقيقة نبينها بشكل واضح الصورة الكتابية (تهجئة الكلمة الفرنسية « طائر » Oiseau ، أن رمزها الكتابي لا يشير إلى صوت متكلم واحد منها wazo . لقد فشلت الكتابة هنا في تسجيل أي جزء من صورة اللغة . ونتيجة أخرى هي أن (أقل ما تمثله الكتابة) ما هو مفروض أن تقدمه وهو الإتجاه بقوة لاستعمالها وكأنها أصبحت قواعد وأسس . لم يقصر النحويون أبداً في الإلتفات إلى الصيغة المكتوبة . لقد فسر الإتجاه أو الهدف ببساطة نفسيا ، ولكن نتائجه مزعجة . إن الاستعمال الحر للكلمتين ، النطق pronunciation التلفظ pronounce ، يميز إساءة الاستعمال ويناقض حقيقة القرابة الشرعية بين الكتابة واللغة .

إن كل من يقول إن حرفا ما لابد من نطقه بشكل محدد ، يكون قد أخطأ الصورة الكتابية للصوت بالنسبة للصوت نفسه . بالنسبة لـ Oi الفرنسية حتى تنطق wa ، لابد من أن توجد هذه التهجئة مستقلة ، عادة « wa » ، تكتب oi .

انه من الخطأ أن ننسب الشذوذ والغرابة إلى النطق الاستثنائى لـ o . لـ ، لأن هذا يتضمن أن اللغة تعتمد على الصيغة المكتوبة أو الشكل الكتابى ، وأن الحريات أو تحديدها يمكن أن تستخدم فى الكتابة ، وكأن الرموز الكتابية هى المعيار . إن المفاهيم الزائفة حول القرابة بين الصوت والرموز الكتابية تظهر حتى فى القواعد النحوية ، كما فى حالة الـ « h » الفرنسية . إن بعض الكلمات التى تبدأ بحرف علة غير مهموس تكتب مع « h » ، من خلال تذكر صيغها اللاتينية :

homme « رجل » (سابقا Ome) بسبب homo اللاتينية . ولكن فى الكلمات ذات الأصل الألمانى فان الـ h الاولية (الابتدائية) عادة ما تنطق : honte « خجل » ، و « سمك » hareng و « فأس صغيرة » hache .

إن الكلمات الألمانية الاصل — طالما استعمل الهمس — تساير القوانين التى تحكم الصوامت الابتدائية ، قول المتكلمين due hatches « فأسان صغيران » و Leherong « الصياغ » والكلمات الأخرى تخضع للقوانين التى تحكم الصوامت الابتدائية ، قول المتكلمين due - z - ommes « رجلان » ، « L'omme الرجل » . إن القاعدة بالنسبة لتلك الفترة « الحذف والزيادة لايحدثان قبل h « المهموسة » كانت صحيحة . ولكن هذه المقولة لا معنى لها فى أيامنا هذه . ان h المهموسة لاتبق طويلا حتى تنطبق الصفة مع شيء لايكون صوتا (صوتيا) ولكنه يمنع الحذف والزيادة .

لقد دخلنا ثانية فى حلقة مفرغة ، والـ h تشكل نتيجة زائفة الكتابة .

لقد تحدد نطق الكلمة ليس عن طريق هجائها ، ولكن بواسطة تاريخها . إن شكل الكلمة أو صيغتها فى لحظة محددة يمثل لحظة فى تطورها الاجبارى . وتحكم تطورها قوانين دقيقة . وكل خطوة مؤكدة ومحددة بخطوة سابقة لها . وعلينا أن

تأخذ فى الاعتبار الشىء الوحيد الذى غالبا ما ينسى : تطور الكلمة ، اشتقاقها . ان إسم مدينة Auch هو os فى الكتابة الصوتية ، وهى الكلمة الوحيدة فى الفرنسية التى تمثل فيها الـ ch النهائية الـ « S » . ولكننا لا نوضح شيئا عندما نقول « ان ch النهائية تنطق Š فقط فى لفظة Auch . والسؤال الوحيد الذى يهمنا هو هنا: كيف تحولت اللفظة اللاتينية Auscii إلى « OŠ » ؟ الاملاء ليس مهما . فهل يجب نطق اللفظة الفرنسية gageure « رهان » مع « O » ، أو « U » ؟ يقول بعض المتكلمين : gažör ، وبالنسبة لـ heure ساعـــة « تنطق or » . ويقول آخرون : لا أنها gažür لأن « ge » تساوى « ž » ، كما فى « geôle » « يسجن » ، المماثلة (تافهه) لا تدل على شىء . البحث الحقيقى إشتقاقى : لقد صيغت gageure من gager يستحق ، يكسب ، تماما مثل tournure شكل ، فقد صيغت من tourner يدير » ، وصيغة gazur فقط لها تبرير ، فإن gažör تعود لمجرد الطبيعة الالتباسية للكتابة . ولكن طغيان الكتابة يتزايد بفرض نفسه على الجماهير ، ان التهجئة (الصورة الكتابية) تؤثر فى اللغة وتحورها . وهذا يحدث فى اللغات الأدبية الفصحى (الراقية) التى تلعب فيها النصوص المكتوبة دوراً مهما وهكذا تقود الصور المرئية إلى النطق الخاطىء ، مثل هذه الأخطاء مرضية فعلا . ان التمارين الهجائية تسبب الخطأ فى نطق كثير من الكلمات الفرنسية . على سبيل المثال ، هناك صورتان هجائيتان للقب lefevre (من اللاتينية faber) شعبية وبسيطة ، والأخـــرى تعليمية واشتقاقية : Lefevre and lefebvre . لأن الـ V والـ U لم يفرق بينهما فى النظام القديم للكتابة ، فقد كانت lefebvre تقرأ lefebure مع الـ « b » ، التى لم تتواجد فعليا والـ U التى كانت نتيجة الغموض والالتباس . والآن فان الصيغة الأخيرة

هى المنطوقة فعليا . ان الاخطاء التى تعود التهجئة من المحتمل أن يكون مألوفا أكثر كلما تطاول الزمن ، كما أنه من الممكن أن يزداد عدد الحروف التى ينطقها المتكلمون . إن بعض الباريسيين ينطقون الآن الـ t فى الكلمة Sept femmes «سبع نساء» . ولقد توقع دارمستيتر Darmsteter اليوم الذى ينطق فيه الحرفان الأخيران فى اللفظ vingt «عشرون» . انه خطأ أو شذوذ املائى . بعض التشويهات الصوتية تخص اللغة ولكنها لم تنشأ من وظيفتها الطبيعية وانما تعود إلى تأثير خارجى . وعلى علم اللغة أن يضعها فى جزء خاص للملاحظة : انها حالات غريبة .

الفصل السابع

علم الأصوات اللغوية

(علم وظائف الاصوات Phonology)

١ — تعريف :

إن الذى يحرم نفسه متعمدا من دقة ملاحظة صورة الكلمة المكتوبة يعرض نفسه لخطر ادراك الكتل غير الطيعة والمشوهة فقط . ان اقصاء الشكل المكتوب يشبه حرمان السابح المبتدىء من حزام النجاة . سيكون من الأفضل استبدال ما هو طبيعى بما هو صناعى ، ولكن هذا مستحيل قبل أن ندرس أولا اصوات اللغة ، والأصوات معزولة عن رموزها الكتابية ليست إلا مفاهيم مبهمة ، والدعامة التى تزودنا بها الكتابة — تلك المضللة — لاتزال هى الأفضل . اللغويون الأوائل الذين لم يعرفوا شيئا عن الوظائف العضوية للأصوات المنطوقة ، كانوا مخدوعين باستمرار . بالنسبة لى ، تعد الخطوة الأولى فى اتجاه الحقيقة لأن دراسة الاصوات أنفسها تقدم الدعامة المطلوبة . لقد رأى اللغويون المحدثون أخيراً الضوء . لقد بدأت المتابعة أو التعقب لنتائج أبحاثهم الخاصة بواسطة الآخرين (علماء النفس ، الباحثين فى الأناشيد ، الخ) ، لقد قدموا اللغويين علماً مساعداً محرراً من الكلمة المكتوبة .

ان فسيولوجية الأصوات (فى الألمانية Laut - or sprach physiologie

يقال له غالبا الصوتيات phonetics (في الفرنسية phonetique ، وفي الألمانية phonetik) ، ويبدو لي أن هذا الاسم ليس ملائما. وسأستعمل بدلا منه علم الأصوات phonology ، لأن الصوتيات phonetics تعني أولا — ويجب أن تستمر في دلالتها — دراسة التطورات الصوتية. ويجب عدم الجمع بين ميدانين متميزين بشكل مطلق تحت نفس الاسم فالصوتيات phonetics علم تاريخي، إنه يحلل الأحداث والتغيرات ويتحرك عبر الزمن. ولكن الأصوات phonology خارج الزمن ، لأن أداة النطق لا تتغير أبدا . فالدراستان متميزتان أو مختلفتان. ولكنها ليستا متناقضتين. فالصوتيات هي الجزء الأساسي لعلم اللغة، على الأصوات — هذا يجمل المادة — يعد فقط ميدانا مساعدا ويخص الكلام على وجه الخصوص . (أنظر ص ١٧ وما بعدها) ان ما نستطيع أن تقدمه التحركات أو التغيرات الصوتية على وجه الضبط لو لم توجد اللغة يعد غير واضح، ولكنها لا تبقى لغة ، وهكذا بعد ما بينا كل حركات الجهاز الصوتي اللازمة لانتاج أي انطباع سمعي فاننا لم نوضح بأي شكل مشكلة اللغة . انها نظام قائم على التناقض العقلي للانطباعات السمعية ، تماما مثل النسيج الذي يكون من عمل فني ناتج عن التناقضات ، المرئية لخيوط من ألوان مختلفة ، والشيء المهم في التحليل هو دور التناقضات وليس الطريقة التي حصل على الألوان من خلالها . وهناك (مخطط أو صورة) النظام الفنولوجي قد وضعت في الملحق ، أحاول هنا فقط مجرد تحديد إلى أي مدى يستطيع علم الأصوات مساعدة علم اللغة للخروج من خداع الكتابة .

٢ — الكتابة الصوتية :

يحتاج اللغوي قبل أي شيء آخر إلى طريقة لكتابة الأصوات المنطوقة لتزيل الغموض . فعلا ، لقد اقترحت أنظمة كتابية عديدة .

ما هى متطلبات نظام صوتى حقيقى للكتابة ؟ أولا ، يجب أن يكون هناك رمز لكل عنصر من عناصر السلسلة الكلامية . لم يعن بهذا الطلب دائما . وهكذا فعلماء الأصوات الانجليز اهتموا بالتصنيف أكثر من التحليل ، فقد وضعوا رمزين حرفيين وثلاثة لبعض الأصوات .

الثانى ، لابد من ايجاد بعض الطرق أو الوسائل لوضع حد صارم أو فارق حاسم بين الأصوات الانفجارية الداخلية implosive والانفجارية الخارجية explosive (أنظر ص ٩٤ ومابعدها) .

هل هناك أسس لاستبدال أبجدية صوتية بنظام جاهز للاستعمال ؟

أستطيع هنا فقط توضيح هذا الموضوع الهام . أعتقد أن الكتابة الصوتية يجب أن يقتصر استعمالها على اللغويين فقط . أولا ، كيف يمكن أن نجعل اللغات الانجليزية والألمانية والفرنسية ، الخ ، تتبنى أو تتقبل نظاما موحدا !

ثانياً ، ان الأبجدية الملائمة لكل اللغات ، من الممكن أن تكون مثقلة بالعلامات المميزة ، ـ ولانقول شيئا عن المظهر المحزن لصفحة من الكتابة الصوتية ـ ومحاولات الحصول على الدقة ستربك القارىء بشكل واضح ، وذلك بتعمية ما كانت تعنيه الكتابة فى التعبير . ولن تكون الفوائد كافية أو قادرة على تعويض الارتباكات ان الدقة الصوتية غير مطلوبة بقوة خارج مجال العلم .

أما القراءة فهى بحث آخر ، فاننا نقرأ بطريقتين : كلمة جديدة أو غير معروفة موضحة مستقلة عن حروفها ، ولذلك فان تصور الكلمة ككل يكتسب قيمة رمزية ككتابة an ideographic هنا يأخذ الاملاء التقليدى بثأره . انه من المفيد أن نميز بين الكلمات الفرنسيه tant كثير و temps الطقس ا et and est) يكون (is) وبين مدين he owed وعليه أن du had to and من du of the il

غاك . etc. ait have هم مدينون they owed) ils devaient (Aud .

دعونا نأمل أن غالبية السخافات الفاضحة فى الكتابة سوف تحذف . كما أن الابجدية الصوتية تساعد فى تعليم اللغات ، ويجب أن لايعمم استعمالها .

٣ — شرعية الدليل الذى تزودنا به الكتابة :

يجب ان لايعتقد أن اصلاح الهجاء سوف لايتابع فى الحال تحقيق أوادراك أن الكتابة خادعة أو مضللة .

ان الاسهام الحقيق لعلم الأصوات هو فى تقديم المقاييس الوقائية للتعامل مع الصيغ المكتوبة التى لابد أن نمر من خلالها حتى نصل إلى اللغة . ان الوضوح الذى تقدمه الكتابة يكون صحيحا عندما يفسر . وعلينا أن نضع لكل لغة «مدرسه» نظاما صوتيا . أعنى ، وصف للأصوات مع ما تمثله وظيفيا ، لان كل لغة تقوم (تعمل بناء) على عدد محدد من الوحدات الصوتية (الفونيمات) المميزة بدقة . هذا النظام هو فقط مجموعة الحقائق التى تعنى اللغوى . ان الرموز الكتابية تحمل شبها باهتا (ضعيفاً) لها ، ان صعوبة تحديد صحة التشابه تختلف تبعا اللغة وما يحيط بها .

ان اللغوى الذى يتناول لغة فى الماضى يملك معطيات أو معلومات غير مباشرة لكى تضرله .

ما الموارد أو المصادر التى يمكنه استعمالها لتشكيل نظامها الصوتى ؟

١ — أولا ، وقبل كل شىء ، الدليل الخارجى ، وبخاصة الأوصاف المعاصرة للأصوات وتعلقها فى تلك الفترة . ان نحويى القرنين السادس عشر والسابع الفرنسيين ، وبخاصة أولئك الذين اهتموا بتعليم الاجانب ، تركوا لنا

ملاحظات هامة (مفيدة) . ولكن المعلومات الموجودة فى كتابات المعاصرين غالبا ما تكون غامضة ، لأن الكتاب لم يكن لهم منهج صوتى .

ان المصطلحات فى أوصافهم متقلبة وتعوزها الدقة العلمية والنتيجة هى أن (دليلهم) يحتاج بالتالى إلى تفسير . وتسميتهم للأصوات - على سبيل المثال - غالبا ما تكون مضللة : لقد سمى النحويون اليونانيون الأصوات المجهـــورة b, d, g, etc. أنصاف صوامت mesai والأصوات المهموسة p, t, k, etc. سموها psilai التى ترجمها النحويون اللاتينيون بكلمة tenues (voiceless) .

٢ ـــ المعلومات الأكثر دقة سوف تتحقق من تجميع المعطيات الخارجية مع الدليل أو الشاهد الداخلى ، التى سأصنفها تحت نقطتين .

ا) النوع الأول يشكل الدليل القائم على اضطراد التطورات الصوتية . ان معرفة الصوت الذى يمثله الحرف خلال فترة أخرى بعد مما فى تحديد قيمة ذلك الحرف . وقيمته الحالية هى نتيجة التطور الذى يسمح لنا بأن نطرح جانبا الفرضيات الأخرى من البداية. على سبيل المثال ، فان قيمة الحرف السنسكريتى غير معروفة ، ولكن حقيقة أنه استبدال بالحرف الحنكى (K) فى الهندوأوروبية الأصلية ، يحدد بوضوح مجال الحدس . إذا عرف اللغوى (نقطة الخروج) المخرج والتطور الموازى الأصوات المتشابهة الفاصمية خلال نفس الفترة، فانه يستطيع استخدام التحليل القياسى ، ويكون اسمى . طبيعيا (من الطبيعى) ، فان مشكلة تحديد (مترحلة العلق) الفلق الوسطى تكون أسهل عندما تكون نقطة البداية والنتيجة النهائية غير معروفتين (ان الفرنسية (على سبيل المثال فى ابقفو sauter) يجب أن تكون ساقطا مركبا أثناء العصور الوسطى

لأنها تتوسط بين (a) القديمة و ö الحديثة . وإذا عرفنا من بعض النواحي الأخرى أن الصائت المركب diphthong ما زال موجوداً في لحظات معينة ، فاننا نكون مطمئنين إلى افتراض وجوده خلال الفترة السابقـــة . اننا لا نعرف تماما ما تمثله z في كلمة wazer في الألمانية الفصحى القديمة، ولكن دليلنا المدعم guide posts هو الصيغة القديمة من جهة والصيغة الألمانية الحديثة Wasser من جهة أخرى . و (Z) هي صوت وسط بين الـ (t) والـ (S) ، ونستطيع أن نرفض أي فرضية لاتأخذ بعين الاعتبار الـ (t) والـ (S) ، لنقول بأن الـ (Z) تمثل الصوت الحنكي ، على سبيل المثال ، يبدو مستحيلا ، لأن النطق الاسناني فقط يستطيع منطقيا أن يأتي بين نطقين أسنانيين آخرين .

ب) هناك أنواع متعددة من الأدلة المعاصرة . (الاختلافات الهجائية) اختلافات التهجئة تقدم واحدا من أنواع عديدة . وقد وجدنا خلال فترة واحدة أن الألمانية الفصحى القديمة تملك الصيغ Wazer, Zehan, ezan ولكن لم نجد أبدا الصيغ : Wacer وعندما نجد الصيغ :

esan and essan, Waser und Wasser, etc.

ومها يكن ، فاننا نستنتج بسهولة أن صوت الـ S قريب من صوت الـ Z ولكنه يختلف عن الصوت الذي تمثله C خلال نفس الفترة . المظهر التالي من هذه الصيغ مثل Wacer تثبت أن الوحدتين الصوتيين المتميزتين الأصليتين أصبحتا مختلطتين بعض الشيء .

تمد النصوص الشعرية وثائق ليست ذات قيمة في دراسة النطق . انها تقدم أنواعا كثيرة من المعلومات معتمدا على السواء نظام نظم الشعر القائم على عدد

المقاطع، كميتها، أو تشابه أصواتها (الجناس الاستهلالي alliteration ، السجع assonance ، والقافية rime) تشير اليونانية في كتابتها إلى حروف العلة الطويلة (على سبيل المثال ō وتكتب W) ولا تشير إلى الأخريات، علينا أن نستشير الشعراء حتى نستخرج كمية ال a, i, U وهكذا . تسمح لنا القافية أن نحدد إلى أية فترة ظلت الصوامت النهائية للألفاظ الفرنسية grae and fae ولاتينيتها facio «أنا أعمل I do » ، مختلفة ومن أية لحظة اندمجتا مع بعضها . تظهر القافية والسجع أن (e) المشتقة من (a) اللاتينية (مثال from mare « بحر » ، from pere « أب » from patrem, tel مثل talem, mer لم تكن تتعلق مثل (e, e) الأخريات . هذه الكلمات لاتظهر أبدا في القافية أو السجع مع « هي she » elle (من illa) ، vert أخضر (من viridem و bell) جميل (من bella) ، الخ . أخيرا ، هناك دليل تقدمه الألفاظ المقترضة (الدخيلة) ، التورية Pune (التلاعب بالألفاظ) والحكايات غير القابلة للتصديق (Coch - and - bull stories) في القرطية على سبيل المثال ، صيغة kawtsjo تقدم معلومات حول نطق لفظة cautio في اللاتينية العامية (vulgar) . وأن كلمة الفرنسية roi «ملك» كانت تنطق rwe في نهاية القرن الثامن عشر تشهد عليها القصة التالية التي رواها نيروب Nyrop (Gram maire historique de la langue francaise, p. 178).

تلك المرأة التي أتى بها من قبل أمام محكمة الثورة ، وقد سئلت فيما إذا لم تقل في حضور الشهود أن الملك (roi) كان مطلوبا ، أجابت أنها لم تتكلم عن ملك مثل «كابت Capt» ، أو الآخرين مطلقا ، ولكن عن دولاب المغزل (rou t moitre) . كل الأنظمة والاجراءات السابقة تساعدنا على اكتساب بعض المعلومات عن النظام الصوتي لفترة كما أنها تفسر وتستعمل بشكل

مفيد أن الدليل الذى تقدمه الكتابة . فى التعامل مع لغة حية ، فأن المنهج العقلى الوحيد يتكون من :

أ) اقامة نظام صوتى بناء على ما ظهر من الملاحظة المباشرة .

ب) وملاحظة نظام العلامات المستعملة لتمثل – بشكل غير تام – هذه الأصوات.لا يزال كثير من النحويين ملتزمين بالمنهج القديم الذى انتقدته وبينت ببساطة كيف يكون نطق كل حرف فى اللغة التى يرغبون فى وصفها . باستعمال المنهج القديم ، مهما يكن ، فانهم لا يستطيعون بيان النظام الصوتى للغة بوضوح . ومع ذلك فان خطوات واسعة فى الاتجاه الصحيح قد بدأت فعلا ، وقد قام علماء الأصوات بانجاز هام فى اتجاه اعادة صياغة أفكارنا حول الكتابة والتهجئة .

ملحـــق

اسس علم الاصوات

الفصل الأول

النوع الصوتى

PHONOLOGICAL SPECIES

١ - تعريف الوحدة الصوتية (Phoneme) :

«ـ بالنسبة لهذا الجزء فانه فى مقدورنا أن نستعمل نسخة طبق الأصل مختصرة من ثلاث محاضرات ألقاها دى سوسير سنة ١٨٩٧ م (Theorie de syllabe) «نظرية المقطع» التى تعرض فيها أيضا للأسس العامة التى بحثت فى الفصل الأول ، وفوق ذلك ، فان كثيراً من مادة ملاحظاته الشخصية تبحث فى علم الأصوات ، وفى نقاط كثيرة تقوم المذكرات بتوضيح واكمال المعلومات المقدمة فى البحثين الأول والثالث . «ملاحظة الكاتب» «.

لقد حدد كثير من اللغويين أنفسهم على وجه الخصوص بالحدث النطقى (الصوتى) . أعنى ، انتاج الصوت بواسطة أعضاء النطق (الحنجرة ، الفم ، الخ) وأهملوا الجانب السمعى . فنهجهم خطأ . إن الانطباع السمعى لا يأتينا فقط هكذا بشكل مباشر مثل صورة حركة أعضاء النطق ، ولكنها أيضا تكون الأساس لأى نظرية . الانطباعات السمعية تبقى غير مقصودة أو مدركة قبل دراسة الوحدات الصوتية ، آذاننا تخبرنا عن ماهية الـ b, t, etc. حتى لو كانت كل التحركات التى يقوم بها الفم أو الحنجرة فى نطق السلسلة الصوتية يمكن تصويرها ، فان الملاحظ سيبقى غير قادر على فرز الجزئيات داخل مجموعة التحركات الصوتية ،

انه لن يعرف أين بداية الصوت ونهاية الصوت الذى يليه . وبدون الانطباع السمعى ، كيف يمكننا القول انه يوجد فى كلمة (fal) ؛ على سبيل المثال ، ثلاث وحدات فضلا عن اثنتين أو أربعة ؟. ولكن عندما نسمع صوتا فى سلسلة كلامية فاننا نستطيع تعيين نوعه فى الحال ، طالما أن هناك انطباعا تجانسيا ، فالصوت يكون مفردا .

ان ما يهم ليس طول الصوت (قارن : Fal and fal) ولكن نوعية الانطباع .

ان سلسلة الصوت غير منقسمة إلى ضربات متساوية ولكن إلى ضربات متجانسة ، كل ضربة متميزة بوحدة من الانطباع ، وتلك هى النقطة الطبيعية للانطلاق نحو علم الأصوات .

هنا ، الأبجدية اليونانية المبكرة ذات قيمة ملحوظة ، فكل صوت بسيط يمثله فى اليونانية علامة كتابية واحدة ، وكل علامة تمثل دائمـــا نفس الصوت البسيط .

لقد كانت الأبجدية اليونانية اكتشافا بارعا قد تلقفها الرومانيون بعد ذلك .

فى الكتابة البربرية ، كل حرف يطابق ضربة متجانسة :

B	A	P	B	A	P	O

فى الشكل العلوى ، يمثل الخط الأفقى السلسلة الصوتية ، والأعمدة القصيرة العمودية تشير إلى الانتقال من صوت إلى آخر. لم يكن فى الأبجدية اليونانية المبكرة تهجئات مركبة مثل (sh) الانجليزية التى تمثل (S) ولا يوجد تبادل الحروف

على صوت واحد مثل C و S لتمثلا (S) ، ولا توجد علامة مفردة لمركين مثل (X) لتمثل (Ks) لقد تحققت النسبة واحد إلى واحد بين الأصوات (والصور الكتابية) والتهجئات - القواعد الضرورية والوافية لنظام صوتي جيد للكتابة - بشكل كامل في اليونانية . لم تتمسك الأمم الأخرى بهذا الأساس ، وأبجديتها لا تحلل السلسلة الكلامية تبعا لضرباتها السمعية المتجانسة .

فالقبارصة على سبيل المثال ، توقفوا عند كثير من الوحدات المركبة مثل : Pa, ti, do, etc مثل هذه الملاحظة ، تسمى مقطعية ، ولكن هذه التسمية ليست دقيقة لأنه يوجد أنواع أخرى من المقاطع (على سبيل المثال : Pak, tra الخ) . ولقد بين الساميون الصوامت فقط . وهم يكتبون كلمة مثل (barbaros) على الشكل التالي « بربر » B R B R S [1] . ان تحديد الأصوات في السلسلة الكلامية يمكن أن يقوم فقط على الانطباعات السمعية ، ولكن وصف هذه الأصوات يعد عملية مختلفة تماما . يمكن أن يقوم الوصف على أساس الحدث النطقي ، لأنه يستحيل تحليل الوحدات الصوتية داخل سلسلتها (الصوتية).

علينا أن نرجع إلى التحركات المتشابكة في التصويت (Phonation) ، هناك صوت معين يتطابق بوضوح مع حدث معين : b (الضربة السمعية) = b^I (الضربة النطقية) . الوحدات الأولى الحاصلة مع مقطع السلسلة الكلامية مكونة من b و b^I ، انها وحدات صوتية . فالوحدات الصوتية (phoneme) هي مجموع الانطباعات السمعية والتحركات النطقية ، الوحدة المسموعة والوحدة المنطوقة ، كل منها يسبب الآخر أو شرط لوجود الآخر . وهكذا ، فهي وحدة

---

(١) يعني بذلك أن الحركات أو العلل القصيرة لا تظهر في اللغات السامية فكلمة «بربر» لاتظهر فيها الفتحة في الكتابة . (المترجم)

مركبة تدخل فى كل سلسلة. ان العناصر التى تتحقق أولا عبر تحليل السلسلة الكلامية تشبه حلقات هذه السلسلة : انها لحظات متعذر اختزالها ، مما يجعلها غير قابلة للدراسة خارج الزمن الذى تشغله .

لن التجمع مثل (ta) ، على سبيل المثال ، سيكون دائما لحظة مضافة إلى أخرى جزء واحد من طول معين مضاف إلى آخر . مقابل هذا ، فان صوت (t) المتعذر اختزاله ، بأخذه منفرداً ، يمكن دراسته تجريديا خارج اطار الزمن . نستطيع أن نتحدث عن (t) بشكل عام كنوع من ال (T) (استعمل الحروف الكبيرة (Capitales) لأبين النوع) وعن ال (i) بشكل عام كنوع من I) الخ .

إذا أخذنا فى الاعتبار الصفة المميزة للصوت وأهملنا كل شىء يعتمد على التتابع فى الزمن ، بالمشابهة ، المجموعة الموسيقية Do, Re, mi يمكن معالجتها فقط كمجموعة متماسكة مادية فى الزمن ، ولكن إذا اخترت واحدا من عناصرها التى لايمكن اختزاله ، فإنى أستطيع دراسته نظريا أو تجريدياً .

ان تحليل أعداد كافية من السلاسل الكلامية من لغات مختلفة يستطيع من خلالها عالم الأصوات مطابقة وتصنيف العناصر التى تعمل بها كل لغة .

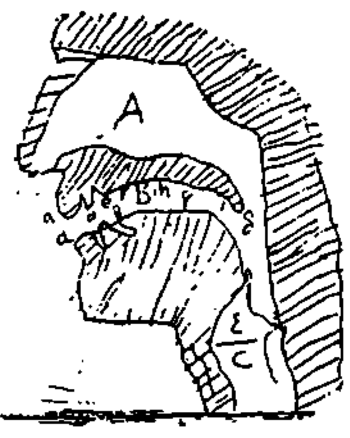
وبعد ذلك ، إذا تجاهل أو أهمل الاختلافات السماعية غير الهامة ، سوف يجد أن عدد الأنواع غامضا وغير محدد . لقد قامت بعض الابحاث الخاصة بعمل لائحة لهذه الأنواع ووصفتها بالتفصيل(1). أرغب هنا بمجرد بيان الأسس الثابتة البسيطة التى يقوم عليها أى تصنيف مثل هذا . ولكن دعنى أقول بعض

(1) Cf. Sievers, Grundzuge der phonetik, firth ed. 1902; Jespersen, lehrbuch der Phonetik, sec. ed.; 1913; Roudet, Eléments de Phonétique générale, 1910 (Ed).

كلمات حول الجهاز الصوتي ، والدور الوظيفي الممكن للأعضاء المختلفة ، ودور نفس هذه الأعضاء باعتبارها منتجة الصوت .

٣ - الجهاز الصوتي ودوره الوظيفي :

١ — لقد حددت وصف الجهاز الصوتي بالشكل المرسوم الذي فيه (A) تشير إلى التجويف الأنفي و (B) التجويف الفموي و (C) الحنجرة (مع الفتحة المزمارية (glottis) «ع» بين الوترين الصوتيين) .



أما أقسام الجهاز الصوتي التي يجب فرزها داخل الفم فهذه هي : الشفتان (a and a) واللسان 8 — B (B تشير إلى طرفه و 8 إلى البقية) ، الأسنان العلوية a ، الحنك ، المكون من الحنك العظمي الصلب H — P في المقدمة والعظم الغشائي المتحرك أو الحنك اللين i في الخلف ، وأخيرا اللهاة 8 الحروف اليونانية تبين الأعضاء الفاعلة أو النشيطة أثناء النطق ، الحروف اللاتينية تبين الأقسام غير الفعالة (المستترة) . الفتحة المزمارية «ع» تتكون من عضلتين متوازيتين أو الوترين الصوتيين ، ينفتحان عندما يتباعد الوتران عن بعضهما ،

وينغلقان عندما يلتقيان ان الا غلاق الكلى لايحدث ، والانتاح يكون كبيرا فى بعض الاحيان وضيقا فى أحيان أخرى وعندما يكون الانتاح كبيرا ويسمح بمرور الهواء بحرية فانه لايسمع تردد أو ذبذبة ، يحدث التصويت أو الجهـر (Voicing) عندما يمر الهواء عبر الانتتاح الضيق مسببا أو جاعلا الوترين يتذبذبان ، لايوجد خيار أو بديل آخر لاصدار الأصوات الطبيعية .

التجويف الانفى عضو ثابت تماما ، ومرور الهواء لا يتوقف الا برفع اللهاة a فقط ، فهى اما باب مفتوح أو مقفل .

والتجويف الفموى يقدم أو يملك درجة واسعة من الامكانيات ، فالشفتان يمكن استخدامها فى زيادة طول القناة (الصوتية) ، والحنكان يمكن نفخها (إلى الخارج) أو بعجها (إلى الداخل) ، وتنوع كبير لحركات الشفتين واللسان يمكن استخدامها لتضييق أو حتى اغـلاق التجويف .. إن الدور الذى تلعبه نفس الأعضاء فى إنتاج الأصوات يتناسب مباشرة مع قدرتها الحركية ، ان الاتحاد فى الدور الوظيفى للحنجرة والتجويف الانفى محكوم بالتنوع أو الاختلاف فى الدور الوظيفى للتجويف الفموى . إن الهواء المنفوث أو الخارج من الرئتين يمر أولا بالفتحة المزمارية . انه لا يمكن إنتاج صوت حنجورى بتضييق الوترين الصوتيين ، ولكن الحنجرة لا يمكنها إنتاج تنوعات صوتية تسمح لنا بفصل وتصنيف الأصوات اللغوية ، وفى هذا المعنى ، فان الصوت الحنجورى يكـون موحداً . الملاحظ أن الصوت عند انطلاقه مباشرة من فتحة المزمار يأخذ صفة الثبات . ان القناة الانفية لاتعمل أكثر من كونها حجرة رنين « resonator » الذبذبات الصوتية التى تمر بها . انها لا تعمل كنتج للصوت . وبالمقابل ، التجويف الانفى يقوم بالوظيفتين كنتج للصوت وحجرة رنين . عندما تكون الفتحة

المزمارية واسعة الانفتاح فانه لا يتواجد التذبذب الحنجرى (Laryngeal vibrotion) ويكون منشأ الصوت المسموع فى التجويف الفمى (سأترك للفيزيائيين مهمة تقرير ما إذا كان الحادث صوتا « sound أو مجرد ضجيج . noise

ولكن عندما يسبب تضييق أو شد الوترين الصوتيين تذبذب الفتحة المزمارية يكون دور الفم الرئيسى تكييف الصوت الحنجرى .

باختصار ، ان العوامل المشاركة فى إنتاج الصوت هى : هواء الزفير ، النطق الفموى ، الذبذبة الحنجورية وحجرة الرنين الانفى .

ولكن اللائحة أو القائمة البسيطة لا تعين أو تطابق الخصائص الخلافية للوحدات الصوتية (الفونيمات) . ان بيان ما يشكل أو يبنى الوحدات الصوتية — عند تصنيفها — أقل أهمية من بيان ما يميز بعضها عن بعض . فالقسوة السلبية يمكن أن تكون أكثر أهمية فى تصنيف الوحدات الصوتية من القوة الايجابية وهكذا ، يكون الزفير العنصر الايجابى لأنه يمثل جزءا من كل حدث صوتى ، وليس له قيمة خلافية ، ولكن يمكن تمييز الوحدات الصوتية من غير وجود حجرة الرنين الأنفى ، — القوة السلبية — تماما كما هو الحال عند وجودها . ان الشىء الهام هو أن هناك عنصرين ثابتين من العناصر التى عددناها من قبل، ولهذا فهما ضروريان وكافيان لانتاج الصورة :

أ) هواء الزفير .

ب) النطق الفموى .

بينما يمكن أن يختفى العاملان الآخران أو يعتمدان على العاملين السابقين :

جـ) الذبذبة الحنجورية .

د) حجرة الرنين الأنفية .

وفوق ذلك ، نعلم أنه بينما تماثل العوامل (ا ، جـ ، د) فإن « ب » تجعل انتاج أصوات متنوعة عديدة ممكنا . ويجب أن نضع فى عقولنا أن الوحدة

الصوتية تتعين عندما يتحقق حدثها الصوتى ، وكذلك تتحقق كل الوحدات الصوتية عندما تتعين الأحداث الصوتية . التصنيف السابق للقوى المستخدمة فى الانتاج الصوتى تبين أن الأحداث الصوتية تختلف أو تتنوع بواسطة العناصر ، ب ، جـ ، د ، فقط .

علينا أن نحدد النطق الفموى لكل وحدة صوتية سواء وجد الصوت الحنجورى (ـــــ) أو تغيب ([ ]) وسواء استخدمت حجرة الرنين الأنفى (....) أو لم تستخدم ([ ]) . وعندما نجهل أحد هذه العناصر الثلاثة يكون التطابق الفونوتى ناقصا ، ولكن طالما عرفت العناصر الثلاثة ، فان تجمعاتها المختلفة تحدد النوع الأساسى للأحداث الصوتية . والجدول التالى يبين التغيرات أو الاختلافات الممكنة :

	I	II	III	IV
أ —	نفس الزفير	نفس الزفير	نفس الزفير	نفس الزفير
ب —	النطق الفموى	النطق الفموى	النطق الفموى	النطق الفموى
جـ —	[ ]	ـــــ	[ ]	ـــــ
د —	[ ]	[ ]	....	....

العمود الأول يعين أو يدل على الأصوات المهموسة، والثانى يعين الأصوات المجهورة ، والثالث يعين الأصوات المهموسة الأنفية ، والرابع يعين الأصوات الأنفية المجهورة . ولكن بقى واحد مجهول : طبيعة النطق الفموى ، ولهذا فان أهم شىء هو تحديد التنوعات الممكنة للنطق الفموى .

٣ - تصنيف الأصوات تبعا لنطقها العضوى :

تصنف الأصوات بشكل عام تبعا للمخرج (أو مكان النطق) . ولكن نقطة انطلاق ستكون مختلفة . بصرف النظر عن المكان الذى يشغله النطق ، فان هناك دائما منفذ أو فتحة ما (aperture) أعنى ، درجة ما من الانفتاح تقع بين الحدين ، الانغلاق التام والانفتاح الأقصى . على تلك الأسس ، وبالتدرج من الانفتاح الأدنى إلى الانفتاح الأقصى سنجد أن الأصوات تقع ضمن السبعة الأنواع التى سأحددها أو أشير اليها بالأرقام : ٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، وفى داخل كل نوع فقط سأوزع الوحدات الصوتية داخل أنواع مختلفة تبعـــا لمخرجها (مكان نطقها) . . سأعمل على تطويع أو تكييف المصطلحات حتى غير الدقيقة أو غير الصحيحة منها فى كثير من النقاط ، فالكلمات مثل ، حلق (guttural) ، حنكى (Palatal) ، أسنانى (dental) رخوة (Liquid) .. الخ ، تعد غير منطقية بشكل أو بآخر . لابد أن تكون هناك خطة أكثر عقلية أو منطقية لتقسيم الحنك إلى عدد ما من المناطق . وبعد ذلك بتركيز الانتباه على النطق الفوى ، ويجب أن يكون ممكنا دائما تحديد نقطة الاتصـال الرئيسية . عند ابتكار الصيغة سأسير على هذا المفهوم وسأستعمل حروف رسم الجهـــاز الصوتى (أنظر ص ٤١) :

سيكون مكان رقم الفتحة بين الحرف اليونانى (الذى يشير إلى العضو المعلوم) والحرف اللاتينى (الذى يشير إلى العضو المجهول) . هكذا (B O E) تعنى حصول الانغلاق التام بينما يكون طرف اللسان مثبتا مقابل طرف اللثة العلوى (alveolar) .

أخيراً ، فى داخل كل نطق ، فان اختلاف نوع الوحدات الصوتية (الفونيمات)

يكون ميزاً بملامح مصاحبة ــ الصوت الجهوري و جهرة الرنين الأنفي - تتميز بغيابها تماما كما تتميز بحضورها .

ان الملمحين المرافقين والصيغة تقدم نوعا من الوحدات الصوتية المصنفة منطقيا وببساطة . وبالطبع ، يجب أن لانتوقع أن نجد هنا وحدات صوتية لها تركيب مميزة خاصة ، وبصرف النظر عن أهميتها النسبية (على سبيل المثال ، المهموسات : ts, dz, pf, etc الاحتكاكيات ، Pb, db, etc ، الصوامت الحنكية ، الصوائت الضعيفة مثل ə أو (e) الساكنة . الخ) .

ولا أن انتوقع وجود وحدات صوتية بسيطة ليس لها أهمية عالية ولا تعد أصواتاً متميزة .

أ) الفتحة الصفرية : الانفجاريات (Zero aperture : Occlusives)

الأصوات الانفجارية تشمل كل الوحدات الصوتية الناتجة عن انغلاق كلي ، احتباس الهواء ، ثم انسيابه الكامل من التجويف الفموي (oral cavity) . ليس هذا المكان البحث فيما إذا كان الصوت ينتج عند حدوث الانغلاق أو الانطلاق ، فعلا ، من الممكن أن يحدث بطريقة أخرى (أنظر ص ١٥ ومابعدها) .

ان الأنواع الرئيسية الثلاثة للأصوات الانفجارية قد سميت تبعا لمخارجها (مكان نطقها) : شفوية (P, b, m) ، أسنانية (t, d, n) وحلقية (K, g, n) .

النوع الأول ينطق بالشفتين ، بالنسبة للثاني فان طرف اللسان يكون في وضعه مقابل مقدمة الحنك ، بالنسبة الثالث فان مؤخرة اللسان تلامس مؤخرة الحنك .

لغات كثيرة والهندوأوروبية بخاصة تقوم بالتفريق بين الطقين حلقيين ، الأول حنكي (فى منطقة H ـ t) والآخر حلق (فى منطقة الـ (i)) . ولكن فى اللغات الأخرى (على سبيل المثال ، الانجليزية) فان الخلاف غير ملاحظ والأذن تشتبه أو تسمعها متشابهين صوت الـ K الخلفية (مثل صوت الـ (C) فى كلمة cart) والـ K الأمامية (كما هى فى King) .

والجدول التالى يبين أشكال الوحدات الصوتية الانفجارية المختلفة :

الحلقيـــة			الإسنانيـــة			الشفويـــة		
K	g	(n)	t	d	(n)	P	b	(m)
yoh	yoh	yoh	Boe	Boe	Boe	dDa	dDa	dDa
[ ]	—	—	[ ]	—	—	[ ]	—	—
[ ]	[ ]	. . .	[ ]	[ ]	. . . .	[ ]	[ ]	. . .

الأصوات الأنفية m, n, n هى فى الحقيقة انفجارية أنفية مجهورة ، عند نطق (amba) فاننا نرفع اللهاة (Uvula) لنغلق القناة الأنفية للانتقال من صوت الـ (m) إلى صوت الـ (b) . فى النظرية ، كل نوع له صوت مهموس أنفى — الصوت الأنفى غير مصحوب بذبذبة مزمارية (فتحة المزمار glottal) ، وهكذا ، فالمهموسة m تحدث بعد صوت مهموس فى اللغات الاسكندنافية . كما أنه يوجد فى الفرنسية أصوات مهموسة أنفية ، ولكن المتكلمين لا ينظرون اليها كعناصر مخالفة . الأصوات الأنفية وضعت بين هلالين ([ ]) داخل الجدول ، والفم يكون مغلقا تماما أثنـــاء نطقها ، وانفتاح القناة الأنفية يعطيها فتحة أو منفذا واسعا (أنظر النوع (C)) .

ب ، المخرج الاول : الأصوات الاحتكاكية (Fricatives)

الوحدات الصوتية للنوع «ب» متميزة بالانغلاق الجزئى الذى يسمح للهواء بالمرور عبر التجويف الفمى . ان الاسم (spirant) شديد التعميم ، بينما كلمة privative لا توضح شيئا عن درجة الانغلاق ، وانها توحى بالاحتكاك الناتج من الانفجار الهوائى (فى اللاتينية Fricare) .

ان الوحدات الصوتية للنوع « ب » لا تشبه الوحدات الصوتية للنوع « أ » فهى تقع تحت ثلاثة أنواع : الأول ، الشفوية تماما (المماثل للصوتين P and b) نادرا ما تستعمل ، سوف أهملها ، وهى عادة تستبدل بالاسنانية الشفوية ، التى تنتج عن تلامس الشفة السفلى والأسنان العلوية (P and V) . وتقسم الاسنانية إلى أنواع متعددة ، معتمدة على شكل الاتصال أو الملامسة التى يؤديها طرف اللسان ، وبدون الدخول فى التفاصيل ، فسأستعمل الرموز B, B', B'' لتبين الاشكال المختلفة لطرف اللسان .

بين الأصوات التى تشمل أو تستخدم الحنك ، تفرز الأذن بشكل عام النطق الأمامى (الحنك) والنطق الخلفى (الحلق Velar) .

Labio - Dentels (الأسنانية الشفوية)				الأسنانيـــة			
P	V	b	s	S	Z	Š	Ž
e l d	e l d	B l d	B l d	B'ld	B'ld	B''ld	B''ld
[ ]	—	[ ]	—	[ ]	—	[ ]	—
[ ]	[ ]	[ ]	[ ]	[ ]	[ ]	[ ]	[ ]

Palatals ( )		Gutturals ( )	
X^1	R^1	X	n
γ I f	γ I f	γ I i	γ I i
[ ]	—	[ ]	—
	[ ]	[ ]	[ ]

h = English th in thing
= S th in then
S = S S in sey
Z = S S in rose
S = S sh in show
Z = S g in rouge
X^1 = German ch in ich
= North germang in liegen
X = Greman ch ch in Bach
= North Germon g in Tage

هل هناك صوت بين الأصوات الاحتكاكية يماثل الـ (n, m, n, ek) بين الأصوات الانفجارية ــ أعنى ، الأنفية V, Z, etc ؟ من السهل أن نتخيل وجود ذلك، على سبيل المثال، صوت الـ(V) الأنفية في الكلمة الفرنسية inventer يخترع ، ولكن الصوت الاحتكاكي الأنفي غير عدد أو مميز في غالبية اللغات .

جـ ـ المخرج الثاني : الاصوات الانفية (أنظر أعلى ص ٤٦) .

د ـ المخرج الث : الاصوات اللينة أو الرخوة (Liquids)

نوعان من الأصوات المنطوقة مصنفان على أنها أصوات رخوة :

١ ــ في النطق الجانبي (المشار اليه بالحرف l في الشكل السفلي) يرتكز اللسان مقابل مقدمة الحنك ، ولكنه يترك فتحتين في كلا الجانبين . من الممكن فرزها أو تمييزها تبعا لموضع النطق ، الأسنانيـــة l ، الحنكية l/ والحنجورية لـ (t) الحلقية .

وتنطق الوحدات الصوتية الجانبية في معظم اللغات بنفس الطريقة مثل

h, x, etc . و يبقى أن الأصوات المهموسة الجانبية ليست مستحيلة ، انها موجودة حتى فى الفرنسية عندما تتبع ال (l) وحدة صوتية مهموسة فانه يمكن نطقها بدون الصوت الحنجورى ، (على سبيل المثال ، نطق ال (l) فى كلمة Pluie « مطر » مقابل نطق ال (l) فى « أزرق » bleu) ولكن المتكلمين لا يعون الاختلاف . لا توجد أهمية لبحث (l) الانفية التى تعد نادرة وغير متنوعة ، ولكنها تحدث بعد الصوت الأنفى بخاصة (على سبيل المثال ، فى الكلمة الفرنسية (branlant) « اهتزاز » .

٣ — فى نطق الاصوات الترددية (Vibrant) (المشار اليها بالحرف V فى الشكل السفلى) يكون اللسان فيه أبعد عن الحنك منه عند نطق ال (l) ، ولكن المدد المتغير للملامسة بين اللسان والحنك يجعل المخرج للترددیات (الأصوات المترددة) معادلا ، لمخرج الجانبيات (الأصوات الجانبية) .

ينتج التردد بطريقتين : عندما يمتد أو يندفع اللسان أماما مقابل طرف اللثة (ال (r) الترددية) أو مع اتصال مؤخرة اللسان بالحنك (ال (r) التى الرينة أو المشددة) وما قيل حول الأصوات المجهورة أو الجانبية الانفية ينطبق على الاصوات الترددية .

I	I/	I	R	
B/Je	Z/3f–h	Z/3i	B V 3e	Z 3o X
—	—	—	—	—
[ ]	[ ]	[ ]	[ ]	[ ]

وبعد المخرج الثالث ، ندخل فى حقل جديد ، انتقل من الصوا مت إلى

الصوائت (Vowels) . بالنسبة لهذه النقطة ، لم أعرض الفرق بينها لسبب بسيط جدا : آلية التصويت (النطق) واحدة فى كليها . فصيغة الصائت مشابهة من كل الوجوه للصامت المجهور .

من وجهة نظر النطق الشفوى لم يحدث تمييز شديد . يختلف الأثر السمعى فقط . وبعد درجة ما من المخرج ، فان الفم يعمل بشكل رئيسى كحجرة رنين : يبرز جرس الصوت الحنجرى ويتضاءل الضجيج الفموى . ان عدد مرات انقطاع الصوت الحنجورى تتوقف على مدى إحكام إغلاق الفم ، وبقدر ما يكون الفم مفتوحا بقدر ما يكون الضجيج قليلا ، هكذا يتغلغل الصوت فى الصوائت عبر عملية ميكانيكية خالصة .

هـ - المخرج الرابع : i, u, ü

ان صوائت النوع هـ تتغلق انغلاقا أكبر مما تتطلبه الصوائت الأخرى — هـ ليا بقدر ما تتطلبه الصوامت . بعض النتائج أو التتابعات التى ستظهر مؤخرا تبرر التسمية أنصاف صوائت ، (Semi - Vowes) ، التى تسمى بشكل عام الوحدات الصوتية للنوع ه ه ، ان الوحدة الصوتية (i) ينطق والشفتان مكشتان (—) مع ا ق أمامى ، و (u) تنطق والشفتان فى شكل دائرى (○) مع نطق خلفى ، وتنطق (ü) عندما تكون فى حالة نطق (u) والنطق كما فى (i) .

مثل كل الصوائت الأخرى ، i, u, ü لها صيغ أنفية . وهنا نستطيع اهمالها لأنها نادرة . انها تستحق الملاحظة ، مهما يكن ، وهو أن الأصوات المكتوبة in, un فى الفرنسية ليست فى الحقيقة (i) و (u) الانفيتين (انظر أسفل) . هل هناك (i) مهموسة ، أعنى ، تنطق بدون صوت حنجورى ؟

نفس السؤال يبرز بالنسبة أ a ،u وبالنسبة لكل الصوائت . هذه الوحدات الصوتية المطابقة الصوامت المهموسة متواجدة ولكن غير مختلطة مع الصوائت المهموسة ، أعني ، الصوائت المنطوقة مع ارتخاء الفتحة المزمارية . الصوائت المهموسة تشبه الـ(h, e) التي تنطق قبلها :

في (hi) و (i) التي تسمع أولا من غير ذبذبة ثم (i) العادية .

و ـ المخرج الخامس : e, e

i	u	a
— 4f	○ 4i	○ 4f
[ ]	[ ]	[ ]
m		

ان نطق الوحدات الصوتية للنوع « و » تتطابق تماما مع نطق a, u, i .
تحدث الصوائت الأنفية (على سبيل المثال) الصوائت الفرنسية :

(«بنى» run ، «جسر» pont ، «الصنوبر الأناناس» é, ō, ő as in pin
صيغا مهموسة هي المهموسة (h) he, he, he)

ملحوظة (N . B) كثير من اللغات تظهر درجات متعددة للمخرج داخل النوع « و » ، توجد في الفرنسية — على سبيل المثال — مجموعتان على الأقل ، احداهما مغلقة :

(«اثنان» deux و «ظهر» dos و «جرس» e, o, ö as in dé)
والآخر مفتوح («جريمة» meurtre و«الموت» mort و «بحر» e, oe as in mer)

•	o	ŏ	ó	ō	ō̆
—6F	⊂ 6i	⊂ 6F	— 6F	⊂ 6i	⊂ 6F
⁓	⁓	⁓	⁓	⁓	⁓
[ ]	[ ]	[ ]	...	...	...

ز ـ المخرج السادس : a

ا (a) لها مخرج أقصى . هذا الصائت له صيغة أنفية ، a ـ ضعيفة ، وأكثر ضيقا لتأكد ـ و a صيغة مهموسة صوت ا (h) ا (ha) .

a	a
— 6i	— 6i
⁓	⁓
[ ]	...

الفصل الثاني

الوحدات الصوتية فى السلسلة الكلامية

١ ـ الحاجة لدراسة الأصوات فى السلسلة الكلامية :

يمكن أن نجد التحليلات المفصلة لأصوات الكلام فى أبحاث خاصة ، وبخاصة فى أبحاث علماء الأصوات الانجليز . هل التحليلات المفصلة وحدها تؤدى الدور المساعد لعلم الأصوات فى علم اللغة ؟ مثل هذه الكمية من التفصيلات ليست لها قيمة فى ذاتها ، ما يهم هو التركيب فقط . اللغوى ليس بحاجة إلى أن يكون عالماً صوتيا من الطراز الأول ، انمـــا يطلب الحصول على بعض المعطيات اللازمة لدراسة اللغة . ان منهج علم الأصوات يجانبه الصواب عند نقطة واحدة :

يتناسى علماء الأصوات فى غالب الأحيان أن اللغة لا تتكون إلا من الأصوات فقط ، ولكن من امتدادات للأصوات المنطوقة ، مازالوا لايكرسون اهتماما كافيا للعلاقات المتبادلة للأصوات . ان هذه العلاقات غير قابلة للتمييز مباشرة ، فالمقاطع أسهل للمطابقة أو التماثل من أصواتها لقد رأينا فى (ص ٢٥ ومابعدها) أن بعض الأنظمة البدائية للكتابة لاحظت الوحدات المقطعية ، ولقد اخترع أو ابتكر النظام الأبجدى مؤخراً . إلى جانب ذلك ، لا توجد وحدة بسيطة أبداً تدل على الارتباك فى علم اللغة . إذا حدث فى لحظة معينة أن كل أصبحت فى لغة معينة فانه لا ينتج شيء عن هذا التغيير ،

فان اللغوى يمكن أن يسجل الظاهرة ببساطة من غير أن يحاول أن يرها صوتيا .
يصبح لعلم الأصوات قيمة عظيمة فقط عندما يشترك عنصران أو عناصر فى
علاقة قائمة على التعاون الداخلى ، لأن التغيرات أو التنوعات لكل عنصر محددة
بالتغيرات أو التنوعات للعنصر أو العناصر الأخرى ، الحقيقة الوحيدة أن هناك
عنصرين يستدعيان علاقة وقاعدة — وهذه مختلفة تماما عن العبارة البسيطة .
فى محاولة البحث عن أساس صوتى يكون هذا العلم متناقضا مع نفسه باظهار التمييز
لأصوات مفردة تكون وحدتان صوتيتان لاحداث الحيرة والارتباك فى الألمانية
الفصحى القديمة ، على سبيل المثال ، bagal, balg. wagan, أصبحت أخيراً
bagr, balg, wagn lang, acnr, dorn later, became, lang, donnarg dorn.

. وتختلف النتيجة تبعا لطبيعة ونوع الوحدات الصوتية المشاركة (المستخدمة) ،
يظهر الصائت فى بعض الأحيان بين الصوامت الأصلية ، ويبقى التجمع سليما فى
أحيان أخرى .

ولكن كيف يمكن أن يصاغ القانون ؟ أين ينشأ الاختلاف ؟ بدون شك فى
تجمعات الصوامت (gl, lg, gn, etc) الموجودة فى الكلمات . يحتوى كل تجمع
بوضوح على صوت انفجارى ، اما أن يكون مسبوقا أو متبوعا بصوت رخو أو
أنفى . ولكن على ماذا يدل ذلك ؟ كلما أمعنا النظر فى الصوتين g and n ، على
أنهما كميتان متجانستان ، لانستطيع أن نفهم لماذا مجرد نوع الاتصال فى
g - n and - n - g لابد أن يؤثر فى النتائج بجانب علم أصوات الانواع
(علم الأصوات النوعى phonology of specise) مازال هناك مجال لعلم
مختلف تماما يستعمل التجمعات الثنائية وتتابع الوحدات الصوتية كنقطة انطلاق ،
وهذا شىء آخر كلية . فى دراسة الأصوات المفردة ، فانه يكفى أن نلاحظ وضع

أعضاء النطق ، الصفة السمعية للوحدة الصوتية ليست قضية لأنها تتحدد بالاذن ، وبالنسبة للنطق فالمتكلم يملك حرية غير محدودة . ولكن عندما نأتى لنطق صوتين متصلين فان المسألة ليست بسيطة . ويجب أن نضع فى ذهننا امكانية التناقض بين الاثر المطلوب والاثر الناتج . نحن لا نملك المقدرة دائما على نطق ما نريد . ان الحرية فى ربط الانواع الصوتية محكومة بامكانية ربط التحركات النطقية . لتقديم احصائية لما يمكن استبداله داخل المجموعة يحتاج إلى وجود علم للصوت يعالج التحركات النطقية مثل المعادلات الجبرية :

التجمع الثانى يتطلب عدداً من العناصر السمعية والميكانيكية التى تحدد كل منها الاخرى بشكل متبادل ، فان التغير فى أحدها يكون له أثر ارتدادى ملموس وضرورى على الاخريات .

فى الحدث التصويتى (النطق Phonational act فان الشيء الوحيد الذى يملك صفة عالمية تضعه فوق كل الاختلافات المحلية لوحداته الصوتية هو الاطراد الميكانيكى للتحركات النطقية . ان أهمية علم الاصوات التركيبى فى علم اللغة العام قد اتضحت . بينما علم الصوت التقليدى بشكل عام يقدم قواعد لنطق جميع الاصوات — العناصر المتغيرة والعرضية من اللغات — ويقف عندها ، يحدد علم الاصوات التركيبى الامكانيات ويعين العلاقات الثابتة للوحدات الصوتية المتلازمة . فان حالة bagi, baig الخ (أنظر ص ٥) تبرز المسألة المطروحة حول الاصوات المجهورة فى الهندوأوروبية الاصلية ، والآن سيساعد علم الاصوات التركيبى بشكل كبير فى حل المسألة ، لأن التجمع المقطعى للوحدات الصوتية هو همها الوحيد من البداية حتى النهاية . وليست هذه المشكلة الوحيدة التى تحل بهذا المنهج ، حقيقة واحدة مؤكدة . لا نستطيع أن نبحث ببساطة مسألة

الجهورات حتى تعطي تقديراً كاملا للفوارق التي تحكم تركيب الوحدات الصوتية .

٣ ـ الاصوات الانفجارية الداخلية والانفجارية الخارجية :

Implosion - - and Explosion

ساْبدأ من ملاحظة أساسية : هنـاك اختلاف ملموس في نطق « two P's of appa » فان نطق الـ « P » الاولى ينتج من انغلاق والثانية من انطلاق (تحرر) . يتشابه الانطباعان حتى أن علماء الاصوات (Phoneti cians) استعملوا « P » واحدة ليسجلوا التتابع « PP » (انظر ص ٤١) . ولكننا نستطيع استعمال علامات خاصـة < > لنبين هذا الاختلاف بين two P'S of appa « ولنطابق بينهما عنـدما لا تتشابهان (قارن apta ; at pa) هذا الفارق أو التحديد يصلح لـكل الانفجاريات والاحتكاكيات (affa) والانفيات (amma) ، والرخويات (alla) ، ولكل الوحدات الصوتية بشكل عام، متضمنا كل الصوائت ما عدا (aooa).

لقد اصطلحنا على أن الانغلاق هو الانفجار الداخلي « implosion » والتحرر (الانطلاق) « explos ion » الانفجار الخارجي . فالـ « P » اما أن تكون انفجارية داخلية (P) أو انفجارية خارجية (P) ويمكن أن نتكلم بنفس الطريقة عن الاصوات المغلقة والمنفتحة ونستطيع وبدون شك ـ أن نتبين جانب الانفجار الداخلي والخارجي فاصلا بينهما عندما يكون الانفجار طويلا ، وإذا كان مخرج الوحدة الصوتية عريضا (واسعا) (قارن « th « l » of « alla » فان صدور الصوت نفسه يستمر بينما تبقى أعضاء النطق ثابتة من غير حراك . وبشكل عام ، فان كل السلاسل الكلامية تتضمن امتدادات وسطية سأسميها (holdeor slet ents) كوابح أو توقفات . ولكنها

تشبه النطق الانفجارى الداخل ، لأن تأثيرا متساو . وفى الصفحات التالية سأعتنى بالانفجارات الداخلية والخارجية فقط .

إن المنهج الذى حددته سوف لا يكون مقبولا فى المعالجة الشاملة لعلم الاصوات ، ولكن يمكن تبريره فى المخطط المقترح (أو المصمم) لاختصار الاسس المنطقية لتبسيط الخطة بقدر الامكان . ولست أدعى أنى سأحل كل المشاكل والصعوبات الموجودة فيها بتقسيم السلسلة الكلامية إلى مقاطع ، ولكن ببساطة لتقديم قواعد منطقية لدراسة المشكلة .

ملاحظة هامة أخرى . ان حركات الانغلاق والانفتاح الضرورية لاصدار الاصوات يجب أن لاتختلط مع المخارج المختلفة للأصوات أنفسها . ان أى وحدة صوتية (phoneme) يمكن أن يكون انفجاريا داخليا وخارجيا ، ولكن المخرج لايحدث انفجارا داخليا أو خارجيا بطريقة تصبح فيها الحركتان أقل تحديداً أو تميزاً كلما اتسع المخرج . فى الاصوات a ,u ,i فان الاختلاف يبدو أكثر وضوحا . فى aii نستطيع أن نتبين الـ « i » المغلقة والـ « i » المنفتحة : بالمشابه ، فى aūūa و aūūa الصوت الانفجارى الداخل وتابعه الانفجارى الخارجى يختلفان اختلافا شديداً حتى أن الكتابة فى بعض الاحيان تحطم نسقها المطرد وتسجل الاختلاف . فالحرف الانجليزى « W » والالمانى J و « Y » الفرنسية غالبا (فى « عيون « yeux) تمثل الاصوات المنفتحة فى مقابل semi المستعملتان u and i . ولكن عندما يكون المخرج متسعاً (على سبيل المثال e and o) فانه يكون من الصعب التمييز بين الانفجار الداخل والخارجى عمليا ، كما أنه يمكن تصور الاختلاف نظريا (قارن .(aēēa, aōōa

وأخيراً ، كما رأينا آنفا ، الانفتاح الانفي للمخرج يزيل كل اختلاف . فصوت الـ « a » ليس له انجار داخلي أو خارجي . لهذا السبب يجب اعادة مضاعفة جدول الوحدات الصوتية ، ما عدا « a » ، والقائمة التالية للوحدات الجذرية (التي لا يمكن اختصارها) (irreducible) تبين :

▸P	◂P	etc.
▸F	◂F	etc.
▸m	◂m	etc.
▸r	◂r	etc.
▸y	◂y	etc.
▸e	e	etc.
	a.	

بعيداً عن اهمال الفوارق المحددة مجالياً (▸u , ◂i) ، سأحتفظ بها بعناية على شكل (y , w) تبرير وجهة نظري ستظهر بعد (أنظر ، الجزء السابع) . لأول مرة نكون قد خرجنا من التجريد .

والآن ولأول مرة نجد الملموس ، الوحدات الجذرية التي تشغل مكانا وتوافق الضربة في السلسلة الكلامية : لم تكن « P » شيئا سوى وحدة موجودة تربط الصفات المشتركة لـ ◂P and ▸P ، الوحدات الوحيدة الموجودة فعليا بنفس الطريقة ، بناء التجريد الواسع للاصوات الشفوية يربط M B P مع بعضها . إننا نتكلم عن « P » وكأنها فصيله حيوانية ، هناك ذكور واناث يمثلون الفصيلة ، ولكن لا توجد عينة نموذجية .

سابقا ، فرزنا وصنفنا المجردات ، ولكن علينا أن نسير مع المجرد حتى نصل

الملموس . لقد ارتكب علم الأصوات خطأ كبيراً عندما اعتبر المجردات وحدات حقيقية من غير أن يختبر بدقة أكثر تحديدا أو تعريف الوحدة . لقد بحث الأبجدية اليونانية في فرز العناصر المجردة — هذا الانجاز الذى يستلزم تحليلات أكثر دقة (أنظر ص ٣٩) . يبق أن تحليلات الأبجدية اليونانية كانت ناقصة ، لأنها لم تنفذ كاملة .

ما هى الـ « p » الكاملة تماما ؟ باعتبارها الزمنى كجزء من السلسلة الكلامية ، فهى ليست على وجه الخصوص p nor p وما زالت أقل من pp ، لقد تمال هذا التجميع إلى عناصره بوضوح ، وإذا تناولناه خارج السلسلة الكلامية فانه شيء لا وجود مستقل له ، والذى لا نستطيع أن نعمل به أى شيء . ماذا يعنى التجميع g + l لوحده ؟ لا يستطيع صوتان مجردان تشكيل لحظة فى الزمن . ولكن لنتكلم عن i k, i k, i k, i k ، وهكذا ، بجميع العناصر الجذرية لكلام بعد مختلفا تماما . وهكذا نرى كيف أن عنصرين يكفيان لارباك وتشويش علم الأصوات التقليدى ، واستحالة العمل مع وحدات صوتية مجردة — كما هو حاصل — بات مؤكداً .

وتقول إحدى النظريات انه فى أى وحدة صوتية بسيطة مدروسة أو معتبرة داخل السلسلة (على سبيل المثال ، pa or apa = p) يحدث أو يظهر الانفجار الداخلى والخارجى بالتوالى .

وبدون شك فان أى انطلاق (مجرد) لابد أن يكون مسبوقا بانغلاق . ولنأخذ مثالا آخر ، عند نطق الـ rp لابد أن أنشيء أولا انغلاقا لنطق « r » ثم انطلق الـ « r » المنفتحة [1] بينما لا يتشكل الانغلاق الـ « p » بالشفتين .

(١) استعملت المنفتحة والمنغلقة استدلالا اصطلاحيا حتى لا يختلط مفهوم الفتحة العربية بالفتحة النطقية زاناها لها الانغلاق .

ولكني أرغب في تفصيل وجهة نظرى حتى أجيب على ذلك الاعتراض . في تحليل الحدث النطقي يجب أن آخذ في الاعتبار فقط العناصر المختلفة التى تحدث انطباعا مميزاً على الأذن ، ساعة بتحديد الوحدات السمعية للسلسلة الكلامية . ولابد من الأخذ في الاعتبار وحدات آلة الرسم الفيزيائي لقياس الموجات الصوتية .

(acou stic-motor) ، عند ذلك فان النطق الانفجارى لصوت « » بجانب الانفجار الداخلي لصوت « » لايكون له وجود عندى ، لأنه لاينتج صوتا ملموسا ، أو على الأقل لايكون مهما في سلسلة الوحدات الصوتية . لابد من فهم هذه النقطة الرئيسية تماما حتى يمكن فهم التطورات التالية .

٣ ـ التجمعات الممكنة للانفجارات الخارجية والداخلية في السلسلة :

انظر الآن إلى ما يمكن أن ينتج من كل تتابع من التجمعات الأربعة للانفجارات الخارجية والداخلية الممكنة نظريا :

١) <>   ٢) ><   ٣) <<   ٤) >>

١) تجمع الانفجار الخارجى والداخلي (<>) . بدون تحطيم السلسلة الكلامية نستطيع أن نربط دائما الوحدات الصوتية الانفجارية الخارجية والداخلية :

k r, p i, y m, etc (e, g. San skrit k rta English P i ty; Proto-indo — European y m to — , etc.)

. وبالطبع ، فان بعض التجمعات (complus tives) مثل k t ، إلخ ، ليس لها أثر سمعى ، ولكن تبقى الحقيقة وهى أن نطلق الـ « K » المدغمة يترك أعضاء

النطق فى الوضع الصحيح لتحدث انفلاتا عند أية نقطة معينة . والحركتان النطقيتان لا تتداخلان مع بعضها .

٢) تجمع الانفجار الداخلى والخارجى (><)

تحت نفس الظروف — ومع نفس التحفظات — فانه يمكن دائما ربط الوحدات الصوتية الانفجارية الداخلية والخارجية :

i m, k i, etc (eg. Greek ha ime, English active, etc).

وبالطبع فان لحظات التتابع النطق لا تتبع بعضها بنفس الطريقة كما فعلت فى النظام العكسى التجمع رقم (١) .

إن الاختلاف بين الانفجارات الداخلية الأولية والخارجية هى هذه :

الانفجار الخارجى الذى يتجه لتحييد الأعضاء النطقية ، فانه لا يشارك فى اللحظة التالية ، ولكن الانفجار الداخلى يأخذ وضعا محددا لا يمكن أن يكون فيه نقطة الانطلاق لأى انفجار خارجى . ومن أجل ذلك السبب ، لابد أن يلجأ دائما لحركة سهلة نوعا ما حتى يضع الأعضاء الضرورية لنطق الوحدة الصوتية الثانية فى الوضع الصحيح . ولكن اجراءات نطق الـ « s » فى « s p » ، على سبيل المثال ، لابد أن تغلق الشفتان لتكونا جاهزتين لنطق الـ « p » المنفتحة . ولكن الخبرة تبين أن تسهل الحركة ليس له أثر فعال . انها تنتج صوتا محتملا لا يتعارض بأية حال مع تتابع السلسلة .

٣ — ترابط الانفجار الخارجى[١] (> >) : يمكن أن يحدث انفجاران

---

(١) حصل خطأ مطبعى أو من المترجم عن الأصل (لأن الشرح يتكلم عن الانفجار الخارجى) والاشارة تدل على ذلك .

خارجيان متتابعان ولكن إذا كان الثانى يتعلق بوحدة صرتية ذات مخرج أقل أو مساو ، فان الانطباع الوحدة الصمية الذى يتحقق فى الحالة المعاكسة أو فى تتابعات التجمعات ١ و ٢ ، سوف يضيع :

يمكن نطق pk = (pka) ، ولكن هذه الأصوات لا تشكل سلسلة ، لأن أنواع الـ k ، p ، لها نفس المخرج . وهذا نطق آخر غير طبيعى سوف يتحقق من التوقف بعد الـ a ، الاول فى cna - pka . بالمقابل ، p r تعطى الانطباع بالاستمرارية (قارن Price) ، لا تسبب r p صعوبة (قارن الكلمة الفرنسية « لاشىء » rien) لماذا ؟ لأنه يحدث الانفجار الخارجى الاول فى الحال ، وأعضاء النطق تكون قد اتخذت وضعها الصحيح لاحداث الانفجار الخارجى الثانى من غير التعارض مع الاثر السمعى للأول . ، هكذا ، تكون الاعضاء جاهزة فى وضعها لنطق الـ r فى « price » بينما تكون « P » فى حالة نطق . ولكنه يستحيل نطق معكوس المجموعة « rp » ، ليس لأنها استحالة ميكانيكية (آلية) (تستطيع) أن تحضر لنطق « p » ، أثناء نطق الـ r المنفتحة) ، ولكن بسبب حركة الـ r تأتى مواجهة للمخرج الاصغر لـ p ، فانه لا يمكن ادراكه . سيكون مطلوبا حركتان منفصلتان لتجعل r p مسموعة ، ولابد أن ينقطع الاصدار .

إن الترابط الانفجارى الخارجى يمكن أن يشتمل على أكثر من عنصرين بالاضافة إلى أن كل مخرج تابع يكون أعرض من المخرج السابق له (على سبيل المثال k rwa) . علاوة على بعض الحالات الخاصة التى لم أستطع بحثها بالتفصيل ، ان الحد الطبيعى للعدد الممكن للانفجارات الخارجية هو عدد درجات المخرج المميزة عمليا .

٤ - ترابط الانفجار الداخلي : (<<)

القانون المقابل يحكم ترابط الانفجار الداخلي : عندما تكون وحدة صوتية منفتحة أكثر من الوحدة التالية لهـــا فان الانطباع الاستمراري يتواصل (على سبيل المثال ǝ̈ r̈ و r̈ ï) ، وإذا لم نراجع هذه الحالة — إذا كانت الوحدة الصوتية التالية أكثر انفتاحا أو كان لها حالة لم يسبق مقابلتها — فالنطق لا يزال ممكنا ، ولكن الانطباع الاستمراري يتناقص : ë r̈ in ä s̈ ite بشكل أساسي ، نفس الشيء مثل p̈k̈ in che-pka (أنظر ص ٥٥) .

توازي هذه الظاهرة تلك الظاهرة التي حللت ترابط الانفجار الخارجي في كل الوجوه : ẗ nt r̈ẗ th بفضل ضيق مخرجها تعفى « r » من الانفجار الخارجي في ترابط مثل m̈ r̈ مكونة من وحدات صوتية مواضع نطقها مختلفة ، و m̈ لا تعفى « r̈ » من الانفجار الخارجي ولكنها تقترب من نفس النتيجة بتغطية انفجارها الخارجي تماما . ومن جهة أخرى ، كما هو في النظام المعكوس r̈m̈ ، فان الانفجار الخارجي الاساسي لأي المختلس يحطم السلسلة الكلامية .

يشبه ترابط الانفجار الداخلي ترابط الانفجار الخارجي ، يمكن بوضوح أن يتضمن أكثر من عنصرين إذا كان كل منها يملك مخرجا أوسع من مخرج التالي له . (قارن arst)

لنترك جانبا تكسير الروابط ، ولنعد الآن إلى السلسلة المستمرة العادية — التي يجب أن يصطلح عليها عضوية (فسيولوجيا) — كما تمثلها في الفرنسية بالكلمة Particulièrement p̈ ä r̈ ẗ ï k̈ ü l̈ ÿ ë r̈ m̈ ä̈ . لقد تميزت السلسلة بتتابع ترابطات متدرجة مطابقة لتتابع التحررات والاحتباسات لأعضاء النطق (الانفتاح والانغلاق) .

إن هذا التحديد للسلسلة العادية يحمل الملاحظات الآتية التى لها أهمية كبيرة محكنة .

٤ ـ الحد المقطعي والقمة التصويتية (Voca lic peak) :

إن الانتقال من انفجار الداخل إلى الانفجار الخارجي في السلسلة الصوتية يحدث أثراً مميزاً والذى يحدد أو يشار إليه بالحد المقطعي (على سبيل المثال (the i k of particolierement

إن التوافق المطرد للاساس الميكانيكي والاثر السمعي المحدد يؤكد أن تجمع الانفجارين الداخلي والخارجي له الحق في الوجود في علم الاصوات ، وميزتها ثابتة بالرغم من الانواع التي تكونها . انها تشكل نموذجا يحتوى على أنواع كثيرة بقدر ما يمكن إيجاده من تجمعات (Compinations) .

يظهر الحد المقطعي في بعض الاحيان عند نقاط مختلفة في انفس مجموعة الوحدات الصوتية ، معتمدة على سرعة الانتقال من الانفجار الداخلي إلى الخارجي . في كلمة « ardra » على سبيل المثال ، فانه لا التقسيم هنا لكلمة a r d r a ولا لانها a r d r a يحطم السلسلة ، لان كلا الترابطين الانفجاريين الداخلي a r d ، والخارجي d r يتغيران تدريجيا .

انفس الشيء ينطبق على a i y e من الكلمة (a l y e or a l y e) Particolierement ونلاحظ ثانيا ، أنه في الانتقال من الصمت إلى الانفجار الداخلي الأول (<) - على سبيل المثال part in artist - أو من الانفجار الخارجي إلى الداخل (< >) على سبيل المثال part iu particulierement - فان الصوت الذي يحدث عند الانفجار الداخلي متميز عن الاصوات المجاورة

بواسطة أثره الصوتي الخاص ، ان الأثر الصوتي لا يعتمد بأي شكل على تساع مخرج الصوت « a » ، لأنه في « p̌ r̃ » فان صوت الـ r « يحدث نفس الأثر . انه متأصل أو ملازم للانفجار الداخلي الأولي بصرف النظر عن أنواعها الصوتية ، أعني ، درجتها من المخرج ، سواء حدث الانفجار الداخلي بعد صمت أو بعد انفجار خارجي ناله يؤثر كثيراً . ان الصوت الذي يحدث انطباعا صوتيا هو القمة الصوتية

كما تدعى القمم الصوتية أيضا صوائت « Sonants » ، وكل الأصوات الأخرى في نفس المقطع صوامت « Con sonants » . الصوائت (حروف العلة) والصوامت (الحروف الساكنة) تشكل أنواعا مختلفة (أنظر ص ٤٨) . الصوائت والصوامت — من جهة أخرى — يعينان أو يدلان على الوظائف داخل المقاطع . النظام الثنائي للمصطلح أزال الارتباك الذي بقى لمدة طويلة . وهكذا ، فالنوع الأول هو نفسه في الفرنسية : « قدم » Pied and « مخلص » fidèle ، انه صائت (حرف علة) ولكنه صائت في Pidele وصامت في « Pied » . يظهر التحليل أن الصوائت انفجارية داخلية دائما بينما الصوامت يمكن أن تكون انفجارية داخلية (eg. i in En.lish boi; written boy) أو انفجارية خارجية (e.g. y ni french P y e, written Pied.) .

إن التحليل يؤكد الاختلاف القائم بين النوعين . بشكل مطرد (e,o,a) وصائت . ولكن هذا مجرد مصادفة أو توافق : انها تملك مخرجا أوسع من الأصوات الأخرى ، وأنها تقع في بداية سلسلة الانفجار الداخلي على عكس الانفجاريات التي تملك مخرجا ضيقا . فهي دائما صوامت (Con sonants) . عندما نطبق فك الوحدات الصوتية للمخارج ٢ ، ٣ ، ٤ (الأنفية ، الرخوة ،

أصاى لـ ل) . تلعب دوراً آخر معتمدة على الاصوات المجاورة وعلى طبيعة نطقها .

٥ ـ نقد النظريات القطعية :

إن الاذن تدرك الانقسام المقطعى فى كل سلسلة كلامية ، كما أنها تدرك الصوت المجهور (الصائت Sonent) فى كل مقطع . انه يمكن قبول الحقيقتين مع استمرار استغراب سبب وجوب صحتها .

لقد أعطيت تفسيرات مختلفة :

١) يلاحظ أن هناك أصواتا أكثر جهراً (Sonorous) من الاخريات ، لقد حاول بعض الباحثين أن يؤسس المقاطع بناء على الجهر فى وحداتها الصوتية، ولـــكن كيف تكون الوحدات الصوتية المجهورة مثل « u and i » (غير ضرورية لتشكيل مقاطع ؟) ليست بالضرورة تشكل مقاطع ؟ بجانب هذا ، أين يتوقف الجهر إذا كانت الاصوات الاحتكاكية ، مثل « s » مقطعية (على سبيل المثال : Pst) ؟ إذا كان الجهر النسبى للاصوات متصلا يكـــون قويا (inst atake) فكيف نستطيع تفسير هذه التجمعات مثل wi (على سبيل المثال : فى الكلمة الهندوأوروبية الاصلية « ذئب » Wikos) التى يعد أقل عنصر مجهور فيها مقطعيا ؟

٢) — سفيرز E. Sievers كان أول من أشار إلى أن الصوت المصنف على أنه صائت (حرف علة) ليس من الضرورى أن يحدث انطباعا صوتيا مجردا (على سبيل المثال قد رأينا سابقا فى ص ٥٢ وما بعدها أن y و w هى ليست إلا i و u) أما بالنسبة لمن يسأل لماذا يجب أن يكون للصوت وظيفة ثنائية

ــ أو أثر سمعي ثانى ، لأن الوظيفة « Function » تعني فقط هذ ــ فله. هذا الجواب : إن وظيفة صوت معين تعتمد على ما إذا كان الصوت ، يتقبل النبر المقطعي « syllabic accent » . هذه حلقة مفرغة . إذا كنت حراً تحت كل الظروف لوضع النبر المقطعي الذي ينشيء الجهورات أينما أريد عندها يقال النبر صوتا مجهـــورا « Sonantic » . ولكن إذا كانت المقطعية تعني أى شيء ، فيجب أن يشتق معناها من القوانين المقطعية (من القوانين التي للمقطع) . ليس لأن مثل هذه القوانين ناقصة أو غير موجودة ولكن لأن نوعية الجهر الصوتي قد وصفت (as Silbenbildend) ، وكأن تشكيل المقاطع يعتمد على النبر المقطعي .

إن الفرق بين منهجنا و لمنهجين السابقين (١ + ٢) أصبح واضحا : بتحليل المقاطع كما يحدث في السلسلة فاننا نجد الوحدات الجذرية (irreducible) ــ الاصوات المنفتحة والمنغلقة . وبتجميع هذه الوحدات يصبح في مقدورنا تبين الحد المقطعي والقمـــة الصوتية ، أصبحنا نعرف الآن تحت أى الظروف الفسيولوجية يجب أن تحدث أو تظهر المؤثرات السمعية . ان النظريات التى سبق نقدها سارت على الطريق المعاكس للبحث : تدعي اقتراحات النظريات لتستدل على الحد المقطعي ومكان الجهر بأنه يكون في النوع الصوتي المفرد ، في مجموعة محددة من الوحدات الصوتية يكون نطق صوت أكثر طبيعية وسهولة من نطق صوت آخر . ولكن بواسطة امكانية الاختيار واتساعها بين الانفتاح والانغلاق يستمر نطق الصوامت ، وتعتمد المقطعية على الاختيار أكثر من اعتمادها مباشرة على النوع الصوتي . ونظريتي ــ بدون شك ـ لا تعالج ولا تحل جميع المسائل .التقاء صائتين (Hiatus) ، على سبيل المثال ، الذى كثيرا مايحدث ـ هو ببساطة ترابط انفجار داخلي متكك (broken implosive link)

بشكل مقصود أو غير مقصود : « شد » « and a-i (in French ébahi
« أطلق النار » e.g i-e (in french il cria .

إنها تظهر بسهولة أكبر عندما يكون النوع الصوتي ذا مخرج واسع .

الترابطات الانفجارية الخارجية (منفصلة) غير المتدرجة تتواجد في السلسلة الصوتية تماما مثل المجموعات العادية . وقد ذكرت مثالا عليها سابقا ، Kteino (أنظر ص ٥٥ الهامش) . أو خذ التتابع pzta : يمكن نطقها بشكل عادي فقط p a t a ، لا بد أن تؤلف مقطعين ، ويكون لها مقدمان إذا نطق صوت « z » الحنجري بشكل دقيق أو مميز ، ولكن إذا أخفي نطق « z » فإن التناقض بينها وبين صوت « a » يكون غير كاف لأن « z » احدى الوحدات الصوتية التي تتطلب أقل مخرج ، والنتيجة أنه لوحظ هنا مقطع واحـــد فقط ، وسمي شيء مشابه لـ p z t a .

في كل الترابطات الانفجارية المنفصلة ، عندما تتدخل الارادة والقصد ، فانه يمكن تحاشي الضرورات الفسيولوجية (العضوية) إلى حد ما .

إن تحديد ما هو مقصود وما هو عضوي (فسيولوجي) غالبا ما يكون صعبا ، ولكن التصويت (phonation) يعتمد على تتابع الانفجارات الداخلية والخارجية ، وهذه أساسية في تشكيل المقاطع (syllabication) .

٦ ـ طول (مدى) الانفجار الداخلي والانفجار الخارجي :

إن تفسيرنا للمقاطع في مصطلحات لعملية أو وظيفة الانفجارات الخارجية والداخلية تقود إلى ملاحظة هامة لأنها بوساطة تعميم الحقيقة القياسية .

نستطيع أن نميز نوعين من الصوائت الطويلة في اللاتينية واليونانية :

الطويلة طبيعيا (mater) والطويلة تبعا لوضعها أو حالتها (factus) . لماذا حدث « Fac » طويله في « Factus » ؟ هل بسبب التجمع « Ct » ؟ لا ، لأنه إذا كان التجمع لوحده يحدد الطول فان كل مقطع يبدأ بصامتين سيكون طويلا ، ولكن هذا ليس صحيحا (قارن .Cliens, etc) .

إن السبب الحقيق هو أن الانفجار الخارجي والداخلي يختلفان بشكل أساسي فيما يتعلق بالطول . فان الاول يكون سريعا بحيث لا تستطيع الأذن قياسه ، ولذلك السبب أيضا فانها لا تحدث انطباعا صوتيا . ان ما يمكن قياسه هو الانفجار الداخلي فقط ، حتى أننا نشعر بأننا نقيم فترة طويلة على الصائت الذي يبدأ عنده الانفجار الداخلي .

بجانب هذا ، نحن نعلم بأن الصوائت التي تظهر قبل التجمع (Combination) الانفجاري أو الاحتكاكي والرخوي تعالج بطريقتين : فان الـ « a » في « Patrem » يمكن أن تكون طويلة أو قصيرة ، فالاساس واحد في أي مثال آخر . تنطق « tr and tr » بنفس السهولة ، ان المنهج الاول للنطق يسمح لـ « a » أن تبقى قصيرة ، والثاني ينشيء مقطعا طويلا . نفس المعالجة الثانية لـ « a » غير ممكنة في كلمة مثل « Factus » ، فانه يمكن نطق c t بينما لا يمكن نطق « c t » .

٢ ـ الوحدات الصوتية للمخرج الرابع ، الصوت المركبة (Diphthongs) ، مسألة حول الكتابة .

أخيراً ، إن الوحدات الصوتية للمخرج الرابع تستدعي بعض الملاحظات الاضافية .

لقد رأينا مقابل ما يحدث مع الأصوات الأخرى – أن الأمثال يجيز وضعين من الصورة الكتابية (i = i , i - y ,u - u u - w) بالنسبة للوحدات الصوتية المخرج الرابع (أنظر ص ٥٢) . والسبب بسيط : في مجموعات مثل . aiya, auwa فان الفارق بين المحررة والمغلقة أكثر حدة من أي شيء آخر ، i and i تحدثان انطباعا صوتيا واضحا ، u and u تحدثان انطباعا ساكنا . من غير ادعاء شرح الحقيقة ، أرغب في اظهار أن « i » الصامتة لايمكن أن تترافق مع صوت مغلق : فان « i » في « ai » لايمكن أن يكون لها نفس الاثر مثل « y » في « ayya » ، (قارن : English boy and French pied) ، من حيث الوضع أو الوظيفة ، « y » صوت صامت و « i » صوت صائت ، لأن تنوعات النوع الاول هذه لا تحدث حيادية . نفس الملاحظات تنطبق على : u and w, u and w .

إن البحث السابق يوضح مسألة الصائت المركب . انها نوع خاص من الترابط الانفجاري الداخلي فقط ، a i t a and a u t a ، متوازيان بشكل مطلق ، ومخرج العنصر الثاني هو المختلف فقط . الصائت المركب ترابط انفجاري داخلي (implosive link) تكون فيه الوحدة الصوتية الثانية منفتحة محدثة انطباعا (impression) سمعيا مميزا .

ويجب أن نقول أن الجهر يستمر في العنصر الثاني من التجمع وبالمقابل ، فان تجمعا مثل i y a متميز عن تجمع مثل i r a في درجة مخرج الانفجار الأخير فقط . هذا يعني أن ما يسميه علماء الاصوات الصوائت المركبة الهابطة ليست صوائت مركبة حقيقية ، ولكنها تجمعات انفجارية خارجية وداخلية التي لا ينتج فيها العنصر الاول أثراً سمعياً مميزاً حتى ولو كان منفتحا

نسبيا (i y a) . فالتجمعات مثل : a i, o u مع وجود النبر على u and i (على سبيل المثال : buob, liab فى بعض اللهجات الالمانية) ، تعد صوائت مركبة زائفة لأنها فذات فى احداث انطباع عن الوحـــدة المتجهة بواسطة Ou, a i etc الخ .

إننا لانستطيع أن ننطق uo باعتبارها انفجاراً داخليا + انفجاراً داخليا ، ونتجنب فصل الترابط من غير حاجة بأى وسيلة لفرض وحـــدة صناعية على التجمع .

تحديدنا للصائت المركب — الذى يربطه بالأساس العام للترابطات الانفجارية الداخلية — أنها ليست — كما نعتقد — شيئا متعارضا لا يمكن تصنيفها ضمن الظاهرة الصوتية ، ليست هناك حاجة لوضعها فى نوع خاص . ان صفة الانفراد أو الاستثناء للصائت المركب ليس لها فى الحقيقة فائدة أو أهمية . ان الشيء المهم ليس تحديد نهاية الجهر ولكن بدايته .

ى. سيفيرز E. Sievers وكثـــير من اللغويين الآخرين قد فرقوا فى الكتابة بين :

i, u, ü, r, n, etc and i, u, ü, r, n, etc. (i = unsilbisch es . i = Silbisch (s . i)) كما كتبوا : mirta, mairta, miarta بينما كتبتها : mirte, mairta, myarta مع ملاحظة أن : ترجع إلى نفس النوع الصوتى ، انها تحتاج بخاصة إلى علامة جنسية (عامة) لكليها (مع التمسك بمفهوم أن السلسلة الصوتية تتألف من أنواع متجاورة (Juxtaposition) .

إن كتابتهم التي قامت على الدليل السمعى (oral evidence) ، غير منطقية .

وتهمل الفـــارق الدقيق الذى يجب أن يحدث : ١) (y.w ·) i.u المفتحتان تتداخلان (تختلطان) مع الاحتباسيتين i,u (على سبيل المثال . فانها تستطيع التمييز ، بين nowo and neuo) . بالمقابل ، فان الاحتباسيتين بجروتان إلى جزئين . (قارن : mirta and mairta) . هنا بعض النماذج من الصويات التى تنتج عن إستخدام نظام ى. سنيرز . الأول : rhewo and . rheume . مقابل Old Greek dwis and du is against ..

لقد حدث التناقضان تحت نفس الظروف الصوتية تماما ، ويشار إليها عادة بنفس الرموز الكتابية ، u ، اما أن تكون (w) المنفتحة أو (u) المنغلقة ، معتمدة على ما إذا كانت الوحدة الصوتية التالية أكثر انفتاحا أو انغلاقا . ولكن الصور الكتابية · duis, duis rheuo, rheume · تمحو تماما هذه التناقضات بالمثل ، فى الهندوأوروبية الأصلية نجد أن المجموعتين .

mat er, materes, matreu and sunen, sunewai, sunewes, sunnen متوازيتان تماما فى معالجتها الثنائية الصوتين : r and n . فى المجموعة الثانية على الأقل ، فان التناقض بين الانفجاريات الداخلية والخارجية بارز الوضوح فى الكتابة ، ولكن الصورة الكتابية التى انتقدتها (Sunen, sunuai, sunuues, sunnen) تخفى التناقض ، أى وجود الفوارق بين الاصوات المنفتحة والمنغلقة (U, W, etc) يجب أن لا يحافظ عليه فقط ولكن اسمها حتى تغطى كل النظام . يجب أن نكتب mater, matpai, matepes, matren, وبعدها ستظهر الوظيفة المقطعية ، والقسم الصوتية والحدود المقطعية ستكشف .

ملاحظة المؤلف : لقد ألقت النظرية التي درست "ضوء على عدة مشاكل ، بعض ما تناوله دى سوسير فى محاضراته . سنقدم بعض الأمثلة .

١) يرى « سيفيرز Sievers » أن bertnnnn (German beritt-nen) مثال نموذجى لبيان أن الصوت المفرد يمكن أن يعمل بالتناوب مرتين كصوت مجهور ومرتين أخريين كصوت غير مجهور (صامت) (non-sonant) (عادة تعمل « n » مرة فقط كصوت صامت ، ولابد أن تكتب الكلمة beritnnn ، ولكن هذا ليس له أثر كبير) .

لا يوجد مثال يرينا بوضوح أكثر أن الصوت « Sound » والنوع « Species » ليسا مترادفين « Synonymous » ، لأنه إذا ألحنا على الصوت n ، أعنى ، الانفجار الداخل (sistent articulation) فستكون النتيجة مقطعا طويلا . للشىء تناوبا من الـ « n » n » ، المجهورة والمهموسة ، علينا أن ننتقل من الانفجار الداخل « n » First) إلى الانفجار الخارجى «n» Second وتعود إلى الانفجار الداخل (third n) . حيث أن الانفجارين الداخليين غير مسبوقتين بانفجار داخلى آخر ، كلاهما مجهوران .

٢) فى الكلمات الفرنسية مثل .etc و « عامل » ouvrier و « مجرم » meurtrier ، والنهايات — vrier — trier، التى تشكل مقطعا واحدا فقط بصرف النظر عن كيفية نطقها الفعلى (قارن ص٥٦ الهامش) . أخيراً لقد ابتدأ المتكلمون ينطقونها فى مقطعين .

(meur-tri er بفاصل أو بدون فاصل ، أعنى ، (-t r i e ər r i y e
لم يحدث التغيير نتيجة وضع النبر المقامى على العنصر « i » ، ولكن بتغيير نطقها من الانفجار الخارجى إلى الانفجار الداخل .

إن النطق العامى للكلمة uvrier هو ouvérier . هذا التغيير لا يه تقسيم vrier — إلى مقطعين ، ولكن العنصر الثانى هنا « r » فوق أن كونه ثالثا قد غير نطقه وأصبح مجهوراً : uvr y ė uvr y ė . وقد تجاورت الـ « e » بالتالى أمام صوت الـ « r » المجهورة .

٢) وعلينا أن ننظر الحالة المشهورة للصوائت الزائدة أمام « S » المتبوعة بصامت فى الفرنسية : « حجاب ساتر » ecūtum iscūtum Frekh escu, écu « ek » Latin ، هنا رابط منفصل (أنظر ص ٥٥) أكثر (طبيعية) اللغة . ولكن « S » الانفجاريا الداخلية تعمل كقمة صوتية عندما تكون فى بداية الجملة ، أو عند ما تنتهى الكلمة السابقة بصامت ذى مخرج ضعيف . أو e الزائدتان تبالغان فقط فى نوع الجهر لصوت الـ « S » : أن أى صفة صوتية ملموسة (مدركة حسيا) تميل لتصبح أكثر وضوحا فى النطق عندما يحاول المتكلمون الاحتفاظ بها نفس الظاهرة مسئولة عن « فضيحة » esclandre . والنطق العامى esquelette, estatue (الفرنسية الراقية « تمثال » Statue و « الهيكل العظمى » Squelette) . كما أنها تظهر فى النطق العامى لحروف الجر : ed : « تكتب » de troncribed « عين سمك النش » un oeil ed tanche « . عبر الترخيم الوسطى » syncope « bscame d'tanche » de tanche . ولكن لتدرك حسيا فى هذا الوضع فيجب أن تكون « d » انفجارية داخلية (d tanche) ، لقد أعادت النتيجة تطور الصوائت الزائدة .

٤) انه ليس من الضرورى أن نعود إلى الجهورات الهندوأوروبية ، وأن نسأل ، على سبيل المثال ، لماذا تغيرت لفظة hagl فى الالمانية القديمة الفصحى الـ hagal بينما balg بقيت سليمة . صوت الـ « L » هنا — العنصر الثانى —

من الترابط الانفجاري الداخلي (bágl) تعمل كصامت مهموس ولا تملك سببا لتغيير وظيفتها . ولكن صوت « L » في « hagl » ، هو أيضا انفجاري داخلي ، هو قمة صوتية . كونها مجهورة ، فإنها طورت صائتا زائدا أكثر انفتاحا (الـ « e » إذا تقبلنا التهجئة كدليل) . لقد أصبح الصائت أقل تمييزا مع مرور الزمن ، وربما يكن ، واليوم تنطق hagel ثانية há g l .

فإن صفة « L » هي المسئولة عن الاختلاف بين نطق الكلمة الألمانية والفرنسية « نسر » « aigle » ، Hagel وجد فيها « L » مغلقة بينما في الكلمة الفرنسية « L » منفتحة متبوعة بـ « e » صامتة (é g l e)

القسم الأول

أسس عامة

الفصل الأول

طبيعة العلامة اللغوية

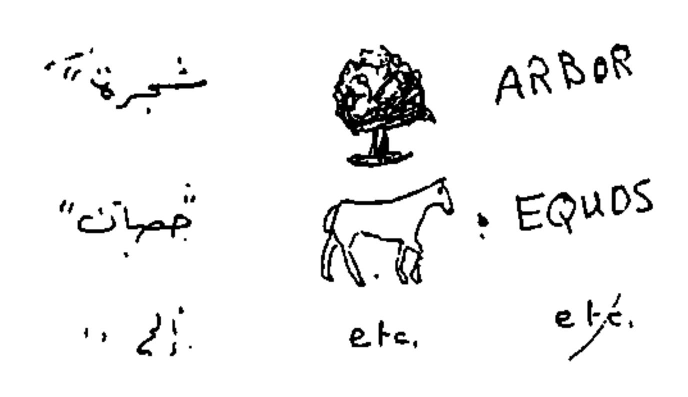
١ - العلامة : الدال المدلول : Sign, Signified, signifier

ينظر بعض الناس إلى اللغة — عند تحليلها إلى عناصرها — وكأنها عملية تسمية (naming - process) فقط — قائمة من الكلمات تتطابق كل منها مع الاسم الذى تدل عليه . على سبيل المثال :

هذه الفكرة مفتوحة للنقد من عدة جوانب . انها تفترض أن الأفكار الجاهزة توجد قبل الكلمات ، (حول هذه النقطة ، أنظر أسفل ص ١١١) . انها لا تخبرنا فيما إذا كان الاسم صوتيا أو عضويا فى الطبيعة (الشجرة، على سبيل المثال ، يمكن أن ينظر اليها من وجهة نظر أخرى) .

فى النهاية ، انها تجعلنا نفترض أن الربط بين الاسم والشىء عملية سهلة جدا — الافتراض بأنه أى شىء صحيح — ولكن هذه الطريقة من بساطتها نستطيع أن تقربنا من الحقيقة لأنها ترينا أن الوحدة اللغوية ثنائية الكيان، تتشكل الواحدة منها بتجميع مصطلحين .

لقد رأينا — مع الأخذ بعين الاعتبار الدائرة الكلامية (ص ١١) — أن كلا المصطلحين اللذين تشتمل عليها العلامة اللغوية نفسيان ومتحدان فى العقل برابط جمعى . لابد أن نتأكد هذه النقطة ان العلامة اللغوية لا توجد الشىء



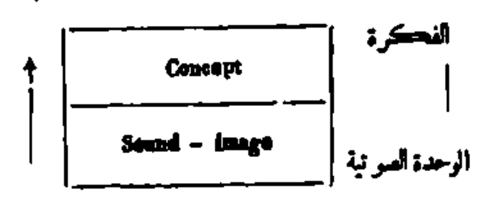
والاسم ولكن توحد الفكرة والصورة الصوتية (Sound - Image)

ان الصورة الصوتية ليست الصوت المادى ، انها شىء فيزيائى خالص ، ولكن الطابع النفسى الصوت هو الانطباع الذى يحدثه على مشاعرنا. ان الصورة الصوتية حسية (Sensory) وإذا حصل وسميتها مادية (material) فهى لا تتعدى ذلك المعنى . وعن طريق مقابلتها للمصطلح الآخر فى التجمع ، الفكرة ، التى تعد أكثر تجريدا بشكل عام .

إن الميزة النفسية لصورنا الصوتية واضحة عندما نلاحظ كلامنا .

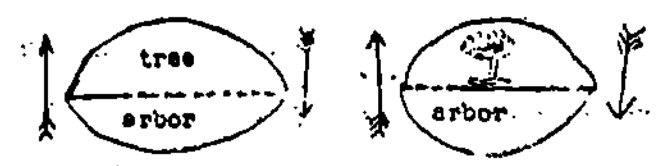
نستطيع أن نكلم أنفسنا أو نتلو عن ظهر قلب قطعة من الشعر من غير أن نحرك شفاهنا أو لساننا . ولأننا نعامل ألفاظ لغتنا على أنها صور صوتية فيجب أن نتجنب الكلام عن الوحدات الصوتية (Phonemes) التى تشكل الكلمات . هذا المصطلح ، الذى يحقق النشاط الصوتى ، ينطبق على الكلمة المتكلمة فقط ، ليؤكد الصورة الداخلية (التصور الداخلى) فى الحديث . نستطيع أن نتجنب ذلك الفهم الخاطىء بالكلام عن الأصوات والمقاطع التى تحويها الكلمة ونتذكر أن الأسماء تدل على الصورة الصوتية .

العلامة اللغوية هي كيان نفسي له جانبان يمكن تمثيله بالرسم الآتي :



العنصران وحدة متآلفة ، وكل منها يستدعي الأخرى . سواء حاولنا أن نجد معنى الكلمة اللاتينية (arbor) أو الكلمة التي تستعملها اللاتينية لتعبر عن فكرة (tree) « شجرة » ، فانه من الواضح أن التوافقات التي تقرها تلك اللغة تبدو لنا لتطابق الحقيقة ، وقد أهملنا ما يمكن أن يتصوره الآخرون .

تعريفنا للعلامة اللغوية يطرح أهم سؤال عن علم المصطلحات. لقد سميت تجمع الفكرة والصورة الصوتية علامة ، ولكن في الاستعمال الشائع فان المصطلح يعني الصورة الصوتية فقط ، الكلمة ، على سبيل المثال («شجرة» arbor) يميل الواحد منا للنسيان أن « شجرة » (arbor) سميت علامة لأنها فقط تحمل مفهوم « شجرة tree » بالاضافة إلى حقيقة أن فكرة الجانب الحسي تتضمن الفكرة كلها .



سيختفي الغموض إذا أشير إلى المفاهيم الثلاثة المستخدمة هنا بثلاثة أسماء ، كل منها تحقق وتناقض الأخريات أعتزم الاحتفاظ بكلمة علامة Signe) لتعني الكل ، ولنضع بدلا من الفكرة (Concept) والصورة الصوتية (Sound-image)

على التوالى (Signifie) المدلول و (signifiant) الدال ، المصطلحان الأخيران لها فائدة الدلالة على التناقض (التعارض) الذى يفرقها عن بعضها وعن كل ما يشكلان جزءا منه .

وفيما يتعلق بالعلامة (Sign) ، إذا كنت قد رضيت بها ، هذا بكل بساطة ، لأننى لم أجد كلمة تحل محلها . فاللغة العادية لم تقدم غيرها . فالعلامة اللغوية ، كما حددت ، لها ميزتان أساسيتان . فى اعلانى عن هذين الاساسين أكون قد وضعت الأسس الرئيسية لأى دراسة من هذا النوع .

٢ - الاساس الاول : الطبيعة الاعتباطية arbitrary للعلامة :

ان الرابط بين الدال (signifier) والمدلول (signified) اعتباطى .

ولما كنت أعنى بالعلامة الكل المتحقق من تجميع الدال والمدلول ، أستطيع القول ببساطة : العلامة اللغوية اعتباطية .

ان فكرة « أخت sister » غير مرتبطة بأية علاقة قرابة داخلية مع تتابع الاصوات s – o – r التى تعمل كدال عليها فى الفرنسية ، التى يمكن تمثيلها بشكل مساو بأى تتابع آخر مشابه مؤكد بالاختلاف داخل اللغات ، وبالوجود القوى اللغات المختلفة .

ان مدلول « ثور Ox » يحمل كدلالة عليه f – – b فى جانب من جانبيه و o - k—s (ochs) من الجانب الآخر .

لايجادل أحد فى أساس اعتباطية العلامة ، ولكن غالبا ما يكون اكتشاف الحقيقة أسهل من تحديد مكانها الصحيح . ان الأساس الاول يحكم نظريات اللغة ، ونتائجه لاتحصى . فى الحقيقة فان كل نتائجها ليست متساوية الوضوح من أول وهلة

ولكن عند تخطي كثير من العقبات ، يستطيع المرء اكتشافها ومعها الأهمية الأولية للأساس .

ملاحظة عابرة :

عندما يصبح علم العلامات (Semiology) منظماً باعتباره علماً . فإن السؤال الذي يبرز هو فيما إذا كان يتضمن بدقة نماذج من التعبير قائمة على علامات طبيعية كاملة تماما مثل الايماءات (الاشارات Pantomime P) . على فرض أن العلم الجديد رحب بها ، فان همه الرئيسي سيكون كل مجموعة الأنظمة القائمة على اعتباطية العلامة .

في الحقيقة ، كل حالات التعبير المستعملة في المجتمع قائمة — في الأساس — على السلوك الجمعي أو — على مايعتبر نفس الشيء — التقاليد الاجتماعية صيغ المجاملة (Polite formulae) على سبيل المثال ، التي تصطبغ بخلوها من التعبير عن المشاعر الطبيعية إلى حد ما (كما هي في حالة الصينيين الذين يحيون امبراطورهم بانحنائهم على الأرض تسع مرات) غير محكومة بقاعدة ، انها هذه القاعدة وليست القيمة الجوهرية للايماءات التي تجبر المرء على استعمالها . العلامات التي تعد كلية الاعتباطية تحقق أو تؤكد بشكل أفضل من الأخريات مثالية فكرة علم العلامات ، لهذا كانت اللغة الأكثر تعقيداً وعالمية من كل أنظمة التعبير ، كما أنها الأكثر تميزا ، في هذه الحالة يمكن لعلم اللغة أن يكون النموذج الممتاز لكل فروع علم العلامات مع أن اللغة ما هي إلا نظام سيميولوجي خاص واحد فقط .

ان كلمة «رمز symbol » قد استعملت لتعني العلامة اللغوية، أو بتخصيص أكثر ماسميناه « الدال » (Signifier) . إن الأساس الأول بالموازين الدقيقة يقف ضد استعمال هذا المصطلح . احدى مميزات الرمز Symbol أنه لا يكون

على الاعتباطية ، انه ليس فارغا ، لأن هناك بدائية الرابط الطبيعى بين الدال والمدلول .

ان رمز العدالة — كفتى الميزان — لا يمكن استبداله بأى رمز آخر ، كركبة بعجلات (Chariot) . ان كلمة « arbitrary اعتباطى » تتطلب مضمونا . ان المصطلح يجب أن لا يقتضى ضمنا أن اختيار الدال متروك كلية للمتكلم . (سوف نرى فيما بعد أن الفرد لا يملك القدرة على تغيير العلامة بأى شكل عندما تكون قد استقرت فى المجتمع اللغوى) ، أقصد أنه ليس باعثا ، أعنى أن الاعتباطية فيه أنه بالفعل ليس له صلة طبيعية مع المدلول .

وفى الختام ، دعنا نراعى اعتراضين لا بد من ظهورهما لترسيخ الأساس الأول :

١ — تقليد الأصوات الطبيعية (onomatopoeia) قد يستعمل لاثبات أن اختيار الدال ليس دائما اعتباطيا . ولكن صيغ تقليد أصوات الطبيعة ليست عناصر عضويه من النظام اللغوى . بجانب هذا ، ان عددا أقل مما يفترض بشكل عام .

فالكلمات الفرنسية مثل : « قرع الناقوس » glas و « سوط » fouet يمكن أن تقرع بعض الآذان برنين متتابع ، ولكن لنرى أنها لا تحمل دائما هذه الخاصية . فنحن بحاجة إلى النظر فى صيغها اللاتينية :

(fouet) مشتقة من « fagus شجرة الزان ، و glas مشتقا من classicum صوت البوق) ، ونوعية أصواتها الحالية ، أو حتى الصفة التى تنسب اليها ، هى نتيجه تصادفية التطور الصوتى . بالنسبة للكلمات الوثيقة الصلة

بتقليد الأصوات الطبيعية — على سبيل المثال — (glug — glug, tick — teck, etc) ليس فقط محدودة فى عددها ، ولكنها أيضاً مختارة بطريقة اعتباطية نوعا ما ، لأنها تقريبية فقط وتقليدات اصطلاحية لبعض الأصوات (قارن : الألفاظ الانجليزية bow — bow والفرنسية ouaoua) . أضف إلى ذلك ، عندما دخلت هذه الكلمات إلى اللغة فانها خضعت إلى حد ما لنفس التطور — الصوتى ، الصرفى ، الخ — الذى خضعت له الكلمات الأخرى . (قارن : « حمامة Pigeon » ، وأساسا من اللاتينية العامية pipio ، اشتقت بالتالى من صيغة تقليدية لأصوات الطبيعة) : دليل واضح على أنها فقدت شيئا من ميزتها الأصلية حتى نفترض أنها علامتها النحوية بشكل عام التى لاتمد باعثا .

٣ - صيغ التعجب (Interojectione) :

وهى مرتبطة تماما بتقليد الأصوات الطبيعية ، ويمكن تناولها على نفس الأسس ، ولا تدحض أو تفند فرضيتنا تماما . يحاول المرء أن يجد فيها تعبيرات تلقائية ، لما تمليه حقيقية ، صالحة للتكلم بالقوى الطبيعية . ولكن بالنسبة لغالبية الصيغ التعجبية ، فاننا نستطيع أن نبين أنه لايوجد رابط دقيق بين مدلولها والدال عليها .

نحتاج إلى مقارنة لغتين حول هذه النقطة ، لنرى كم تختلف مثل هذه التعبيرات من لغة إلى أخرى .

ان المعادل الانجليزى للصيغة الفرنسية (! aie هو ! ouch) .

ونعلم فوق ذلك ـــ أن كثيرا من صيغ التعجب كانت كلمات لها دلالات خاصة (قارن :

(golly !) (from mort Diew), etc. «موت الإله»(1)

French, diable ! «يلعن» و mordie !

فصيغ تقليد أصوات الطبيعة ، وصيغ التعجب ذات أهمية ثانوية ، وأصلها الرمزي إلى حد ما مفتوح للنقاش .

٢ ـ الأساس الثاني : الطبيعة الطولية للدال :

(The linear Nature of the signifier).

كون الدال سمعيا فهو غير معزول في الزمن عن أن يكون له المميزات التالية :

أ) انه يمثل امتداد زمني . و

ب) الامتداد الزمنياً محدد ببعد واحد هو الخط . بينما الاساس الثاني واضح .

وقد أهمل اللغويون المشهورون بيانه دائما ، بدون شك ، لأنهم وجدوه بسيطا جدا ، ومهما يكن ، فإنه أساسي ، ونتائجه لا تحصى ان أهميته تعادل أهمية الأساس الأول . إن آلية اللغة جميعها تعتمد عليه (انظر ص ١١٢ وما بعدها) .

وفي مقابل الدالات المرئية (Visual Signifiers) (الاشارات البحرية

---

(١) المترجم الانجليزي (قارن :

(English goodness and zounds ! from God's wounds.")

. . الخ) التي تستطيع تقديم تجسسات ترامنة ذات أبعاد مختلفة . هناك الدالات السمعية التي لا تملك إلا البعد الزمني . ان عناصره متحققة بالتتابع ، انها تشكل سلسلة .

لقد أصبح هذا التصور واضحا عندما تمثلت بالكتابة والخط الخاص للعلامات الكتابية حل على التتابع في الزمن .

لا تظهر بوضوح الطبيعة الطولية الدال في بعض الأحيان . عندما أنبر مقطعا على سبيل المثال ، فانه يبدو أنني أركز على أكثر من عنصر دال على نفس النقطة . ولكن هذا وهم وخداع . فان المقطع ونبره يشكلان حدثا صوتيا واحدا فقط . فانه لا توجد ثنائية في الحدث ، ولكن تناقضات مختلفة لما يسبقها أو ما يتبعها (أنظر حول هذا الموضوع ص ١٣١) .

الفصل الثاني

تغير العلامة واستقرارها

Immutability and Mutability of the sign

١ - التغير :

ان الدال الذي يختار بحرية مع الظواهر بالنسبة للفكرة التي يمثلها ثابت وليس حراً بالنسبة للجماعة اللغوية التي تستعمله . وليس للكثرة (الكتل) دخل في المسألة ، والدال الذي يختاره بواسطة اللغة ، لا يمكن استبداله بآخر . هذه الحقيقة التي يبدو التناقض متجسدا فيها ، يمكن أن نسمي عابيا (عابيا) « الركام الفوقي أو الزائد the staked deck » .

تقول اللغة : اختاري ! ولكننا نضيف : لابد أن تكون هذه العلامة وليس غيرها . لا يستطيع فرد حتى ولو رغب فيها ، أن يعدل بأي شكل من الاشكال الاختيار الذي حدث . وما هو أكثر ، فان الجماعة نفسها لاتستطيع أن تحكم أو تراقب طويلا كلمة واحدة ، انها مقيدة بالوجود اللغوي . لا تستطيع اللغة أن تتطابق طويلا مع قانون (عقد) نقي وبسيط ، وبشكل دقيق من وجهة النظر هذه ، فان العلامة اللغوية تشكل موضوعا هاما على وجه الخصوص للدراسة ، لأن اللغة تقدم أفضل دليل، وهو أن القانون الذي تقبله الجماعة هو شيء مسموح به ، وليس قاعدة لهم فيها حرية الاختيار .

دعونا نرى أولا ، لماذا لانستطيع مراقبة العلامة اللغوية ، ثم نجمع بعد ذلك النتائج المهمة التي تصدر عن الظاهرة . لايهم أى فترة نختار ، أو بعد الزمن الذى سترجع اليه ، فان اللغة تبدو دائما ميراثا من المرحلة السابقة . يمكننا أن نتصور الحدث الذى بواسطته دلت الاسماء على الأشياء ، وأن عقداً قد أبرم بين الأفكار والصور الصوتية ، ولكن مثل هذا الحدث لم يسجل أبداً . ان مفهوم أن الأشياء يمكن أن تكون حدثت، كذلك قد تنبه أو توقظ بواسطة حذرنا الشديد من الطبيعة الاعتباطية للعلامة .

لايوجد مجتمع — فى الحقيقة — يعرف أو عرف مطلقا أكثر من أن اللغة نتاج موروث من الأجيال السابقة ، وعلى المرء أن يتقبلها هكذا . ولهذا ، كان السؤال عن أصل الكلام غير مهم ، كما هو مفروض بشكل عام أن يكون . ان المسألة لاتستحق حتى السؤال، ان الموضوع الحقيق لعلم اللغة هو الشيء المألوف، الحياة المطردة للغة الموجودة . ان حالة اللغة الخاصة هى نتاج القوى التاريخية ، وهذه القوى تبين ، لماذا لا تتغير العلامة ، وأعنى ، لماذا تقاوم أى استبدال اعتباطى .

لايتضح شيء بقولنا إن اللغة شيء موروث ، وتركها عند هذا الحد . ألا يمكن أن تتعدل القوانين الموجودة والموروثة من لحظة إلى أخرى ؟ لمواجهة ذلك الاعتراض ، علينا أن نضع اللغة داخل وضعها الاجتماعى ، ونضع السؤال كما نريد لأى مؤسسة اجتماعية أخرى .

كيف انتقلت المؤسسات (الاعراف Institutions) الاجتماعية الأخرى؟

هذا السؤال الشديد التعميم يتضمن السؤال عن الاستقرار (immutability) علينا أن نحدد مدى اتساع أو ضيق الحرية التى تتمتع بها المؤسسات الاخرى ،

سيظهر فى كل مثال وجود نسبة عكسية ما بين التقاليد الثابتة والحدث الاجتماعى الحر . الخطوة الثانية هى اكتشاف سبب حل قوى النوع الأول وزنا أكثر أو أقل من القوى الثانية فى صنف محدد .

أخيراً ، نعود إلى اللغة علينا أن نسأل لماذا يسيطر عامل الانتقال التاريخى على اللغة كلياً ويمنع أى تغير واسع مفاجىء .

هناك ، إجابات كثيرة ممكنة على هذا السؤال . على سبيل المثال ، على المرء أن ينتبه إلى الحقيقة وهى أن تعاقب الأجيال ليس مركباً بعضه فوق بعض ، كمن يمرون قطعة أثاث ، ولكنها انصهار وتداخل ، فكل جيل يحتوى على أفراد من من كل الأعمار ـ مع حقيقة أن تكييف اللغة وتعديلها ليس مرتبطاً بتتابع الأجيال . وعلى المرء أيضاً أن يتذكر كمية المحاولات أو الجهود المبذولة لتعلم اللغة الأم ويستنتج أن التغير العام سيكون مستحيلا . ومرة أخرى ، لابد أن يضاف أن التفكير لايدخل فى الاستعمال النشيط للغة ـ فالمتكلمون لايعون بشكل واسع ـ بالقوانين اللغوية ، ولما كانوا لايهتمون بها ، فكيف سيعدلونها؟ وحتى لو أدركوا هذه القوانين ، فانه من الممكن أن نؤكد أن ادراكهم لن يقودهم فى الغالب إلى النقـــد ، لأن الشعوب بشكل عام ترضى باللغة التى وصلتها . ان القضايا أو الاعتبارات السابقة مهمة . ولكنها ليست عامية أو آنية (topical) .

والقضايا الآنية أساسية ومباشرة بشكل أكبر، وكل الأخريات تعتمد عليها .

٩ ـ الطبيعة الاعتباطية للعلامة :

مقدما ، لا بد أن نقبل الامكانية النظرية للتغير . التفكير البعيد يوحى بأن الطبيعة الاعتباطية للعلامة هو فى الحقيقة ما يحمى اللغة من أى محاولة لتعديلها ،

حتى لو أصبح الناس على وعي أكثر بالنظام كله، فإنهم سيبقون لا يعرفون كيف يغيرونها . والسبب بسيط ، وهو أن أي موضوع حتى يكون مجالا للبحث لا بد أن يملك أسسا منطقية . أما من الممكن – على سبيل المثال – أن نبحث فيما إذا كان نظام الزواج بواحدة أكثر منطقية من نظام تعدد الزوجات ، ونقوم مناقشات لتأييد أحد الجانبين . ويستطيع المرء أن يجادل حول نظام الرموز ، لأن الرمز على علاقة منطقية مع الشيء الذي يدل عليه (أنظر ص ٨٠) . ولكن اللغة نظام من العلامات الاعتباطية وتنقصها القواعد الضرورية ، الأرض الصلبة للبحث . إنه لا يوجد سبب لتفضيل Soeur (to) sister, ochs (to) boeuf .. الخ .

٢ . إن تعدد العلامات ضروري لتشكيل اللغة :

هناك عائق آخر مهم للتغير اللغوي . وهو كثرة عدد العلامات التي تدخل في في بناء أي لغة . إن نظام الكتابة يتضمن ما بين عشرين إلى أربعين حرفا يمكن عند الحاجة استبدالها بنظام آخر . ويصح نفس الشيء على اللغة التي تحوي عددا محدودا من العناصر : ولكن العلامات اللغوية غير متناهية العدد .

٣ . ما فوق تعقيد النظام :

(The over - complexity of the system)

إن اللغة تشكل نظاما . وبهذا المعنى (كما سنرى فيما بعد) لا تكون اللغة كاملة الاعتباطية (اعتباطية تماما) ولكنها محكومة إلى حد ما بالمنطق ، ويظهر هنا أيضا ، من ناحية ثانية ، أن عدم قدرة الركام من تعديلها أصبح واضحا . إن النظام عامل معقد لا يمكن إدراكه إلا من خلال التفكير، فإن أكثر الناس استعمالا له يوميا يجهلون ماهيته . نستطيع أن نفكر في التغيير فقط من خلال تدخل

المختصين ، النحويين ، المناطقة ، الخ ، ولكن الخبرة علمتنا أن كل الفضوليين قد فشلوا .

٤ ـ القصور الذاتي الجمعي نحو التجديد والابداع :

Collective inertia toward innovation

اللغة ـــ وهذا البحث يتجاوز كل الأخريات ـــ موضع اهتمام كل شخص فى كل لحظة ، تنتشر داخل المجتمع وتتأثر به ، ان اللغة شيء يستعمله الجميع يومياً ولا نستطيع هنا أن نقارن بينها وبين أى مؤسسة أخرى . ان قوانين (أنظمة) الشيفرة « Codes » ، الطقوس الدينية ، الاشارات البحرية ، الخ . تتضمن عدداً محدداً فقط من الأفراد مجتمعين (معاً) خلال فترة محدودة من الزمن . فى اللغة، بالمقابل ، كل واحد يشارك كل الأوقات (كل الناس يشتركون فى كل الاوقات) . وهذا هو سبب تأثرها باستمرار بالكل .

هذه الحقيقة الكبرى تكفى لبيان استحالة الثورة . من بين كل المؤسسات الاجتماعية فان اللغة أقلها عرضة لحق المبادرة . انها تمتزج بحياة المجتمع، والأخير ، كـسـول بطبعه ، هو القوة المحافظة الرئيسـية .

ولكن القول بأن اللغة هى نتاج القوى الاجتماعية لا يكفى لتوضيح أنها غير حرة ، متذكرين أنها دائماً ميراث من المرحلة السابقة ، ولابد أن نضيف أن هذه القوى الاجتماعية مرتبطة بالزمن . لم تختبر اللغة وتفحص من الوزن الخـاص ، ولكن من الزمن أيضاً . وهذان الاثنان متلازمان . ان التمسك بالماضى فى كل لحظة يكبح حرية الاختيار ، نقول « رجل » و« كلب » . هذا لا يمنع من وجود روابط ومجموع الظاهرة بين القرنين المتناقضتين ـــ الاصطلاح الاعتباطى بفضل حرية الاختيار والزمن الذى يجعل الاختيار صحيحاً ثابتاً ، ملائماً (1 ، b) f sel)

لأن العلامة أعتباطية ، فانها لاتتبع أى قانون سوى قانون العرف ، ولأنها قائمة على العرف فهى اعتباطية .

٢ — الاستقرار (الثبات) (Mutability)

الزمن ، الذى يؤكد استمرارية اللغة ، يعالج بنجاح مؤثر آخر ، مناقضا بوضوح للأول : سرعة أو بطء تغير العلامة اللغوية . وبمعنى آخر ، لهذا السبب ، نستطيع تناول الاثنين التغير والثبات للعلامة . فى التحليل الأخير ، فإن الحقيقتين تعتمد كل منهما على الأخرى : العلامة عرضة للتغيير لأنها تقلد نفسها .

إن الذى يسيطر فى كل التغير هو ثبات الجوهر القديم ، تجاهل الماضى يعد أمراً نسبياً فقط . لهذا كان أساس التغير قائما على أساس الاستمرارية . ان التغير فى الزمن يأخذ أشكالا متعددة ، وعلى كل واحد منها يمكن أن تكون قد كتبت أبر فصول علم اللغة . ومن غير الدخول فى التفاصيل ، دعنا نرى أى الأشياء يحتاج إلى تخطيط .

أولا ، دع الخطأ لايتطرق إلى المعنى الذى أعطيناه لكلمة التغير (change) قد يعتقد المرء أنها تتعلق بخاصة بالتغيرات الصوتية المتعلقة بالدال ، أو من المحتمل التغيرات فى المعنى التى تفضل الفكرة المدلول عليها . تلك النظرة ستكون غير ملائمة بصرف النظر عن ماهية قوى التغيير ، سواء كانت فى حالة الانعزال أو التجمع ، فانها تحدث دائما عند تغير العلاقة بين المدلول والدال .

هذه بعض الأمثلة ، لقد أصبحت لفظة « يقتل » (necare) اللاتينية «يغرق» (noyer) بالفرنسية كلاهما قد تغير ، الصورة الصوتية والفكرة ، ولكنه من غير المفيد الفصل بين جزئى الظاهرة .

انه أصبح كافيا لأن تقرر مع الأمر بعين الاعتبار الكل ، أن الرابط بين الفكرة والعلامة قد ضاع ، وأصبح هناك تغير في العلاقة . إذا استبدلنا مقارنة لفظة (necare) اللاتينية الكلاسيكية بلفظة (noyer) الفرنسية ، بمقابلة المصطلح السابق مع (necare) في العامية اللاتينية بعدها ما في القرن الرابع أو الخامس «يغرق» فالحالة قابلة الاحتلال ، ولكن مرة أخرى ، فانه تغير ملموس في الدال ، هناك تغير في العلاقة بين الفكرة والعلامة .

لقد أصبحت اللفظة الألمانية القديمة « ثلث » dritteil في الألمانية الحديثة Drittel ، لقد بقيت الفكرة هنا نفسها ، لقد تغيرت العلاقة في اتجاهين : فان الدال لم يتغير في منظوره المادي فقط ، ولكن في صيغته النحوية أيضا ، ان فكرة الجزء (Teil) لم تدم طويلا Drittel تعد كلمة بسيطة . على أى وجه من الوجوه هناك تغير دائم في العلاقة .

في الانجلوسكسونية فان الصيغة قبل الأدبية « قدم » (fot) بقيت كما هي بينما جمعها (foti) أصبح fet (الانجليزية الحديثة feet) . بصرف النظر عن التغيرات المفهومة ضمنا ، هناك شيء واحد مؤكد : هناك تغير في علاقتها ، تطابقات نشأت بين المادة الصوتية والفكرة .

إن اللغة غير قادرة بشكل أساسي على حماية نفسها ضد القوى التي ما بين لحظة وأخرى تغير العلاقة بين المدلول والدال . هذه احدى نتائج اعتباطية العلامـــة .

خلافا للغة ، فان المؤسسات الانسانية الأخرى ـــ التقاليد ، القوانين ، الخ ، تقوم كلها في درجات متفاوتة على العلاقات الطبيعية بين الأشياء ، كلها تملك التكييف الضروري للمآرب المطلوبة لبلوغ الغاية . حتى موضة الملابس ليست كلية الاعتباطية .

نستطيع أن تنحرف قليلا أو بجزء من الظروف المفروضة بواسطة الجسم الانسانى .

ان اللغة غير محددة بشىء فى اختيار المعانى لأنه لا شىء يمنع تجمع أى فكرة مهما كانت مع أى تتابع للاصوات مناسب.

ولتأكيد حقيقة أن اللغة مؤسسة أصيلة صادقة ، فان « ويتنى Whitney » يلح باستمرار على الطبيعة الاعتباطية للعلامات ، وبهذا العمل ، يكون قد وضع علم اللغة فى مجاله الصحيح . ولكنه لم يتابع ذلك ويرى أن اعتباطية اللغة تجعلها مختلفة بشكل أساسى عن بقية المؤسسات الأخرى . وهذا واضح من الطريقة التى تتطور بها اللغة . لا يمكن أن يكون هناك شىء أكثر تعقيداً — باعتبارها نتائج القوة الاجتماعية والزمن فانه لا يستطيع أحد أن يغير شيئا فيها ، ومن جهة أخرى ، فان اعتباطية علاماتها تستلزم نظريا الحرية فى تأسيس أى علاقة بين المادة الصوتية والأفـــكار . والنتيجة هى أن كلا من العنصرين المتحدين فى العلامة يحافظان على حياتها الخاصة إلى درجة غير معروفة بأى وجه ، وتلك التغيرات اللغوية أو حتى التطورات تحت تأثير كل القوى التى تبين جانب المعانى أو جانب الأصوات . فالتطور حتمى ، ولا يوجد أى مثال للغة واحدة يدفع هذا التطور أو يقاومه .

وبعد مرحلة ما من الزمن يمكن باستمرار تسجيل بعض التغيرات الواضحة الوالدة . لا مفر من الاستقرار لأنه يحمل الحقيقة للغات الصناعية (artificial)،

ان الذى يبدع اللغة ، يتحكم فيها أو يراقبها فقط طالما لم تكن فى دائرة ، ولكن من اللحظة التى تقوم فيها بدورها وتصبح ملكا لكل فرد تضيع الرقابة والتحكم. نأخذ لغة الاسبرانتو (Esperanto) كنموذج ، إذا نجحت وانقسمت

فهل تستطيع طرد المأذون العنيد؟ دفعة واحدة، انها تشبه تماما لغة الـبرانتو التى تريد أن تدخل فى الحياة الكاملة لعلم العلامات، انها ستنتقل تبعا للقوانين التى لا تملك شيئا مشتركا مع قوانينها التى تملك نشأة منطقية، وعندها وسوف لا يمكن الرجوع إلى الوراء.

إن افتراض الانسان لغة مناسبة يمكن الأجيال أن تتقبلها سوف يكون مشابها لمرقيد دجاجة على بيض بط: إن اللغة التى أنشأها لابد أن تكون ولمت منه، طوعا أو كرها، تبعا للانجاه الذى يحكم كل اللغات (التيار الذى يغطى كل اللغات).

العلامات محكومة بأساس من أسس علم العلامات العام: إن الاستمرار فى الزمن متزاوج، مع التغير فى الزمن، وهذه ذات صلة وثيقة بالأنظمة الكتابية وكلام الطرشان الصامت.. الخ.

ولكن ماالذى يؤيد الحاجة إلى التغير؟ من الممكن أن ألام على عدم توضيحى وتركيزى على هذه النقطة، كما فعلت مع أساس التغير. وهذا لأننى فشلت فى التمييز بين القوى المختلفة التغير. ولا بد أن تأخذ فى الاعتبار اختلافها الكبير حتى نفهم إلى أى مدى هى ضرورية.

إن أسباب الاستمرارية لها الأسبقية أو الاولوية فى تصور الملاحظ، ولكن أسباب التغير فى الزمن ليس لها تلك. انه من الأفضل أن نحاول اعطاء تقييم دقيق حول هذه النقطة، ولكن لنحدد البحث فى التغير فى العلاقات بشكل عام. إن الزمن يغير كل شىء، ولا يوجد سبب لاخراج اللغة عن هذا القانون العالمى.

دعنا نراجع النقاط الرئيسية لبحثنا وربطها بالأسس الموضوعة في المقدمة .

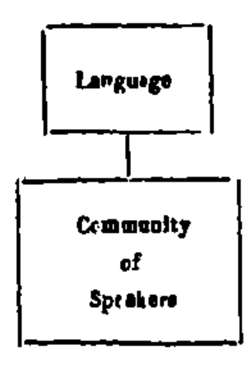
١ ــ متجنبين التعريفات العقيمة للكلمة ، من خلال مجموع الظاهرة الممثلة بالكلام ــ نتناول قسمين في البداية : اللغة والكلام .

اللغة : كلام ينقصه التكلم . انها المجموعة الكلية للعادات اللغوية التي تسمح للفرد بأن يفهم وأن يفهم .

٢ ــ ولكن هذا التعريف أو التحديد لايزال يترك اللغة خارج سياقها الاجتماعي إنه يجعل اللغة شيئا صناعيا حتى أنها لا تشمل إلا الجزء الفردي من الحقيقة .

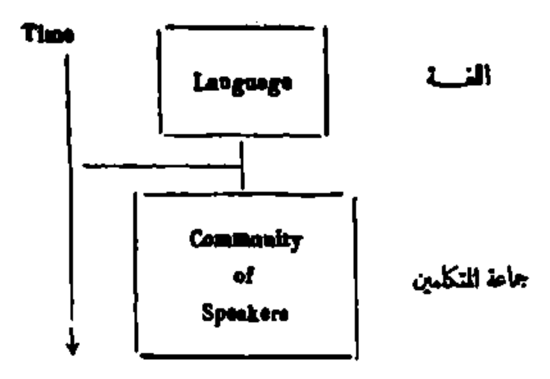
إن جماعة المتكلمين (masse parlante) ضرورية لتتحقق اللغة . بعكس كل الظواهر ، فان اللغة لا توجد منعزلة عن الحقيقة الاجتماعية ، لأنها ظاهرة سيميولوجية (علم العلامات) . ان طبيعتها الاجتماعية احدى ميزاتها الداخلية .

إن تعريفنا التام يجعلنا في مواجهة كيانين متلازمين ، كما يبينه هذا الرسم .



إن اللغة لاتعيش تحت ظروف مرسومة أو موصوفة — انها تملك امكانية الحياة ، لقد أعطينا الأهمية للحقيقة الاجتماعية فقط . وليس الحقيقة التاريخية كذلك .

٣ — العلامة اللغوية اعتباطية ، واللغة كما سبق تعريفها تبدو لتكون نظاما — لأنها تعتمد كلية على أساس منطق حر ويمكن تنظيمها عند الطلب. طبيعتها الاجتماعية — على اعتبار استقلاليتها — لا تخرج من البحث بشكل واضح وجهة النظر هذه . ومن غير شك فانها لا تقوم على الأسس المنطقية الخالصة التى تعمل بها المجموعة النفسية ، ولا بد على المرء أن يأخذ فى الاعتبار كل شىء بسبب الانحراف فى الاتصالات الطبيعية بين الأفراد . ولكن الشىء الذى يمنع اللغة من أن تكون اصطلاحا بسيطا يمكن تعديلها بناء على هوى مجموعات ذات مصالح مشتركة لايشكل طبيعتها الاجتماعية. انها على الأصح فعل الزمن مقرونا بالقوة الاجتماعية. وإذا أقصى الزمن ، فان الحقائق اللغوية ستكون ناقصة . ولا يمكن الخروج بأى نتيجة . ولكن إذا أخذنا بالاعتبار اللغة فى الزمن من غير اعتبار جماعة المتكلمين — تصور فرداً معزولا يعيش قرونا متعددة — فمن المحتمل أن لا نلاحظ تغيرا ، الزمن لا يؤثر فى اللغة . بالمقابل ، إذا أخذنا فى الاعتبار جماعة المتكلمين من غير اعتبار الزمن ، فاننا سوف لانرى تأثير القوى الاجتماعية التى تؤثر فى اللغة . لتمثيل الحقائق الفعلية، علينا أن نضيف لرسمنا الأول علامة تدل على مرحلة من الزمن .



إن اللغة ليست حرة بشكل مستمر ، لأن الزمن سيسمح للقوى الاجتماعية القائمة عليها لتحدث تأثيرها . وهنا يعيدنا إلى أساس الاستمرارية الذى ألغى الحرية . ولكن الاستمرارية بالضرورة تتضمن التغير ، درجات متنوعة من التغيرات فى العلاقة بين المدلول والدال .

الفصل الثالث

علم اللغة الوصفي والتطوري

Static and Evolutionary Linguistics

١ ـ الثنائية الداخلية لكل العلوم مرتبطة بالقيم :

قليل جدا من اللغويين يشكون في أن تدخل عامل الزمن يخلق صعوبات خاصة بعلم اللغة ، ويفتح لعلمهم ممرين متفرقين تماما .

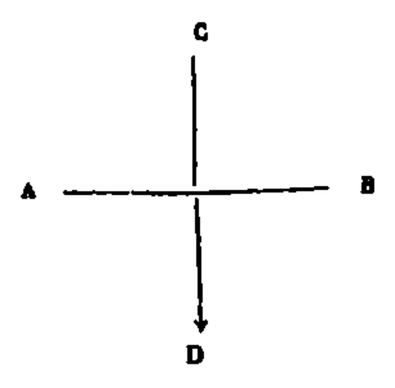
غالبية العلوم الأخرى لم تتأثر بهذه الثنائية الجذرية ، فالزمن لا يحدث آثاراً خاصة عليها . لقد وجد علم الفلك أن النجوم تخضع لتغيرات مقدرة ولكنها لم تصل الحد الذي يلزم بانشقاق علم الفلك إلى علمين . علم الجيولوجيا معني بالتتابعات في كل لحظة تقريبا . ولكن دراسته للطبقات أو الأطوار لم تصبح فيما يتصل بذلك فرعا متميزاً جذرياً من المعرفة . والقانون له علمه الوصفي والتاريخي ولا يتعارض أحدهما مع الآخر . والتاريخ السياسي قد انضج كليا في الزمن ، ولكن المؤرخ الذي يصف مرحلة خاصة ، فإنه لا يعمل منفصلا عن التاريخ بالمقابل ، ولكن علم القوانين السياسية وصفي بشكل أساسي ، ولكن إذا دعت الحاجة فإنه يستطيع بسهولة أن يتعامل مع القضية التاريخية من غير أن يفسد وحدته . وعلى العكس ، فإن تلك الثنائية قد فرضت نفسها تماما على العلوم الاقتصادية .

هنا ، وخلافا لكل العلوم الأخرى ، يشكل الاقتصاد السياسي والتاريخ الاقتصادي فرعين من المعرفة منفصلين بوضوح داخل علم واحد ، والأعمال التي

ظهرت حديثاً حول هذه المواضيع توضح الفرق . فشروطها بهذا الشكل تجعل الاقتصاديين يمثلون الضرورة الداخلية . الضرورة المماثلة تجبرنا على تقسيم علم اللغة إلى قسمين ، كل واحد مع أساسه الخاص . وهنا كما في الاقتصاد السياسى فنحن في مواجهة مفهوم القيمة . فكلا العلمين مرتبطان بنظام لموازنة أشياء ذات قوانين مختلفة . العمال والأجور من جهة ، والمدلول والدال من جهة أخرى . بالتأكيد فان كل العلوم ستستفيد من بيان — بدقة أكثر — الروابط المرافقة التى تنظم أو تخطط موضوعهم الرئيسى . لابد من تحديد الفروق فى أى مكان تبعاً التوضيح الآتى : بين :

١) محور التزامنا (AB) الذى يمثل علاقات الوجود المشترك للأشياء ، ومن أيها أقصى تدخل الزمن .

٢) ومحور التتابعات ، (CD) التى نستطيع أن نقدر معه شيئاً واحداً فى وقت واحد ، ولكن التى تقع فيه كل الأشياء على المحور الاول مجتمعة مع تغيراتها .



بالنسبة للعلم المرتبط أو المعنى بقيم ، فان العلامة المميزة ضرورة عملية ،

وقد تكون فى بعض الأحيان ضرورة مطلقة . فى هذه الحالات لا يستطيع الباحثون تنظيم أبحاثهم بدقة بدون أن يأخذوا فى الإعتبار روابطها المشتركة ، ويقوموا بالتمييز بين نظام القيم ونفس القيم باعتبارها مرتبطة بالزمن . لابد للغوى أن ينتبه إلى هذا الفارق قبل أى شيء آخر ، لأن اللغة نظام من قيم خالصة غير محدودة بشيء سوى الترتيب أو التنظيم المؤقت لمصطلحاتها القيمة ، مادامت متأصلة فى الأشياء ، وفى علاقاتها الطبيعية ، كما يحدث فى علم الاقتصاد ، (فان قيمة قطعة من الارض — على سبيل المثال — مرتبطة بانتاجيتها) — يمكن — إلى حد ما — تتبعها فى الزمن إذا تذكرنا أنها تعتمد فى كل لحظة على نظام من القيم المتعايشة أو المتصاحبة فى الوجود .

إن ارتباطها بالأشياء يعطيها — بحكم الظروف — قواعد طبيعية ، والأحكام التى نقيمها على مثل هذه القيم تكون لهذا السبب غير كاملة الاعتباطية ، قابليتها للتغيير محدودة . ولقد رأينا الآن أن المعطيات الطبيعية ليس لها مكان فى علم اللغة .

مرة ثانية ، إن ما يزيد تعقيد ودقة تنظيم نظام القيم هو — الأكثر ضرورة بسبب شدة تعقيده — دراسته تبعاً لروابطها المشتركة . لايوجد نظام آخر تتجسد فيه هذه الميزة إلى نفس الحد مثل اللغة . اننا لا نجد فى أى شيء آخر مثل هذه القيم الدقيقة المدعمة ، ومثل هذا العدد الكبير وتنوع المصطلحات وكلها أيضاً تعتمد على بعضها بعضا . ان تعدد العلامات التى إستخدمناها فى تفسير إستمرارية اللغة — جعلت دراسة العلاقات فى الزمن والعلاقات داخل النظام مستحيلة تماما .

إن أسباب التمييز بين علمين فى اللغة أصبح واضحاً .

كيف يمكن تصنيف العلوم ؟ ان المصطلحات المتاحة لا تبين الفارق بنفس الدقة . تاريخ علم اللغة وعلم اللغة التاريخى مصطلحان غامضان : بينما التاريخ السياسى يتضمن وصف الفترات المختلفة تماما مثل رواية الأحداث ، وقد يعتقد الطالب أنه يدرس اللغة تبعا لعامل الزمن عندما يصف حالاتها المتعاقبة (المتابعة)، ولكن هذا يتطلب دراسة منفصلة للظاهرة التى تجعل اللغة تنتقل من حالة إلى أخرى، التطور وعلم اللغة التطورى أكثر دقة ، وسأستعمل هذه المصطلحات دائما ، بالمقابل ، نستطيع التكلم عن علم الحالات اللغوية (états de Lanuge) أو علم اللغة الثابت . ولكن لنبين بوضوح أكثر تناقض وتقاطع حالتى الظاهرة التى تغمر نفس الموضوع ، أفضل أن أتكلم عن علم اللغة الوصفى (Synchronic) وعلم اللغة التاريخى (diachronic) . كل ما يخص الجانب الثابت من علمنا فهو وصفى ؛ وكل شىء قابل للتطور فهو تاريخى . وبشكل مماثل ، « Synchrony » الوصفية و diachrony التاريخية تدلان بالتوالى على حالة الثبات اللغوى والمظهر التطورى .

٢ ـ الثنائية الداخلية ، وتاريخ علم اللغة (الازدواج الداخلى وتاريخ علم اللغة) :

إن أول ما يقابلنا عند دراسة حقائق اللغة هو أن تتابعها فى الزمن يجعلها تبقى طويلا على نفس الشكل الذى كانت عليه عند المتكلم . انه فى مواجهة مع حالة الثبات . ولهذا السبب يكون على اللغوى الذى يرغب فى فهم حالة الثبات ، أن يطرح جانباً كل المعلومات عن كل شىء يتصل بانتاج اللغة . ويتجاهل الجانب التاريخى (diachrony) .

إنه لا يستطيع الوصول إلى فكر المتكلمين إلا بحظر الماضى ، وطمسه كلية .

ان تدخل التاريخ يمكنه فقط أن يموه الحكم أو يحرفه . لايمكن محاولة أخذ نظر شامل لجبال الألب بتصويره مما من عدة قمم من جبل جورا « Jura » ، لابد أن يؤخذ المنظر العام من أفضل موقع . ونفس الشىء ينطبق على اللغة ، لايستطيع وصفها ولا بيان مستويات الاستعمال فيها إلا بالتركيز على حالة واحدة .

عندما يتتبع تطور اللغة ، فانه يشبه الملاحظ المتنقل الذى يذهب من قمة إلى أخرى فى جبل « جورا » حتى يسجل التغيرات فى وجهة النظر .

منذ ظهور علم اللغة الحديث إلى الوجود ، وهو منهمك كلية فى الدراسة التاريخية للغة . فقه اللغة المقارن للغة الهندوأوروبية يستعمل الأدوات المتوافرة لديه لاعادة بناء النموذج أو الأصل القديم للغة بشكل فرضى ، المقارنة ليست مجرد إعادة بناء الماضى .

وقد استخدم نفس المنهج فى دراسة صيغة العائلات اللغوية (اللغات الرومانية، اللغات الألمانية ، إلخ) ، وقد تخللها الوصف بشكل غير منتظم .

هذا هو الاتجاه الذى قدمه « بوب » Bopp . تصوره للغة كان لهذا السبب مولدا وهجينا . وبالعكس من هذا ، ماذا كان منهج أو إجراءات أولئك الذين درسوا اللغة قبل بداية علم اللغة الحديث . أعنى ، النحويون المتأثرون بالمناهج التقليدية ؟ .

من الغريب أن نلاحظ أن وجهة نظرهم هنا لا عيب فيها مطلقاً .

إن أبحاثهم تشير بوضوح إلى أنهم حاولوا وصف حالات اللغة (اللغة الثابتة) . وكان برنامجهم وصفيا تماماً . لقد حاول النحو الملكى (Port-Royal Grammer) — على سبيل المثال — وصف حالة اللغة الفرنسية تحت حكم لويس الرابع عشر،

وتحديد أو تأكيد قيمها . ولهذا السبب فإنه التصور الوصفي غير مطلوبة ، ان المحور الأفقي قد اتبع باخلاص (أنظر ص ٨٠) من غير استطراد . لقد كان المنهج وقتها صحيحا ، ولكن هذا لا يعنى أن تطبيقه كان كاملا . لقد أهمل النحو التقليدي كل أجزاء اللغة ، مثل صياغة الكلمة ، انه معيارى ، ويأخذ على عاتقه فرض القواعد من غير اعتماد على حقائق مسجلة ، تنقصه النظرة الشاملة ، وهو غالبا لايستطيع التفريق بين الصيغة المكتوبة والكلمة المنطوقة . إلخ .

لقد وجه النقد إلى النحو الكلاسيكي على أنه ليس علميا . ولا تزال قواعده أقل قابلية للنقد ومعطياته أكثر تحديداً من صحة علم اللغة الذى ابتدأ بواسطة «بوب» «Bopp» ، والأخير يشغل حيزاً ضعيف التحديد ، وليس له وضوح موضوعى قاطع . لقد شمل منطقتين (غالى مساحتين) لانه غير قادر على التفريق بدقة بين الحالات والتتابعات (الثبات والتطور ، والوصفى والتاريخى) . لقد أعطى علم اللغة بشكل كبير مكانا للتاريخ ، سنعود إلى وجهة النظر الوصفية (الثابتة) للنحو التقليدى ، ولكن بروح جديدة وباجراءات أخرى ، والمنهج التاريخى سيرتبط بهذا التجديد ، والمنهج التاريخى بالتالى يقدم أفضل فهم للثبات اللغوى (لوصف اللغة) . لقد رأى النحو القديم الحقيقة الوصفية فقط ، لقد اكتشف علم اللغة نوعا جديداً من الظاهرة ، ولكنها ليست كافية ، لابد أن يستشعر المرء التناقض بين نوعى الحقائق لنستخرج أو نبين كل نتائجها (أو تتابعاتها) .

التثائية الداخلية (الازدواج الداخلى) موضحا بالامثلة :

إن التناقض بين وجهتى النظر الوصفية والتاريخية ، تناقض مطلق ، ولا يسمح بالحلول الوسطية (التسوية) . بعض الحقائق ستظهر ماهية الاختلاف ، وسبب

تعذر الاختصار أو التبسيط . ان الكلمة اللاتينية « Crispus » ، وزودت الفرنسية بجذر الكلمة « crép- » التي صيغت منهـــا الأفعال : « الظهارة التمامية crépir » ، و « ازالة الملاط décrépir » . وبالعكس من هذا ، في لحظة ما — استعيرت كلمة : decrépitus — ذات أصل غير معروف — من اللاتينية ، وأصبحت : « عاجز décrépit » .

وفي الوقت الحاضر — بالتأكيد — يقيم جماعة المتكلمين علاقة بين :

« un mur décrépi = الحائط الذي يسقط منه الملاط » ، و « un homme décrépit = الرجل المقعد » .

كما أنه لايوجد شيء مشترك بين الكلمتين تاريخيا ، غالبا مايتكلم الناس عن : « Façade décrépite of a house » .

وهذا العمل وصفي ، لأنه يتناول العـــلاقة بين صيغتين متواجدتين أو متصاحبتين في اللغة . من أجل تحققها كان تزامن الأحداث التطورية ضروريا . فان نطق « crisp » ، قد أصبح « crép- » ، وفي لحظة معينة كان لابد من اقتراض كلمة جديدة من اللاتينية . انه من الواضح أن الحقائق التاريخية غـــير مرتبطة بالحقائق الوصفية التي أنتجتها . انها تنتمي الى نوع مختلف .

وهنا ، مثال أكثر وضوحا ، في الألمانية الفصحى القديمة كان جمع كلمة « ضيف gast » هو « gasti » في البداية ، وكان جمع « يد hant » هو « hanti » ... إلخ .

لقد أنتجت — أخيراً النهاية « -i » ، تغـــيرا في صوت حرف العلة

« umlaut » (1)، أعنى، أنها تحقت فى تغير حرف «a» من المقطع السابق إلى «e» :

gasti → gesti   hanti → henti

ثم فقد الحرف الأخير « i » جرسه. gesti → geste etc والنتيجة أنه يوجد فى الألمانية اليوم : Gast : Gaste, Hand : Hande ومجموعة كبيرة من الكلمات قد اتخذت نفس العلاقة الفارقة بين المفرد والجمع. وقد ظهرت حقيقة مشابهة تماما فى الأنجلوسكسونية : فقد كانت الصيغ القديمة :

fot : fōti, tōp : tōpi, gōs : gōsi, etc.

عبر تغير صوتى أول، تغير فى صوت حرف العلة « umlaut » : Foti أصبحت fēti، وعبر التغير الثانى سقط الحرف الأخير « i » ، « foti » ، أصبحت « fēt » ، وبعد ذلك أصبح جمع fōt هو « Fēt » ، tōp : tēp, gōs : gēs, etc. (فى الانجليزية الحديثة : fout . feet, tooth, teeth, goose : geese)

سابقا، عندما استعمل المتكلمون : gast : gasti, fot : foti ، كانت الاضافة البسيطة « i » تشير إلى الجمع ؛ ولكن Gast : geste fōt : fēt أظهرت عاملا جديدا للدلالة على الجمع. والعامل ليس واحدا فى كلا المثالين ، فى الانجليزية القديمة لم يكن هناك إلا تناقض بين العلل (الصوائت)، ولكن فى الألمانية بالاضافة إلى ذلك وجود حرف « e — » فى النهاية أو عدم وجوده ولكن هذا الاختلاف ليس مهما هنا.

---

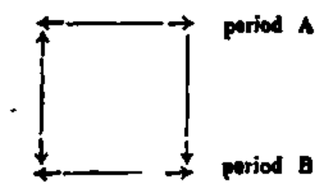
(١) « وهى نقطتان توضعان فوق حرف العلة فى اللغات الجرمانية تدل على حالة مغايرة لنطق الحرف بدونها » .

إن العلاقة بين المفرد والجمع ، مهما كانت الصيغ ، يمكن التعبير عنها في كل حالة بالمحور الأفقي :

الفترة « أ » ←——————→ Period A

الفترة « ب » ←——————→ Period B

وأي حقائق تدور حول الانتقال من صيغة إلى أخرى يجب وضعها بجانب المحور العمودي ، لتبين الصورة الكلية



هذا التوضيح يوحي بعدة ملاحظات وثيقة الصلة بالموضوع :

١) إن الحقائق التاريخية لا تهدف بأي شكل إلى الاشارة إلى القيمة ، بالاعتماد على علامة أخرى ؛ ان « gast » إلى أصبحت « gesti » ، و geste - (Gäste) لا تملك فعل شيء مع جميع الأسماء ، وفي tragit tragt حدث نفس التغيير العلى (umlaut) في التصريف الفعل ، وهكذا دواليك ، الحقيقة التاريخية حدث مستقل ، الحقائق الوصفية الخاصة التي يمكن أن تنشأ عنها لا ترتبط بها كلية .

٢) إن الحقائق التاريخية لا تتجه دائما نحو تغيير النظام . ليس لدى المتكلمين رغبة في الانتقال من نظام في العلاقات إلى آخر ، ان التعديل لا يؤثر في التنظيم فقط ولكن في عناصره أيضا . هنا نجد مرة أخرى الأساس الذي أعلناه سابقا : إن النظام لا يتبدل مباشرة . انه غير قابل للتغيير في نفسه ، بعض العناصر فقط

تتغير من غير تعلق بالثبات أو الجمود الذى يربطها بالكل ، انها مثل الكواكب التى تدور حول الشمس تتغير أبعادها ووزنها : ان هذا الحدث المنفصل يستلزم نتائج أو تتابعات عامة وليخرج كل النظام عن التوازن (التعادلية) . ان تعارض المصطلحين مطلوب لتحقيق صيغة الجمع (plurality) :

either fōt : fōti or fot : fet

كلا الإجراءين ممكن ، ولكن المتكلمين ينتقلون من نهج إلى آخر — حتى يتكلموا — دون أن يكون لهم دخل فيها . انه لا يحل أحدهما على الآخر ، ولا أحد النظامين يولد الآخر . لقد تغير عنصر واحد فى النظام الاول ، وهذا التغير كاف لابراز النظام الآخر .

٣) إن الملاحظة السابقة تظهر الطبيعة التلقائية الدائمة للحالة . وفى مقابل المفهوم الزائف الذى كوناه تماما لأنفسنا عنها ، اللغة ليست عاملا (mechanism) أبدع وكيف مع صورة الأفكار التى يراد التعبير عنها . نرى فى المقابل أن الحالة التى تحققت أو نتجت عن التغير لم تتجه لابراز المعنى الذى كانت تتحمل به . فى الحالة التلقائية (fortuitous) (fōt : fēt.) . استفاد المتكلمون من وجود الاختلاف وجعلوها تبرز الفارق بين المفرد والجمع ، fēt : fōti ليست أفضل لتحقيق هذا الغرض من fōti : fot . فى كل حالة يقوم الفكر بتقنية المادة المعطاة أو المحددة وتنفخ فيها الحياة . هذا المنظور الجديد الذى أوحى به علم اللغة التاريخى ، غير معروف للنحو التقليدى الذى لايستطيع تقبله مطلقا بمناهجه الخاصة . ومعظم فلاسفة اللغة كانوا يجهلونه كذلك ، ولهذا ، لا يوجد شىء ذو أهمية من وجهة النظر الفلسفية .

٤) هل حقائق المجموعات التاريخية ذات النوع الواحد — على الأقل —

تشبه حقائق المجموعات الوصفية ؟ لا تشبهها بأى وجه ، لأننا رأينا أن التغيرات غير مقصودة كلية ، بينما الحقيقة الوصفية ذات معنى دائماً ، انها تتطلب مصطلحين فساعدا فى وقت واحد . فهى لاتطلب Gaste لوحدها ، ولكن التقابل Gast : Gä te يوضح الجمع . والحقيقة التاريخية معاكسة تماما : فانه يستخدم مصطلحا واحدا ، وبالنسبة لظهور المصطلح الجديد (Gäste) فلابد أن يفسح له المجال أولا المصطلح القديم (gasti) . ان محاولة توحيد الحقائق المختلفة فى علم واحد سيكون بالتأكيد تناولا غريبا . ان المنظور أو التصور التاريخى يتعامل مع الظاهرة التى لاترتبط بأنظمة مع أنها تتحكم فيها .

؛

هذه بعض الأمثلة التى تقوى وتدعم الاستنتاجات المستخلصة من النقاط الأولى. ان النبر فى الفرنسية يقع دائما على المقطع الأخير إلا إذا احتوى على الحرف الساكن e (ə) mute) . هذه حقيقة وصفية ، العلاقة بين مجموعة الكلمات الفرنسية جميعها والنبر ، ما مصدرها ؟ الحالة السابقة . ان اللاتينية تحتوى على نظام أكثر تعقيدا واختلافا للنبر (التنبير accentuation) : يكون النبر على ما قبل المقطع الأخير إذا كان المقطع الأخير طويلا ، وعندما يكون قصيرا ، فان النبر تراجع إلى المقطع الثالث من الآخر (قارن ، amicus, ánima) .

إن القانون اللاتينى يقرر علاقات لاتتقاس بأى شكل على القانون الفرنسى . وبدون شك ، يبقى فيه فى نفس الموضع ، فهو دائما يقع فى الكلمات الفرنسية على المقطع الذى وقع عليه فى اللاتينية : amí cum → amí, ánimum → âme ولكن الصيغتين تختلفان تبعا لزمنيها (بالنسبة لوقتيها) ، لأن صيغ الكلمات تغيرت : اننا نعلم أن كل شىء بعد النبر اما أن يختفى أو يختصر إلى e ساكنة . وكنتيجة لتغير الكلمة فان موضع النبر بشكل عملى ، لايبقى طويلاً ،

كما هو ، ينتبه المتكلمون فيما بعد إلى العلاقة الجديدة ، فيضعون النبر بشكل طبيعي أو ضروري على المقطع الأخير حتى في الكلمات المستعارة التي تظهر في صيغها المكتوبة . (Facile, consul, ticket, burgrave, etc) .

لا يحاول المتكلمون تغيير الأنظمة بوضوح لاحداث صيغة جديدة حتى في الكلمات مثل : amicum → ami فان النبر يبقى دائما على نفس المقطع ، ولكن الحقيقة التاريخية قد تدخلت ؛ لقد غير المتكلمون موضع النبر دون أن يكون لهم يد في ذلك . ان قانون التنبير (accentuation) . مثل كل شيء يخص أو يتصل بالنظام اللغوي ، هو تنظيم المصطلحات ، انه النتيجة التلقائية واللاإرادية التطور .

- وهذا مثال أكثر ارتباطا . في السلافية القديمة ، كلمة Slova ، تملك في مفردها المنصوبي ، « b » slovem ، ، وفي حالة الجمع المرفوع Slova ، وفي حالة الجمع المجرور slov'b ، إلخ . كل حالة عند التصريف لها نهايتها الخاصة . ولكن في الوقت الحاضر فان حرفي العلة الضعيفين « b » b and ، في السلافية ، اللتين تمثلان صوتي ، ŭ and ĭ ، في الهندوأوروبية الأصلية قد اختفتا .

اللغة التشيكية (Czech) على سبيل المثال ، يوجد فيها Slovo, slovem, slova ومثلها تماما ، zena امرأة : المفرد المنصوب zenǔ ، الجمع المرفوع zeny ، الجمع المجرور zen . وهنـــا حالة الجر (بالاضافة) (slov, žen) ذات تصريف صفري . نرى بعد ذلك أن العلامة المادية ليست ضرورية للتعبير عن الفكرة ، ان اللغة تقبل بالتناقض بين الشيء واللاشيء . ان

المتكلمين التشيكيين يعرفون « ženⁿ » على أنها جمع مجرور ببساطة لأنها ليست « ženǎ » ، ولا « ženu » ، ولا أى واحدة من الصيغ الأخرى .

إنها تبدو غريبة لأول وهلة أن مثل هذا المفهوم الخاص مثل الجمع المجرور لابد أن يحمل العلامة الصفرية ، ولكن هذه الحقيقة الأكيدة تثبت أن كل شيء يحدث عبر مصادفة محضة . اللغة عامل يختصر فى أداء وظيفته بالرغم من المفاسد التى يمثلها أو يعبر عنها ، كل هذا يؤكد الأسس التى قررت سابقا . لنلخص :

إن اللغة نظام يمكن بل يجب أن تدرس أقسامها فى تماسكها الوصفى . ولهذا فالتغيرات لا تؤثر فى النظام ككل ، ولكن فى عنصر أوآخر من عناصره يمكن دراستها فقط خارج النظام . ان لكل تغير – بدون شك – أثره الملموس على النظام ، ولكن الحقيقة الأساسية تختار نقطة واحدة فقط ، لايوجد رابط داخلى بين الحقيقة الأولية والأثر الذى قد ينعكس وبالتالى على جميـــع النظام . ان الاختلاف الأساسى بين المصطلحات المتعاقبة والمصطلحات المترافقة (المتصاحبة فى الوجود مع بعضها) ، بين الحقائق الجزئية والحقائق التى تختار النظام تحول دون جعل نوعى الحقيقة الموضوع الأساسى لعلم مستقل أو مفرد .

الفرق بين النوعين موضحا بالمقارنات :

لنوضح الاستقلال والاعتماد المتبادل لعصـــل اللغة الوصفى فهل نستطيع أن نقارن الأول بإبراز الموضوع فى مظهره الخارجى ؟ .

إن أى تصور يعتمد مباشرة على طبيعة الموضوع المطروح ، وهو يختلف عنه – فإن الموضوع نفسه شيء منفصل . وبصورة أخرى فإنه لا داعى لوجوده على كامل التصورات . فإنه يمكن اعتبار الحسيات (الاجسام) أشياء توجد هناك

نفس العلاقة فى علم اللغة بين الحقائق التاريخية والحالة اللغوية (وعلم اللغة الوصفى) التى تشبه اسقاط الحقائق فى لحظة معينة . لم نعرف شيئاً عن الحالات الوصفية بدراسة الحسيات ، — أعنى ، الحوادث التاريخية — اكثر من معرفتنا عن التصورات الهندسية بالدراسة ، بعناية أكثر ، الأنواع المختلفة للأجسام . بالمشابه إذا قطع ساق النبتة عرضياً ، فإن شكلا آخر معقداً يتشكل على السطح المقطوع ، الشكل منظور مبسط الأنسجة الطولية ، كما نكون قادرين على رؤيتها بعمل قطع ثانى طولى للاول . هنا نرى ثانية أن كل منظور يعتمد على الآخر يبين المقطع الطولى للانسجة التى تشكل النبتة ، والمقطع العرضى يبين ترتيبها على سطح معين (أو على فرع معين) ، ولكن الثانى يتميز عن الاول لأنه يظهر العلاقات المحددة بين الأنسجة — العلاقات التى لا يمكن إدراكها من مشاهدة سطح المقطع الطولى .

ولكن من بين كل المقارنات التى يمكن تصورها ، ذات الفائدة الأكبر هى تلك التى يمكن أن نجريها بين وظيفة اللغة Functioning ولعبة الشطرنج فى كلا المثالين نحن فى مواجهة مع نظام من القيم وتعديلاتها أو تكيفاتها الجديدة بالملاحظة . إن لعبة الشطرنج تشبه التحقق الصناعى لما تقدمه اللغة بشكل طبيعى . دعنا نختبر المسألة بعناية أكثر .

أولا ، ان حالة مجموع رجال الشطرنج تتطابق تماما مع حالة اللغة . تعتمد القيمة الخاصة للقطع على موضعها فوق رقعة الشطرنج تماما مثل كل مصطلح لغوى رأخذ قيمته من تعارضه مع كل المصطلحات الأخرى . من الجهة الثانية ، فإن النظام لحظى دائماً ، فهو يتغير من موضع إلى آخر انه صحيح أيضاً أن القيم تعتمد قبل أى شىء آخر على تقليد ثابت مجموعة القواعد التى توجد قبل بداية اللعب ، وتستمر بعد كل حركة . القواعد التى اتفق عليها مرة وبالنسبة للجميع توجد فى اللغة أيضاً ، انها الأسس الثابتة لعلم العلامات .

أخيراً ، للانتقال من حالة التعادل إلى الحالة التي تليها ، أو ـ تبعاً لطقم المصطلحات الخاص بنا ـ من حالة وصفية إلى أخرى ، لابد من تحريك قطعة شطرنج واحدة ، لا يوجد هناك خلط عام .

عددنا هنا القسيم المتمم لظاهرة التاريخية مع كل خصائصها . في الحقيقة :

أ) تتحرك قطعة واحدة فقط في كل لعبة شطرنج ، بنفس الطريقة في اللغة ، التغير لا يؤثر إلا في العناصر المفردة .

ب) بالرغم من ذلك ، فإن للحركة تأثيرا على مجمل النظام . انه يستحيل على اللاعب أن يتوقع تماما مدى التأثير . ان التغيرات الناتجة من القيمة ستكون ـ تبعا للظروف ـ اما فارغة (لا قيمة لها) ، خطيرة جداً . . أو ذات أهمية متوسطة .

ان حركة محددة تستطيع أن تثير كل اللعبة حتى أنها تؤثر في القطع التي لم يشملها اللعب في الحال :

لقد رأينا أن ذلك ينطبق بنفس الطريقة تماما على اللغة .

ج) في الشطرنج ، كل حركة تتميز أو تختلف بشكل مطلق عما قبلها ، وعن التالية الموازنة . ان تأثير التغير يعود إلى حالة أخرى : الحالات المادية فقط . إن أي وضع في لعبة الشطرنج له وحدته المميزة لكونه متحرراً من كل الأوضاع السابقة . إن الطريقة المستعملة في الوصول إلى هناك ، لا تحمل أي فرق على الاطلاق . إن من يتابع المباراة كاملة لا يستفيد أكثر من المشاركة الغريبة التي تظهر في لحظة حاسمة ليتوقع حالة اللعبة . لوصف هذا الترتيب ، فانه من غير المفيد كلية استعادة ماحدث قبل عشر ثوان . كل هذا ينطبق تماما على اللغة ،

ويفرى الفارق الجذرى بين علم اللغة التاريخى وعلم اللغة الوصفى . إن الكلام لا يعمل (لا يحدث أثراً) إلا على اللغة الوصفية ، والتغيرات التى تتداخل بين الحالات ليس لها مكان فى حالة أخرى . إن المقارنة ضعيفة فى نقطة واحدة فقط : لاعب الشطرنج يتعمد لاحداث التغيير ويمارس الفعل على النظام ، بينما اللغة لا تتعمد شيئاً. ان أجزاء اللغة تتغير — أو حتى تتكيف — تلقائيا وبالمصادفة. ان التغير الملى (umlaut) فى الكلمات الآتية . (أنظر ص ٨٢ : Nät de for hat t'l ard Gäste for gesti) أنتج نظاما جديدا لصياغة الجمع ولكنه أبرز صيغاً فعلية أيضاً مل (tragt from tragit) ... الخ.

حتى نجعل لعبة الشطرنج تبدو عند كل نقطة مشابهة للدور الوظيفى (Functioning) للغة ، فعلينا أن نتخيل لاعبا غير ذكى أو غير واع . هذا الخلاف الوحيد ، مهما يكون ، يجعل المقارنة أكثر وضوحا باظهار الحاجة الملحة للتفريق بين نوعى الظاهرة فى علم اللغة . لأنه إذا لم تستطع الحقائق التاريخية أن تتحول إلى النظام الوصفى التى سببته عندما كان التغير مقصوداً ، كلما كانت المقارنة أكثر عندما تقف القوة العمياء فى مواجهة تنظيم نظام العلامات .

٥) يتقابل علما اللغة تبعا لمناهجها وأسسها :

لقد ظهر بوضوح التناقض بين علم اللغة الوصفى والتاريخى فى كل مكان .

على سبيل المثال — وللابتداء بالحقيقة الأكثر وضوحا — فان أهميتهما ليست متساوية . لقد أصبح واضحا هنا وجهات النظر الوصفية هى السائدة أو المسيطرة ، لأنها هى الصحيحة والحقيقة الوحيدة بالنسبة لجماعة المتكلمين (أنظر ص ٨١) . ونفس الشىء ينطبق على اللغوى :

إذا استخدم المنظور التاريخى ، فإنه لا يلاحظ اللغة طويلا ، ولكن مجموعة من الحوادث التى تشكلها . يؤكد الناس – غالباً – أنه لايوجد شىء أكثر أهمية من فهم أصل الحالة الخاصة ، وهذا صحيح إلى حد ما : ان القوى التى شكلت الحالة توضح طبيعتها الحقيقية ، ومعرفتها تحمينا من بعض الصور الخادعة (أنظر ص ٨٤ وما بعدها) ، ولكن هذه فقط تثبت بوضوح أن علم اللغة التاريخى ليس غاية فى حد ذاته . ان ما قيل عن الصحافة ينطبق على التاريخى : انها تقود إلى كل مكان إذا انحرف عنها الشخص . تختلف أيضا مناهج علم اللغة التاريخى والوصفى ، وفى طريقين :

أ) لعلم اللغة الوصفى تصور واحد ، هو المتكلمون ، ومنهجه الكلى يتكون من تجميع الأدلة من المتكلمين ، لنعرف بصدق أن ما يوسع نطاق الشىء هو الحقيق ، انه ضرورى وكاف أن نحدد المدى الذى تبق فيه فى فكر المتكلمين . علم اللغة التاريخى ، بالمقابل ، عليه أن يميز منظورين ، أحدهما التوقعى ، وهو الذى يتابع المرحلة الزمنية ، والثانى : الاسترجاعى (استعادة الماضى retrospective) يعود إلى الماضى فى الزمن ، والنتيجة هى الثنائية المنهجية التى سنتناولها فى القسم الخامس .

ب) الاختلاف الثانى ينتج من تحديد المجالات التى يتضمنها كل واحد من فرعى العلم . تعتبر الدراسة الوصفية كموضوع لها ، ليس أى شىء متزامن ، ولكن مجموع الحقائق فقط المطابقة لكل لغـــة ، والتفريق أو الانفصال يزداد بقدر ما تكون اللهجات واللهجات المساعدة ضرورية . ان مصطلح (synchronic) الوصفية ليس دقيقا بما فيه الكفاية، لابد من استبداله بآخر أكثر طولا لتأكيده ، idiosynchronic ، الوصفى المتميز ، مقابل هذا ، علم اللغة التاريخى ليس هو

فقط نهر مختلج ولكنه يرفض مثل هذه الخصوصية، لاضرورة لانتماء المصطلحات التي يدرسها إلى نفس اللغة .

(قارن : الهندوأوروبية الأصلية esti ، اليونانية : esti ، الألمانية ist والفرنسيةest) .

إن تتابع الأحداث التاريخية وتنوعها في المكان هو بدقة الذي يدفع اختلاف اللغات يكفي لتبرير توافق صيغتين أن تشير إلى أنها مرتبطتان برابط تاريخي ، قد يكون غير مباشر . ان التناقضات السابقة ليست هي الأكثر حدة ، ولا الأكثر عمقا وصعوبة .

إحدى نتائج التناقض الجذرى بين الحقيقة الوصفية والتطورية أن كل المفاهيم المرتبطة بواحدة أو بأخرى تشترك في عدم إمكانية بسيطها بنفس المستوى . ان أى مفهوم يبرز هذه الحقيقة .

إن الظاهرة الوصفية والتاريخية ـ على سبيل المثال ، لايوجد شيء مشترك بينها (أنظر ص ٨٥) ، إحداها تمثل العلاقة بين العناصر المتزامنة والأخرى تمثل حلول عنصر محل آخر في الوقت المحدد، وحدث ، سنرى أيضا في (ص ١٠٧) أن الوحدات الوصفية التاريخية شيئان مختلفان بشدة، ان أداة النفي الفرنسية pas ، تتطابق مع الاسم ، خطوة pas ، بينما الصيغتان متميزتان في الفرنسية الحديثة . هذه الملاحظات تكفي لبيان ضرورة عدم الخلط بين وجهتي النظر ، ولكن هذه الضرورة ليست بأى شكل آخر وضوحا من الفرق الذى نحن بصدد بيانه .

٦) القانون التاريخي والوصفي :

إنه أمر شائع أن نتكلم عن القوانين في علم اللغة . لكن هل الحقائق اللغوية

فهلا محكومة بقوانين ؟ إذا كان صحيحا ، فاذا تشبه ؟ بما أن اللغة مؤسسة اجتماعية ، يمكن أن نفترض مقدما أنها محكومة بمحررات مقيمة على تلك التى تحكم المجتمعات . والآن كل قانون اجتماعى له ميزتان أساسيتان :

أن يكون إلزاميا وعاما ، يدخل بالقوة ويغطى كل الحالات — عبر الحدود الزمانية والمكانية بالطبع — هل يلائم قوانين اللغة هذا التعريف ؟ إن الخطوة الأولى فى الاجابة على هذا السؤال — على نفس الخط مع ما قلناه تماما — هى أن نفصل مرة أخرى المجال الوصفى عن المجال التاريخى . يجب أن لانختلط المسألتان إن الكلام عن القانون اللغوى بشكل عام يشبه محاولة القبض على شبح . هذه بعض الأمثلة مأخوذة من اليونانية التى يختلط فيها النوعان بشكل مقصود :

١ — ان الأصوات المهموسة المجهورة فى الهندوأوروبية الأصليـــة أصبحت مهموسة (voiceless) etc. و « أعانى » bherō → phérō ، و « النفس الحياة » dhūmos → thumos .

٢ — إن النبر لايقع متأخرا عن المقطع الثالث من الأخير (antepenult) .

٣ — كل الكلمات المنتهية بحرف علة أو بالحروف (s, n, r) تستثنى من كل الصوامت الأخرى (للابتعاد عن كل الصوامت الأخرى) .

٤ — السابقة الصوتية الاولية « s » أصبحت « h » (علامة المدّ) :
septm (Latin septem) → heptà .

٥ — تتحول الـ « m » الأخيرة إلى « n » :
Jugom → Zugon (cf. Latin jugum).

٦ — تسقط الانفجاريات الاخيرة :
gunaik → gúnai, épherat → éphere, épheront → épheron

القانون الأول تاريخى : db أصبحت th الخ القانون الثانى يظهر العلاقة بين وحدة الكلمة ونهايتها . والقوانين الرابع والخامس والسادس تاريخية : ä ، a أصبحت ē ، ō ، o أصبحت u ، حلت محل m ، r ، t ، حلت محل k ، الخ . اختفت دون أن تترك أثرا . وعلينا أن نلاحظ أيضا أن القانون الثالث هو نتيجة القانونين الخامس والسادس ، حقيقتان تاريخيتان تبتكران حقيقة وصفية. بعد أن فصلنا نوعى القوانين ، نلاحظ أن القانونين الثانى والثالث يختلفان بشكل أساسى عن القوانين الأول والرابع والخامس والسادس . القانون الوصفى عام ، ولكنه ليس إلزاميا . بدون شك فانه مفروض على الأفراد بقوة الاستعمال الجمعى (أنظر ص ٧٢) ولكنى هنا لا أجد فضلا للفكر على (القسم الخاص بالمتكلمين) جماعة المتكلمين . أعنى أنها لا توجد قوة فى اللغة تكفل المحافظة على الانتظام أو الاضطراد عندما تقوم على أى نقطة . باعتباره تعبيرا بسيطا عن النسق الموجود القانون الوصفى يصف حالة من الحالات ، انه يشبه القانون الذى ينص على أن الأشجار فى حديقة معينة منسقة على شكل خاص ، والنسق الذى حدده القانون غير مستقر تماما لأنه ليس إلزاميا . لا يوجد شىء أكثر اضطراداً من القانون الوصفى الذى يحكم التنبير اللاتينى (Latin accentuation) (القانون يشابه بكل الوجوه الثانى السابق) ، ولكن القاعدة التنبيرية لا تقاوم قوى التغيير ، وتفسح المجال لقانون جديد ، مثل القانون الفرنسى (أنظر ص ٨٦) باختصار . إذا تحدثنا عن القانون فى المجال الوصفى ، فانه يعنى الكلام عن النسق ، عن الأساس الاضطرادى .

التاريخى ، بالمقابل ، يشكل قوة محركة أثناء حدوث الأثر ، أمرا تنفيذياً .

ولكن هذه الالزامية غير كافية لضمان تطبيق فكرة القانون على الحقائق

التاورية، نستطيع الكلام عن القانون انطلاقا من ما تخضع مجموعة من الحقائق لنفس القاعدة ، وبالرغم من بعض المظاهر المضادة ، فان الحوادث التاريخية تصادفية وعامة دائما . ان صفة التصادفية والخصوصية للحقائق الدلالية تتضح الآن . فان الكلمة الفرنسية « فرس poutre » التى اكتسبت معنى « قطعة من الخشب rafter » يعود ذلك لاسباب خاصة . ولا يعتمد على تغيرات أخرى يمكن أن تحدث فى نفس الوقت . إنها حادثة واحدة فقط من الحوادث المسجلة فى تاريخ اللغة .

أما بالنسبة للتحولات التركيبية والصرفية ، فان البحث ليس واضحا من البداية فى وقت معين اختفت كل صيغ حالة الرفع القديمة من الفرنسية . هذه مجموعة من الحقائق تخضع بوضوح لنفس القانون ، ولكن هذه ليست هى الحالة لأن كل الحقائق ليست إلا مظاهر متعددة لحقيقة واحدة ، ونفس الحقيقة المفردة . إن المفهوم الخاص للوضوح ، أصبح معروفا . وقد سبب اختفاؤه بشكل طبيعى زوال كل سلسلة الصيغ . بالنسبة لمن يرى الملامح الخارجية للغة ، فان وحدة الظاهرة تغرق أو تضيع فى ظواهرها المتعددة .

مهما يكن فليس هناك إلا ظاهرة واحدة أساسية ، وهذا الحدث التاريخى معزول تماما فى نظامه الخاص مثل التغير الدلالى الذى حدث لكلمة « poutre » انها تأخذ شكل القانون فقط ، لانها تحققت داخل نظام إن النسق الصارم للنظام يخلق الاضطراب والارتباك . وهو أن الحقيقة التاريخية تخضع لنفس القواعد التى تخضع لها الحقيقة الوصفية .

وأخيراً ، فيما يتعلق بالتغيرات الصوتيـة فانه ينطبق عليها نفس الشىء تماما .

والآن ، فالأمر المألوف هو الكلام عن القوانين الصوتية . فى الحقيقة ، لقد قيل ان كل الكلمات المتواجـــدة فى زمان محدد ، ومكان محدد ، وتحمل نفس المميزات الصوتية هى متأثرة بنفس التغير ، على سبيل المثال ، القانون الاول فى ص ٩٢ (dhûmos Greek thūmos) أثر فى كل الكلمات اليونانية المشتملة على صوت مهموس مجهور !

(cf nebhos → nephos, medhu → methu, angho → ankho, etc)

القانون الرابع (septm → hepta) ينطبق على :

Serpo → herpô, sûs → hûs

وعلى كل الكلمات التى تبدأ بحرف « S » .

هذا الاضطراد الذى كان موضع خلاف فى بعض الأحيان ، قد أسس بوضوح تام ، إن الاستثناءات الواضحة لانقال من هذه التغيرات الحتمية ، لأنه يمكن تفسيرها ، إما بقوانين صوتية أكثر خصوصية (أنظر المثال ص ٩٧ trikhes, thrike.) أو بادخال حقائق من نوع آخر ، (القياس ، الخ) .

لا يبدو أن هناك تعريفاً أفضل من التعريف السابق لقانون الكلمة . وعلاوة على ذلك ، وبصرف النظر عن عدد الأمثلة التى يحكمها القانون الصوتى ، فان كل الحقائق التى يتضمنها ليست إلا ظواهر لحقيقة معينة مفردة . إن البحث الحقيقى هو بيان فيما إذا كانت التغيرات الصوتية تؤثر فى الكلمات أو فى الأصوات فقط، ولا يوجد شك حول الجواب .

فى الكلمات : ne phos, metku; ankhō, etc. فان — وحدة صوتية معينة — المجهور المهموس الهندوأوروبى ، أصبحت مهموسة ، صوت « S » فى اليونانية الأصلية الابتدائى أصبح « h » ، الخ .

كل حقيقة تتحول ، مستقلة عن الحوادث الأخرى من نفس النوع ، مستقلة أيضا عن الكلمات التي حدث فيها تغيير . لقد تغير بالطبع الجوهر الصوتي لكل الكلمات ، ولكن يجب أن لا يخدعنا هذا بالنسبة الطبيعة الحقيقية الظاهرة .

ما الذي يؤكد مقولة ان الكلمات أنفسها ليست مشتركة مباشرة في التحولات الصوتية ؟ ان أبسط ملاحظة هي أن هذه التحولات غريبة أو مغايرة الكلمات ، ولا يمكن أن تمس جوهرها . إن وحدة الكلمة غير مشكلة فقط من مجموع وحداتها الصوتية ، ولكن من صفات أخرى أكثر من صفتها المادية . لنفترض أن أحد خيوط البيانو قد خرج من النغم : فان النغمة المتنافرة ستسمع في كل وقت يضرب فيه لاعب البيانو على المفتاح المائل . ولكن أين التنافر ؟ هل هو في اللحن ؟ بالتأكيد ، لا . إن اللحن لم يتأثر ، ولكن البيانو فاسد . نفس الشيء تماما ينطبق على علم الأصوات . نظامنا من الوحدات الصوتية هو الأداة التي نلعب بها حتى تنطق كلمات اللغة ، إذا تغير أو تحول أحد عناصرها ، فن الممكن أن تنشأ نتائج مختلفة ، ولكن التحول نفسه غير متعلق بالكلمات التي تمثله إلى حد ما في الكلام ، الألحان لمجموعها ، لهذا ، فالحقائق التاريخية هامة أو مستقلة . إن التغير في النظام يحدث بواسطة الأحداث التي لا تعد خارج النظام فقط (أنظر ص ٨١) ، ولكنها معزولة ولا تشكل نظاما في داخلها .

للخص : الحقائق الوصفية ، ليست المشكلة في ماهيتها ، تظهر الاضطراد المحتوم ، ولكنها ليست الزامية بأي وجه من الوجوه ، الحقائق التاريخية بالمقابل تفرض نفسها على اللغة ولكنها ليست عامة بأي شكل من الأشكال .

وباختصار : — وهذه هي النقطة التي أحاول القيام بها — ان كلا النوعين غير محكومين بقوانين بالمعنى المحدد سابقا ، وإذا كان هناك من يرغب في الكلام

عن القوانين النحوية ، فالكلمة ستشمل معانى مختلفة تماما ، معتمدة على الحقائق التى تدل عليها فيما إذا كانت من النوع الأول ، أو من الثانى .

٧ - هل هناك وجهة نظر بانكرونيكية (Panchronic)

بالنسبة لهذه النقطة ، فان مصطلح قانون « Law » استعمل فى معناه القانونى ولكن ألا يمكن استعمال المصطلح أيضا فى اللغة ، كما يستعمل فى الفيزياء والعلوم الطبيعية ، أعنى ، إلى حد ما فى العلاقات الممكن اثباتها فى كل مكان ، وللأبد ؟ وباختصار ، ألا يمكن دراسة اللغة من وجهة نظر بانكرونيكية « Panchronic » ؟ .

بدون شك . بما أن التغيرات الصوتية دائمة الحدوث وما زالت تحدث ، هذه الظاهرة العامة تعد صفة دائمة للكلام ، وهى لهذا إحدى قوانين الكلام فى اللغة ، كما هو فى لعبة الشطرنج (أنظر ص ٨٨ وما بعدها) ، هناك قواعد تعيش أكثر من كل الأحداث . ولكنها أسس عامة توجد مستقلة عن الحقائق المادية . عندما نتكلم عن الخصوصية أو الانفراد ، الحقائق المادية ، فانه لا يوجد وجهة نظر بانكرونيكية . كل تغير صوتى ، بصرف النظر عن انتشاره الفعلى ، محدد بوقت ومنطقة معينين ، انه لا يحدث تغير فى كل الأوقات وفى كل الاماكن . التغير يوجد فقط تاريخيا . هذه الأسس العامة هى على وجه الضبط ما يعمل كقياس لتحديد ما يخص اللغة وما لا يخصها . إن الحقيقة المادية أو الواقعية التى نعير انفسها للتفسير البانكرونيكى لا يمكن أن تخص اللغة . خذ الكلمة الفرنسية « شىء Chose » من وجهة النظر التاريخية ، انها متناقضة مع الكلمة اللاتينية التى اشتقت منها « causa » ، من وجهة النظر الوصفية فانها تتناقض مع كل الكلمات التى يمكن أن تجتمع معها فى الفرنسية الحديثة . أصوات الكلمة فقط التى تعتبر مستقلة (Soz)

قابلة للملاحظة البانكرونيكية « Panchronic »، ولكن ليس لها قيمة لغوية، حتى من وجهة النظر البانكرونيكية « Pachs »، « Sox » فانه « تدرس فى سلسلة مثل : « شىء عجيب » un sox admirable ليست وحدة، ولكن كتلة مشوهة، فى الحقيقة. لماذا Šox غير oza أو ožo ؟ انها ليست قيمة لانه ليس لها معنى. من وجهة النظر البانكرونيكية، لايمكن الوصول إلى الحقائق الخاصة عن اللغة.

٨ - نتائج الخلط بين الوصفى والتاريخى :

سنقدم مثالين :

أ) تبدو الحقيقة الوصفية منكرة أو رافضة للحقيقة التاريخية، (ومن يملك نظراً عميقاً)، أو من عنده بعد نظر للأشياء يتصور أن الاختيار يجب أن يكون، هذا فى الحقيقة ليس ضروريا، إحدى الحقيقتين لاتنفى الأخرى، الكلمة الفرنسية « حقد dépit » تعنى أصلا الاحتقار لا يمنع الكلمة من حمل معنى مختلف تماماً الآن، إن القيمة الوصفية والاشتقاقية متميزتان. بالمشابه، يقول النحو التقليدى ان اسم الفاعل (present participle) متغير، ويظهر التوافق إلى نفس الدرجة، مثل : الصفة فى حالات معينة فى الفرنسية الحديثة. (قارن : « الماء الجارى une eau courante »،) ولكنه ثابت فى الأخريات.

(قارن : شخص يركض فى الشارع une personne courant dans la rue »، ولكن النحو التاريخى يبين أنها ليست مسألة عن شىء واحد ولا عن نفس الصيغة : الأول هو الاستمرارية فى تغير اسم الفاعل

اللاتيني (currentum) بينما يأتي الثاني في الصيغة الأصلية الثابتة المصدر (currendo) .

هل تناقض الحقيقة الوصفية الحقيقة التاريخية ، وهل يجب أن يدان النحو التقليدي ، لأنه نحو تاريخي ؟ لا . لأن ذلك يظهر نصف الحقائق فقط . يجب أن لا نظن أن الحقيقة التاريخية وحدها تكفي لبنا. اللغة ، بدون شك،فان اسم الفاعل Courant من جهة أصله يحتوي على عنصرين، ولكن في التفكير الجمعي لجماعة المتكلمين ، فانها تجمع مع بعضها ، وتدمج في عنصر واحد .

الحقيقة الوصفية هنا مطلقة ، ولا تقبل الجدال مثل الحقيقة التاريخية .

ب) الحقيقة الوصفية مشابهة للحقيقة التاريخية ، لأن الناس تخلط بين الاثنين أو تعتقد أنه من غير الضروري الفصل بينهما . على سبيل المثال ، لقد حاولوا بيان معنى الكلمة الفرنسية « أب Père » بقولهم انها تحمل نفس معنى الكلمة اللاتينية « Pàter » . مثال آخر : الصوت القصير « a » في اللاتينية أصبح « i » في المقاطع المفتوحة غير الاستهلالية ، بجانب كلمة facio نجد كلمة conficio . وبجانب amicus نجد inimcus .. الخ . غالبا مايعبر القانون على هذا الشكل : إن صوت « a » في كلمة « facio » يصبح « i » في conficio لأن المقطع الاول ليس طويلا . هذا ليس صحيحا : فان « a » لم تتحول أبداً إلى « i » في Conficio لاعادة تأسيس الحقيقة لابد من اختيار فترتين وأربعة مصطلحات . لقد نطق المتكلمون في الأول facio — confacio ، وبعد ذلك ، تحولت confacio إلى conficio بينما بقيت facio بدون تغيير فقالوا : facio ⟷ confacio :

facio ←→ confacio   period A

fácio ←→ conficio   period B

إذا حدث تغير فانه يكون بين confacio and conficio ، ولكن القاعدة صيغت بشكل ردىء ، حتى أنها لم تذكر ا Confacio . وبجانب التغير التاريخى هناك حقيقة ثانية ، تتميز بشكل مطلق عن الأولى ، وتعمل بناء على التناقض الوصفى الخالص بين : facio and conficio

إن هذا يدفعنا إلى القول بأنها ليست حقيقة ولكنها نتيجة . وبالرغم من ذلك ، فانها حقيقة ضمن نوعها الخاص . فى الحقيقة ، كل الظواهر الوصفية تشبه هذه .

ان القيمة الحقيقية لتناقض facio : conficio غير متميز ، لأن السبب الحقيقى ، وهو أن التناقض غير واضح تماما. ولكن التقابلات أو المتناقضات مثل :

Gäste and gebe : gibt ، هذه أيضا نتائج مصادفية للتطور الصوتى ، هى بالرغم من ذلك ظاهرة نحوية أساسية من النوع الوصفى . حقيقة أن النوعين مترابطان تماما من ناحية أخرى ، كل منها يسبب الآخر ، أدى ذلك إلى النتيجة القائلة : إن الفصل بينهما ليس له أهمية . فى الحقيقة، لقد خلط بينهما علم اللغة لعدة قرون من غير التحقق من عدم جدوى هذا المنهج .

الخطأ الذى تبين موضحا ببعض الأمثلة . لتفسير الكلمة اليونانية Phukt̀ós على سبيل المثال ، يبدو أنها كافية لنقول أن صوت " gor Kh " تحولت إلى " K " قبل الصوامت المهموسة ، ولنبين عن طريق تفسير هذه المتماثلات الوصفية مثل :

phugein : phuktós, lékhos : Lektron' etc.

ولكن فى حالة مثل : trikhes : thrikist ، فانه يوجد تعقيد ، وهو انتقال حرف « t » إلى « th » . يمكن تفسير الصيغ تاريخيا بواسطة التسلسل الزمنى (chronology) النسبى . ان الجذر " thrikh " فى اليونانية الأصلية، المنتهى بالنهاية " Si - " - تحول إلى " thriksi " ، إنه تطور قديم جداً - مطابقا لذلك الذى أنتج Lektron من الجذر - " Lekh - " . وبعد ذلك فان كل مهموس متبوع بمهموس آخر فى نفس الكلمة قد تغير إلى صوت مجهور ، و thrikhes أصبحت trikhes ، وبشكل طبيعى تكون thriksi قد خرجت من هذا القانون .

٩ - النتائج :

لقد وصل علم اللغة هنا إلى تشعبه الثانى . كان علينا ، فى الأول أن نختار بين اللغة والكلام (أنظر ص ١٧ وما بعدها) ، نجد أنفسنا ثانية على مفترق طرق ، إحداها تؤدى إلى التاريخى والأخرى إلى الوصفى . حالما نضع يدنا على الأساس الثنائى للتصنيف ، نستطيع أن نضيف أن كل شىء تاريخى فى اللغة هو تاريخى فقط ، بفضل الكلام .

ان أصل كل تغير ينشأ فى الكلام . ان كل تغير لابد أن ينطق به عدد ما من الأفراد قبل أن يصبح مقبولا للاستعمال العام . الألمانية الحديثة تستعمل : ich, war, wir, waren بينما كان التصريف حتى القرن السادس عشر : ich was; wir waren .

(قارن بالانجليزية : I was, we were) . كيف حدث إحلال war محل was ؟ بعض المتكلمين ، متأثرون بـ "waren" ، ابتكروا " war " من خلال القياس ، كانت هذه حقيقة كلامية ، لقد كررت الصيغة الجديدة عدة

مرات وتقبلتها الجماعة ، فأصبحت حقيقة لغوية . ولكن لا تحظى كل ابتداعات المتكلمين بنفس النجاح — وبقدر ما تبقى فردية بقدر ما تكون مرفوضة أو مجهولة — لهذا ندرس اللغة ، انها لا تدخل فى مجال ملاحظتنا حتى تقرها جماعة المتكلمين . كل حقيقة تطورية تكون مسبوقة بحقيقة دائما ، أو حتى بعدة حقائق متشابهة ، فى مجال الكلام ، هذا لا يضعف الفارق السابق بيانه بل يقويه لأنه فى تاريخ أى ابتكار هناك دائما لحظتان متميزتان :

١) عندما تظهر فى الاستعمال الفردى .

٢) عندما تصبح حقيقة لغوية ، متماثلة ماديا وظاهريا ، لكن أقرتها الجماعـــة .

الجدول التالى يبين الشكل المنطقى الذى يجب أن تأخذ به الدراسة اللغوية :

الوصفى Synchuony / التاريخى Diachrony	اللغة Language / التكلم Speaking	الكلام (Human) Speech

يجب أن نعرف أن (المثالية) ، الشكل النظرى للعلم لا يكون دائما ما تفرضه عليه ضرورات التطبيق فى علم اللغة ، هذه الضرورات أو المقتضيات هى أكثر اهمية من أى شيء آخر ، انها تسهم إلى حد ما — للاضطراب الذى يسود الآن فى البحث اللغوى . إذا كانت المميزات المبينة هنا قد قبلت مرة وإلى الأبد ، فإن التوجيه الدقيق لا يستطيع فرض نفسه على الأبحاث تحت اسم المقولة المثالية .

فى الدراسة الوصفية الفرنسية القديمة ، على سبيل المثال ، تعادل المنوى

مع الحقائق والأسس التى لا تشترك فى شىء مع تلك التى يريد استخراجها عن طريق متابعة تاريخ نفس اللغة من القرن الثالث عشر حتى القرن العشرين ، على عكس ذلك ، فقد تعامل مع الحقائق والأسس المشابهة لتلك التى ستكون ظاهرة فى وصف لغة البانتو الباقية ، اليونانية اللاتينية سنة ٤٠٠ ق . م أو الفرنسية المعاصرة .

إن الأوصاف المختلفة لا بد أن تقوم على علاقات متشابهة . إذا كانت كل لغة " idiom " تشكل نظاما مستقلا ، فان كل اللهجات تتضمن الأسس الثابتة المؤكدة التى تقابل اللغوى مرة بعد مرة فى انتقاله من لهجة إلى أخرى ، لأنه مقيم على نفس النوع .

نفس الشىء فى الدراسة التاريخية . كلما يفحص اللغوى فترة محددة فى تاريخ اللغة الفرنسية (على سبيل المثال ، من القرن الثالث عشر حتى القرن التاسع عشر) ، اليابانية أو أى لغة أخرى منها لكن ، كلما يجد نفسه يتعامل مع حقائق متشابهة التى لا يحتاجها للمقارنة حتى يؤسس الحقائق العامة للنوع التاريخى . يجب أن يكون هدف كل باحث أن يكرس جهده فى مجال واحد من البحث ، وأن يتعامل مع أكبر عدد ممكن من الحقائق فى هذا المجال ، ولكنه من الصعب جداً أن نحكم علمياً هذه اللغات المختلفة . على عكس هذا ، كل لغة فى التطبيق تشكل وحدة للدراسة ، ونحن مدفوعون بقوة الظروف لتناولها بالتناوب من وجهة النظر التاريخية والوصفية . وقبل كل شىء ، يجب أن لا ننسى أبدا أن هذه الوحدة ظاهرية فى النظرية ، بينما يخفى الاختلاف اللهجى وحدة أعمق . أيا ما كانت الطريقة التى ندرس بها اللغة ، فانه يجب علينا أن نضع كل حقيقة فى نوعها الخاص ولا نخلط بين المنهجين .

سيكون قسما علم اللغة على وجه الخصوص — كما حددت — هما موضوع دراستنا . سيهتم علم اللغة الوصفي بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط المصطلحات المترافقة معا ، وتشكل نظاماً في الفكر الجمعي للمتكلمين .

علم اللغة التاريخي ، بالمقابل ، سوف يدرس العلاقات التي تربط المصطلحات المتعاقبة ، معاً ، وغير المدركة بالعقل الجمعي ، ولكنها تتبادل مواقعها أو تحل على بعضها من غير أن تشكل نظاماً .

القسم الثاني

علم اللغة الوصفي

SYNCHRONIC LINGUISTICS

الفصل الأول

عموميـــات

إن هدف علم اللغة الوصفي العام ، وضع الأسس الرئيسية لأنه نظام وصفي متميز ، قوانين أى حالة لغوية (علم اللغة الوصفي) . كثير من المواد التي سبق تفسيرها في القسم الأول تخص إلى حد ما علم اللغة الوصفي ، على سبيل المثال ، الخصائص العامة للعلامة ، هي الجزء المتمم للوصفية ، كما أنها استعملت لتأكيد ضرورة فصل على اللغة . كل ما يسمى « نحوا عاما general grammer » يخص علم اللغة الوصفي ، لأنه لا يكون إلا من خلال الحالات اللغوية (الوصف اللغوى) وهي العلاقات المختلفة التي تعد المجال الذى يقوم عليه النحو . في الفصول التالية سنتناول فقط الأسس الرئيسية الضرورية لتقريب المسائل لأكثر خصوصية من علم اللغة الاستاتيكى (الثابت) أو توضح بالتفصيل حالة اللغة (اللغة في حالة الثبات) .

إن دراسة علم اللغة الوصفي هي بشكل عام أصعب من دراسة علم اللغة التاريخي . الحقائق التطورية أكثر تماسكا وصرامة ، فإن علاقاتها الممكن ملاحظتها تجمع الاصطلاحات المتعاقبة التي يمكن إدراكها بسهولة مع بعض ، انه من السهل ، غالباً ما تكون مسلية ، تتبع سلسلة من التغيرات . ولكن علم اللغة الذى يكشف عن القيم والعلاقات المترافقة يواجه صعوبات كثيرة جداً . ان الحالة اللغوية في التطبيق لا تعد نقطة ولكن — إلى حد ما — مرحلة زمنية تكون قد

تعرضت خلالها إلى مجموعة من التعديلات تشكل الحد الأدنى . وقد تغطى المرحلة عشر سنوات أو جيلا أو قرنا أو حتى أكثر من ذلك .

إنه من الممكن أن لا يحصل إلا تغيير طفيف طوال مرحلة طويلة ، ثم تخضع لتحولات جذرية خلال سنوات قليلة . قد تتواجد لغتان معاً فى مرحلة زمنية محددة فتتطور احدهما بفترة ، والأخرى لايحدث لها شىء عملياً ، فالدراسة لابد أن تكون تاريخية فى المثال الأول ، ووصفية فى الأخـــير . الحالة المطلقة تتحدد بغياب التغيرات ، وحتى التغيرات اللغوية إلى حد ما بالرغم من كل شىء. ان دراسة الحالة اللغوية (الثبات اللغوى) تعنى عمليا تجـــاهل التغيرات القليلة الأهمية ، تماماً كما يفعل علماء الرياضيات فى اهمالهم الكميات المتناهية الصغر فى بعض حساباتهم تماما كما فى اللوغاريتمات .

إن التاريخ السياسى يفرق بين « عهد » « era » نقطة فى الزمن و « period » التى تشمل فترة محددة . ولا يزال المؤرخون يتحدثون عن عهد أنطونيو ، العهد الصليبى ، الخ . عندما يتناول مجموعة من المميزات التى بقيت ثابتة خلال تلك المراحل . يجب أن يقال أيضاً ان علم اللغة الوصفى (الاستاتيكى) يهتم بالعهود « eras » المراحل « الصغيرة » ولكن الحالة « state » هى المفضلة . إن بداية أو نهاية العهد « era » تكون موسومة عادة بنوع من الثورة العنيفة التى تتجه إلى تعديل الحالة الموجودة للأمور . إن كلمة « state » حالة تتجنب إعطاء الانطباع بأن أى شىء مماثل يحدث فى اللغة بجانب هذا . ولأن مصطلح « era » عهد مستعار من التاريخ يجعلنا لا نفكر باللغة نفسها بقدر تفكيرنا بالظروف التى تحيط بها وتتحكم فيها . باختصار ، انها تعبر إلى حد ما عن الفكرة التى سميناها علم اللغة الخارجى « external linguistics » (أنظر ص ٢٠).

وبجانب هذا ، ان التحديد الزمني أو الارتباط بالزمن ليس الصعوبة الوحيدة التي تواجهها في تعريف الحالة اللغوية : فإن المكان يظهر نفس المشكلة . باختصار ، ان مفهوم الحالة اللغوية لا يكون إلا تقريبياً أو نسبياً . في علم اللغة الثابت ، كما هو في غالبية العلوم ، لا يوجد مجال لامكانية التحليل من غير التبسيط العادي للمعلومات .

الفصل الثاني

المواد الأساسية للغة

١ ـ التعريف : المادة والوحدة :

إن العلامات التي تشكل اللغة ليست مجردات ، ولكنها أشياء حسية حقيقية (أنظر ص ١٥) ، العلامات والعلاقات بينها هو ما يدرسه علم اللغة :

دعنا نبرز الأساسيين اللذين يحكمان كل البحث :

أ) لا توجد المادة اللغوية إلا من خلال ترابط الدال والمدلول (أنظر ص ٦٦) فإذا تخلف عنصر واحد ، فإن المادة تتلاشى ، وبدلا من الشيء الحسي نكون في مواجهة التجريد المطلق .

إننا نخطيء باستمرار في تمسكنا بجزء من المادة ، ونظن أننا تناولها في جملها ، ، وهذا لابد أن يحدث ، على سبيل المثال ، إذا ماقسمنا السلسلة الكلامية إلى مقاطع ، لأن المقاطع ليس لها قيمة إلا في علم الأصوات ، Phonology ، . ان تتابع الأصوات لا يكون لغويا ، إلا إذا كان يحمل فكرة . باعتبارها مستقلة، فإنها مادة للدراسة الفسيولوجية (علم وظائف الأعضاء) ، ولا شيء أكثر من ذلك ونفس الشيء ينطبق على المدلول إذا فصل عن الدال عليه . فإذا أخذت الأفكار مستقلة مثل : بيت ، أبيض ، يرى ، الخ فإنها تخص علم النفس .

انها لا تكون مواد لغوية إلا عندما ترتبط بصورة صوتية ، في اللغة ، الفكرة

نوع أو خاصية من خصائص مادتها الصوتية تماما مثل الشريحة الصوتية التى تعد نوعا أو خاصية من خصائص الفكرة .

إن جانبي الوحدة اللغوية يقارنان أو يشبهان غالباً بالانسان الذى يتكون من جسم وروح . وهذا التشبيه أو المقارنة غير مقبول والاختيار الأفضل هو ذلك المركب الكيماوى مثل الماء ، المركب من الهيدروجين والأكسجين ، فاذا أخذنا منفصلين فان أى عنصر من العنصرين لا يحمل خواص الماء .

ب) إن المادة اللغوية لا تعرف بدقة حتى تحدد ، أعنى ، فصلها عن كل شيء يحيط بها فى السلسلة الصوتية . هذه المواد المحددة أو الوحدات تناقض كل واحدة الأخرى فى عملية اللغة أو آليتها . كان الواحد مدفوعا فى البداية لتشبيه العلامات بالإشارات المرئية التى يمكنها البقاء فى المكان من غير أن تختلط أو تتشوش ، ولا فتراض أن فصل العناصر الدالة يمكن معالجتها بنفس الطريقة من غير اللجوء إلى العملية العقلية . ان كلمة صيغة « Form » التى تستعمل غالبا للدلالة عليها (قارن التعبير « الصيغة الفعلية » و « الصيغة الاسمية ») تساعد على الخطأ . ولكنا نعلم أن الصفة الإساسية للسلسلة الصوتية هى أنها ذات امتداد طولى (أنظر ص ٧٠) ، إذا أخذناها لوحدها ، انها ليست إلا خطاً ، شريطاً مستمراً على طول ، لا تجد الأذن بإكتفاء ذاتى ، وانقسام مقطوع واضح ، لتقسيم السلسلة لا بد من الدخول فى المعانى . عندما نسمع لغة غير مألوفة ، نكون فى حيرة فى بيان كيفية تحليل تتابع الأصوات ، لأنه يستحيل التحليل إذا أخذنا بالاعتبار الجانب الصوتي فقط فى الظاهرة اللغوية . ولكن عندما نعرف المعنى والوظيفة التي يؤديها كل جزء من أجزاء السلسلة ، نجد أن الاجزاء تحل نفسها من بعضها بعضا ، والشريط المقفوه ينقسم إلى أجزاء .

والآن لايوجد شيء مادي في التحليل .

التلخيص : ان اللغة لا تقدم نفسها كمجموعة من العلامات المحددة سلفاً التي لاتحتاج إلا للدراسة ، تبعاً لمعانيها وترتيبها انها كتلة مضطربة ، ولايكشف عناصرها الخاصة إلا الإنتباه والألفة . ليس للوحدة ميزة صوتية خاصة ، والتعريف الوحيد الذي نستطيع أن نعطيه لما هو هذا : هي شريحة صوتية تشكل عند ابعاد كل شيء يتقدم عليها أو يتبعها في السلسلة الكلامية الدال على فكرة معينة .

٢ - منهج التحديد :

إن من يعرف اللغة يميز وحداتها بمنهج بسيط جداً - نظرياً - إلى أي درجة . يتألف منهجه من استعمال الكلام كمصدر مادي للغة وتصويرها كسلسلتين متوازيتين ، احداهما للأفكار « A » والأخرى للصور الصوتية « B » .

في التحديد الدقيق ، التقسيم عبر سلسلة الصور الصوتية (a,b,c) سيطابق التقسيم في سلسلة الأفكار (a^{1}, b^{1}, c^{1}) :



خذ كلمة فرنسية Sizlaprã . هل نستطيع قطع السلسلة بعد حرف « L » وجعل « sizl » وحدة ؟ لا ، نحن بحاجة فقط لأخذ الأفكار بالاعتبار لنرى .

أن التقسيم خطأ . كما أن التقسيم المنطقى Siz - la - prà لا يمكن أخذه على أنه يملك قيمة لغوية . ان التقسيمات الممكنة الوحيدة هى هذه :

١) « إذا أخذتها » si - ž - la - prà (si je l'apprends

و ٢) « إذا تعلمتها » si ž - l - adrà (si je l'apprends

وهى محددة بالمعانى المرتبطة بالكلمات . ولنثبت صحة نتيجة الإجراء (المنهج) ولنتأكد من أننا نتعامل مع الوحدة ، يجب أن نتمكن عن طريق مقارنة لمجموعة من الجمل التى تظهر فيها نفس الوحدة من أن نفصل الوحدة عن بقية السياق ونجد فى كل مثال أن المعنى يحقق أو يسوغ التحديد . خذ شبهى الجملة الفرنسيتين :

(« قوة الريح » la forsdüvä) laforce du vent

و (المعنى الحرفى : نهاية قوة الشخص ، منهك a bud jurs (a bout de

force فى كل تعبير تتفق نفس الفكرة مع نفس الشريحة الصوتية . « fors » ، هكذا بالتأكيد تكون الوحدة اللغوية . ولكن فى : « أجبرنى على الكلام

i (möforsparle) « i l me force a parler »

فان « fors » لها معنى مختلف كلياً : انها لذلك وحدة أخرى .

٣ ـ الصعوبات العملية للتحديد :

المنهج الموضح سابقا بسيط جدا نظريا ، ولكن هل من السهل تطبيقه ؟ نحن مجبرون على اعتقاد ذلك إذا بدأنا من المفهوم (فكرة) الذى يقول ان الوحدات المنعزلة تعد كلمات . ماذا تكون الجملة غير تجمع كلمات ؟ ما الذى يمكن الإمساك به بسهولة أكثر من الكلمات ، وبالرجوع إلى المثال السابق ، من الممكن أن نقول

أن تحليل السلسلة الكلامية sixiepra قد تحقق في الأربع وحدات المحددة ، وتلك الوحدات كلمات : Si—je—l—apprende ، ونحن الآن نقوم بملاحظة أن هناك عدم اتفاق حول طبيعة الكلمة ، وقليل من التفكير يبين أن المعنى العادي للمصطلح يتعارض مع مفهوم الوحدة الأساسي .

وحتى نقتنع ، لابد أن نفكر في الكلمة الفرنسية « حصان Cheval » ، وصيغة جمعها « cheveaux » . والناس يقولون بسهولة أنها صيغتان لكلمة واحدة . ولكن بالنظر اليها ككل ، انها بالتأكيد شيئان متميزان مع الأخذ في الاعتبار المعنى والصوت .

(شهر سبتمبر In « mwez » (mois as in le mois de septembre

(بعد شهر and « mois, in un mois après

هناك أيضا صيغتان من نفس الكلمة ، ولا توجد مسألة الوحدة الأساسية . المعنى واحد ، ولكن الشريحة الصوتية مختلفة . طالما نحاول تشبيه الوحدات الأساسية بالكلمات فاننا في مواجهة معضلة : فاما أن نتجاهل العلاقة — التي لا توضح شيئا — التي تربط : Cheval and cheveaux وتربط الصوتين mwa and mirez, الخ .

ونقول انها كلمات مختلفة ، أو بدل الوحدات الأساسية أن نكتفي بالتجريد الذي يربط الصيغ المختلفة لنفس الكلمة . إن الوحدة الاساسية يجب أن تظهر ، ليس في الكلمة ولكن في أي شيء آخر ، بجانب هذا ، كثير من الكلمات تعد

وحدات مركبة ، ولستطيع بسهولة فصـــل الوحدات المساعدة والمواحق ، السوابق ، الجذور) .

المشتقات مثل : — paint — ful and delight — يمكن تقسيمها إلى أجزاء متميزة ، كل منها له معناه ووظيفته الواضحة . وعلى العكس ، هناك بعض الوحدات أكبر من الكلمات : مركبات (« مساكة قلم الحبر ، French porte - plume) ، تعابير كلامية :

(« من فضلك » s'il vous plait) ، صيغ تصريفية (« صيغة المضارع التام » il a ete . he has been « ، إلخ .

ولكن هذه الوحدات التى تقاوم التحديد بنفس القوة التى تقاومها الكلمات تماما يجعل من المتعذر عليهـــا فك تفاعل الوحدات الموجودة داخل السلسلة الصوتية وتعيين العناصر الأساسية التى تعمل على أساسها اللغة (أو تقوم عليها اللغة).

بدون شك ، فإن المتكلمين لا يمرن الصعوبات العملية لتحديد الوحدات . كل شيء مهما كانت أهميته ضئيلة يبدو وكأنه عنصر أساسي بالنسبة لهم ، وهم لا يخفقون فى تمييزها فى المحادثة . ولكن شيئا واحدا يرغب فى الاسراع ، تفاعل الوحدات الدقيق والهادىء يحسب حسابها أثناء التحليلات المنهجية النظرية الواسعة الإنتشار إلى حد ما يجعل الجمل هى الوحدات الأساسية للغة :

إننا نتكلم فى جمل ثم نقوم بعد ذلك بتمييز الكلمات . ولكن إلى أى مدى تخص الجمل اللغة (أنظر ص ١٢٤) ؟ . إذا كانت الجملة تخص

الكلام ، فإننا لانستطيع تجاوز الوحدة اللغوية ، ولكن دعنا نفترض أن هذه الصعوبة غير موجودة .

إذا تصورنا الجمل التى يمكن نطقها فى مجموعها ، فإن الصفة اللافتة للنظر عدم تشابهها بأى شكل من الأشكال . نحن مدفوعون لتشبيه التنوع الضخم للجمل بالتنوع المماثل من الأفراد التى تشكل النوع الحيوانى . ولكن هذا وهم : لأن الصفات المشتركة بين حيوانات النوع الواحد أكثر أهمية من الاختلافات التى تفرق بينها . فى الجمل — على العكس ، الاختلاف هو المسيطر ، وعندما ننظر إلى الرابط الذى لا يجمع تنوعها أو اختلافها ، مرة أخرى نجد — من غير البحث عنها — الكلمة مع مميزاتها النحوية ، وهكذا ، نعود إلى نفس الصعوبات السابقة .

٤ - النتيجـــة :

لاتظهر مسألة الوحدات فى غالبية العلوم : فالوحدات محددة منذ البداية . فى علم الحيوان : فإن الحيوان يمثل نفسه تماما . علم الفلك يتعامل مع وحدات متفرقة فى الفضاء : النجوم . الكيميائى يستطيع دراسة طبيعة وتركيب ثانى كرومات البوتاسيوم دون أن يشك على سبيل المثال فى دقة تحديد الموضوع . عندما لايكون للعلم وحدات أساسية يمكن معرفتها بسهولة ، يكون ذلك بسبب عدم لزومها . فى التاريخ ، على سبيل المثال ، هل الوحدة هى الفرد ، أو المرحلة الزمنية أو الأمة ؟ لا نعرف . ولكن ماذا تعنى ؟ نستطيع دراسة التاريخ من غير أن نعرف الجواب . تماما مثل لعبة الشطرنج تكون فى الترابط الكلى لقطع الشطرنج المختلفة ، واللغة توصف بأنها نظام قائم كلية على التناقض فى

وحداتها الأساسية . فنحن لانستطيع التخلى عن الاضطلاع عليها ، ولا اتخاذ أى خطوة من غير الرجوع اليها ، ولا يزال تحديدها بشكل مسألة دقيقة يجعلنا نتعجب فى البداية فيما إذا كان لها وجود حقيق . إن الميزة الغريبة المدهشة فى اللغة أنها لا تملك مواد مدركة حسيا من البداية ، وبالتالى لا تسمح لنا بالشك فى وجودها ، وأن عملهـا الوظيفى هو الذى يشكلها . وبدون شك فان لدينا ميزة تميز اللغة عن كل القوانين السيميولوجية (العلامات) الأخرى .

الفصل الثالث

المماثلات ، الحقائق ، القيم

العبارة التى قلناها منذ لحظات تضعنا فى مواجهة أهم مشكلة ، لأن أى مفهوم أساسى فى علم اللغة لاستاتيكى ، يعتمد مباشرة على مفهومنا للوحدة ، ويندمج معها . هذا ما أرغب فى وصفه على التوالى ، مع الأخذ بعين الاعتبار مفاهيم (التماثل الوصفى) والحقيقة الوصفية والقيمة الوصفية .

أ) ما التماثل الوصفى ؟ السؤال هنا ليس عن التماثل الذى يربط أداة النفى الفرنسية « لا pas » مع المماثل اللاتينى (passum) ، والتماثل التاريخى الذى يتعلق بأى شىء (أنظر ص ١٨١) ، ولكن على الأصح عن التماثل المتساوى الأهمية بالنظر إلى ما نقوله من أن جملتين مثل « لا أعرف Je ne sais pas » و « لا تقل ذلك ne dites pas cela " تتضمن نفس العنصر . السؤال غير المجدى الذى لابد من قوله ، هناك تماثل لأن نفس الشريحة الصوتية تحمل نفس المعنى فى كلتا الجملتين . ولكن ذلك التفسير غير مقنع لأنه إذا كان تطابق الشرائح الصوتية والأفكار يثبت التماثل (أنظر ص ١٠٥ : La force du vent : about de force) فان العكس ليس صحيحا .

يمكن أن يكون هناك تماثل بدون هذا التطابق ، عندما تعاد لفظة Gentlemen ! عدة مرات فى محاضرة ، فان الشعور لدى المستمعين يكون بأن

نفس التعبير يعاد فى كل مرة وفوق ذلك فان الاختلافات أو التنوعات فى النطق والتنظيم تجعل الاختلافات الصوتية مدركة فى السياقات المختلفة — اختلافات مدركة حسيا تماما ، مثل تلك تميز بين الكلمات المختلفة (قارن :

French pommeتفاحةand pourreتفاحة goutte قطرةand je goute أتذوق
and fouir أمتعة (uir جوهر etc.)

بجانب هذا ، فان الشعور بالتماثل ، يستمر بالرغم من عدم وجود تماثل مطلق بين Gentelmen الأولى والثانية حتى من وجهة النظر الدلالية . فى نفس المجال ، يمكن أن تعبر الكلمة عن معانى مختلفة تماماً ، من غير أن يتعرض تماثلها للشبهة .

(قارن : ويتبنى طفلا and adopler un enfant يتبنى طرازا (موديلا) and la flear de la nobless زهرة النبل french adoter une mode زهر شجرة التفاح la fleur du prommier . etc.)

إن آلية اللغة ، مكيفة للاختلافات والتماثلات ، إن الأول لا يعد إلا قسيما للثانى .

لقد أوضحت مشكلة المتماثلات فى كل مكان ، وفوق ذلك ، فانها ترتبط جزئياً مع مسألة المواد والوحدات ، وما هى إلا تركيب — واضحة من بعض جوانبها — للمشكلة الكبرى .

تبرز هذه الميزة ، إذا أجرينا بعض المقارنات مع حقائق تؤخذ من خارج الكلام . على سبيل المثال ، نتكلم عن تماثل القطارين اللذين يغادران جنيف إلى باريس الساعة ٨،٢٥ كل فترة ٢٤ ساعة . نشعر وكأنه نفس قطار كل يوم ، بل

كل شيء — القاطرة ، العربة والمتعد ، الموظفين — من المحتمل أن يكون مختلفا . أو إذا هدم شارع وأعيد بناؤه ، فنقول انه نفس الشارع بالرغم من نوعية المادة التي من المحتمل أنه لم يبق من المادة القديمة شيء . لماذا يبقى الشارع كما هو ، بينما أعيد بناؤه كلياً ؟ لأنه لا يشكل كياناً مادياً خالصاً ، انه يقوم على ظروف محددة تتميز عن المواد التي تلائم الظروف ، على سبيل المثال ، موقعه بالنسبة للشوارع الأخرى .

بالمشابه ، ما الذي أحدث التطابق ؟ هل هي ساعة المغادرة ، طريقه ؟ ، وهل هي بشكل عام كل ظرف ميزه عن القطارات الأخرى. عندما تتوافر نفس الحالات نحصل على نفس المواد .

وهكذا ، فان المواد ليست مجردة ، لأننا لا نستطيع أن نتصور شارعا أو قطاراً خارج حقيقتها المادية دعنا نقابل النماذج السابقة مع حالة مختلفة تماما لبذلة سرقت مني ، وقد وجدتها معروضة في مخزن الملابس المستعملة . نجد هنا كياناً مادياً يتكون من مجرد مادة جامدة — القماش ، تخطيطه ، زركشاته ، الخ . فان بذلة أخرى لن تكون بذاتي بالرغم من مشابهتها لها . ولكن التماثل اللغوي لا يشبه تماثل الكساء، ولكنه يشبه تماثل القطار والشارع. في كل مرة أقول كلمة ! Gentelmen . مأنا أعيد مادتها ، كل نطق يشكل حدثا صوتيا جديدا ، وحدثا نفسياً جديداً . إن الرابط بين الاستعمالين لنفس الكلمة لا يعتمد على التماثل المادي ولا على التساوي في المعنى ، ولكن على عناصر سنكتشف فيما بعد ، والتي ستظهر الطبيعة الحقيقية للوحدات اللغوية .

ب) ما الحقيقة الوصفية ؟ إلى أي العناصر المجردة أو الحسية للغة يمكن أن ينطبق الاسم ؟ خذ كنموذج الفارق بين أقسام الكلام . ما الذي يدعم تصنيف

الكلمات إلى أسماء وصفات ،. الخ ؟ هل قسمت تحت اعتبار منطق خالص، الأساس غير اللغـــوى الذى طبق على النحو لا يشبه خطوط الطول والعرض على سطح الأرض ؟ أو هل تطابق شيئا ماله مكان فى النظام اللغوى وتتأثر به ؟ باختصار ، هل هى حقيقة وصفية ؟ يبدو الافتراض الثانى محتملا ، ولكن الأول يمكن أيضاً تنفيذه أو الدفاع عنه . فى الجملة الفرنسية : « هذه القفـــازات رخيصة ces gants sont bon marché » فهل « bon marche » صفة ؟ إنها بوضوح صفة من وجهة النظر المنطقية ، ولكن ليس من وجهة النظر النحوية . لأن « bon marche » لا تصلح لأن تكون صفة . (إنها ثابتة ، انها لا تسبق اسمها الخ) ، أضف إلى ذلك ، انها مركبة من كلمتين . والآن فان الفارق أو الاختلاف بين أقسام الكلام هو بالضبط الذى سيساعد على تصنيف كلمات اللغة .

كيف يمكن نسبة مجموعة من الكلمات إلى قسم من أقسام الكلام ؟ ولكن لنقول ان « bon » « جيد » صفة وان « marche » ، « سوق » اسم لا يفسر شيئا . اننا لهذا نتعامل مع تصنيف ناقص أو غير كامل ، ان تقسيم الكلمات إلى أسماء ، وأفعال ، وصفات . الخ ، لا يعد حقيقة لغوية غير قابلة للنقض .

إن اللغويين وفقا لذلك ، يتعاملون باستمرار مع أفكار صاغها النحويون من غير أن يعرفوا فيما إذا كانت تتطابق فعليا مع مكونات النظام اللغوى أولا . وإذا كانت وهمية فما الحقائق التى يمكن وضعها مقابلا لها .

لنتخلص من التضليلات والأوهام ، علينا أن ندرك أن الكيانات « المادية » الأساسية للغة لا يمكن الوصول اليها مباشرة . وإذا رغبنا فى الإمساك بها ، فعلينا أن نكون على اتصال مع الحقائق الصحيحة . عندما نبدأ من هناك ، نستطيع بيان التصنيفات أو الأوصاف التى يحتاجها علم اللغة لترتيب وتنسيق كل الحقائق حسب

مجالها . ومن جهة أخرى ، لاقامة تصنيف على أى شىء هذا الكيانات المادية — لنقول على سبيل المثال ، ان أقسام الكلام هى مكونات اللغة بوساطة ، لأنها تطابق الأنواع المنطقية — علينا أن ننسى أنه لا توجد حقائق لغوية منفصلة عن المادة الصوتية مقطعة إلى عناصر دالة .

ج) اخيراً ، ليست كل فكرة تناولها فى هذا الفصل تختلف بشكل أساسى عن ما سميناه فى أى مكان القيم. ان مقارنة جديدة مع مجموعة حجار الشطرنج سوف تظهر هذه النقطة . (أنظر ص ٨٨) خذ الحصان ، على سبيل المثال ، هل يشكل عنصراً بنفسه داخل اللعبة ؟ بالتأكيد ، لا . بالنسبة للمادة التى يتألف منها — خارج دائرته والأحوال الأخرى — فانها لا تعنى شيئا بالنسبة للاعب ، لقد أصبحت حقيقة ، عنصراً أساسياً فقط عندما ارتبطت بقيمة ، وأصبحت ملكا لها. افترض أن قطعة تحطمت ، أو ضاعت أثناء اللعب ، فهل يمكن استبدالها أو التعويض معادلة لها ؟ بالتأكيد . ليس بحصان آخر فقط . ولكن حتى بأى شكل يحمل أى مشابهة للحصان يمكن أن يمثل المطابق ، ويمنلك نفس القيمة المنسوبة اليه . ثم نرى أنه فى الأنظمة السيميولوجية (علم العلامات) مثل اللغة ، التى تتوقف العناصر على بعضها فى توازن تمشياً مع قواعد ثابتة ، فان مفهوم المماثلة يرتبط بمفهوم القيمة ، وهكذا ، دواليك .

باختصار ، لهذا كان مفهوم القيمة يتضمن مفاهيم الوحدة ، والكيان الأساسى أو المادى والحقيق ، ولكن إذا لم يكن هناك خلاف رئيسى بين هذه المفاهيم المتعددة. فانها تتبع ظهور المشكلة على التوالى بصور مختلفة. فيما إذا حاولنا تحديد أو تعريف الوحدة ، الحقيقة ، الكيان المادى ، أو القيمة . فاننا نعود دائما إلى السؤال المركزى ، القضية المركزية التى تسيطر على علم اللغة الاستاتيكى (الثابت)

سيكون من المفيد من وجهة النظر العملية أن نبدأ مع الوحدات، لنحدد ماهيتها، وأن نبين أسباب تنوعها بواسطة تصنيفها. انه من الضروري البحث عن سبب تقسيم اللغة إلى كلمات — لأنه بالرغم من صعوبة تحديدها، فإن الكلمة هي الكلمة التي تجبر العقل شيء مركزي في آلية اللغة — ولكن ذلك موضوع يكفي بنفسه لشغل كتاب. وبالتالي علينا أن نصنف أو نصف الوحدات المساعدة، ثم الوحدات الأكبر، الخ. بتحديد العناصر التي تعالج بهذه الطريقة، فان علم اللغة الوصفي سيؤدي دوره أو عمله بشكل كامل، لأنه سيربط كل الظواهر الوصفية بأساسها الرئيسي. لا يمكن القول أن هذه المشكلة الأساسية ستبقى في المواجهة بشكل واسع، أو ان مظهرها وصعوبتها قد فهمت، في مسألة اللغة، فان الناس يقبلون دائما بالوحدات غير المحددة تماما. ولايزال، بالرغم من أهميتها العظيمة، من الأفضل الاقتراب من مسألة الوحدات من خلال دراسة القيمة، من وجهة نظري — القيمة لها الأهمية الرئيسية أو الأولى.

الفصل الرابع

القيمة اللغوية

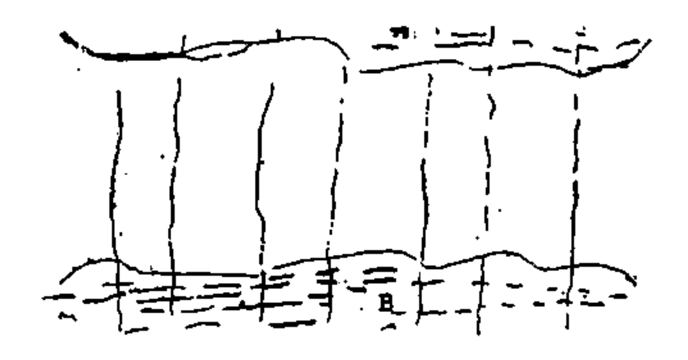
١ - اللغة كتنظيم ثنائي من فكرة وصوت :

لإثبات أن اللغة ليست إلا نظاماً من القيم الخالصة ، فانه يكفي أن نأخذ بالاعتبار العنصرين المتحدين في أدائها لوظيفتها « Functioning » : الأفكار والأصوات . ان أفكارنا من ناحية نفسية - منفصلة عن التعبير عنها في كلمات - ما هي إلا كتلة مشوشة وغير واضحة . يتفق الفلاسفة واللغويون دائماً على الاعتراف بأنه من غير الاستعانة بالعلامات ، فاننا لا نستطيع عمل فواصل واضحة وفارق ثابت بين فكرتين .

بدون اللغة تعد الفكرة شيئاً غامضاً ، وسحابة مجهولة ، لا وجود لما يسبق الأفكار ولا شيء واضح قبل ظهور اللغة . مقابل العالم العائم للأفكار ، هل تستطيع الأفكار بأنفسها تقديم الكيانات أو المواد سابقة التحديد ؟ لا يوجد أكثر من الأفكار . ان المادة الصوتية ليست أكثر ثباتاً ولا صلابة من الفكرة ، انها ليست قالباً يجب أن تكون بالضرورة قدر الأفكار ولكنها مادة مطاوعة تنقسم بالتالي إلى أقسام واضحة مميزة لتزود الدوال « Signifiers » المطلوبة بالفكرة . ولهذا يمكن تصور الحقيقة اللغوية في مجموعها الكلي أعني اللغة على شكل مجموعة أجزاء صغيرة متجاورة على جانبي الخطا غير المحددة من أفكار مختلطة

« A » والخطة الغامضة المساوية من الأصوات « B » .

الشكل التالى يعطى فكرة جامدة عنها :



إن الدور المميز للغة مع مراعاة الفكر، ليس خلق معان صوتية مادية لتحقيق الأفكار . ولكن لتعمل كرابط بين الفكرة والصوت تحت ظروف تسبب بالضرورة التحديدات المتبادلة للوحدات .

الفكر ، مشوش طبيعيا ، لابد أن ينضم فى التقدم فى تحليله inthe process of its decomposition ان الأفكار لا تعطى الشكل المادى ولا الأصوات تتحول إلى كيـــانات أو مواد عقلية ، ان الحقيقة الغامضة إلى حد ما هى الأصح أن ، الفكرة ــ الصوت ، تتضمن أو تقتضى التقسيم . وأن اللغة تعمل خارج وحداتها بينها تأخذ شكلا بين كتلتين مشوشتين .

تصور علاقة الهواء مع سطح الماء ، فإذا تغير الضغط الجوى ، فإن سطح الماء سينفجر إلى مجموعة من الأجزاء ، أمواج ، الأمواج تشبه وحدة أو ثنائية الفكرة مع المادة الصوتية ، اللغة يمكن أن تدعى ميدان الألفاظ، استعمال الكلمة،

كما حددت سابقا (أنظر ص ١٠) . كل مصطلح لغوى يعد عضوا ، اللفظ الذى تركزت فيه الفكرة فى صوت ، والصوت الذى أصبح علامة على الفكرة .

ويمكن مقارنة اللغة ، بصحيفة من من الورق : الفكرة وجه الورقة والصوت خلفها ، لا يستطيع المرء قطع وجه الورقة من غير أن يقطع خلفها فى نفس الوقت . نفس الشىء فى اللغة ، فان المرء لا يستطيع فصل الصوت عن الفكرة ولا الفكرة عن الصوت ، يمكن عمل القسمة فقط بشكل تجريدى ، والنتيجة ستكون إما نفسية خالصة أو صوتية خالصة .

علم اللغة يعمل بين المنطقتين أى فى منطقة الحدود عند تجمع الصوت والفكرة فان تجمعها ينتج صيغة وليس مادة . هذه الصور تعطى فيهما أفضل لما قيل قبل (أنظر ص ٦٧ وما بعدها) حول اعتباطية العلامات . ليس فقط لأن الحقلين المرتبطين بالحقيقة اللغوية مشوهان ومختلطان ، ولكن لأن اختيار شريحة محددة من الصوت لتعبر عن فكرة محددة هى اعتباطية تماماً .

إذا لم يكن هذا صحيحا ، فان مفهوم القيمة سيكون عائلا ، لأنه سيتضمن افتراض عنصر خارجى . ولكن القيم الحقيقية تبقى كلية النسبية (أو متصلة تماما) ، ولهذا كان الرابط بين الفكرة والصوت جذرى الاعتباطية .

إن الطبيعة الاعتباطية للعلامة تفسر بالتالى سبب قدرة الحقيقة الاجتماعية منفردة على ابتكار نظام لغوى . ان الجماعة ضرورية إذا ما القيم التى تعود فى وجودها لمجرد الاستعمال والقبول العام كانت بحاجة إلى ترتيب .

إن الفرد بنفسه غير قادر على تثبيت أو تحقيق قيمة واحدة . أضف إلى ذلك أن فكرة القيمة ، كما حددت ، تبين أنه إذا اعتبرنا المصطلح اتحاداً بسيطا بين

صوت محدد وفكرة محددة يعد خطأ فادحا ولتحديدا بهذه الطريقة سوف ينفصل المصطلح عن نظامه ، انها تعنى الافتراض بأنه يمكن أن نبدأ من المصطلحات ، ونبنى النظام بجمعها مع بعضها بعضا ، عندما — بالمقابل — تكون من الاشكال الكلى على بعضها البعض الذى تكون من عنده البداية ، وتحصل على عناصرها من خلال التحليل .

ولتطوير هذا البحث ، فاننا سندرس القيمة على التوالى من وجهة نظر المدلول أو الفكرة (الباب الثانى) ، ومن وجهة نظر الدال (الباب الثالث) والعلامة الكاملة (الباب الرابع) ، كوننا غير قادرين على تحجيم (بيان حجم) الكيانات أو المواد الاساسية أو الوحدات اللغوية مباشرة ، فاننا سنتعامل مع كلمات . بينما لا تتطابق الكلمة تماما مع تعريف الوحدة اللغوية (أنظر ص ١٠٥) انها على الأقل تحمل شبها ليس تاما للوحدة وتفضلها فى صحيتها ، وبناء على هذا ، سنستخدم الكلمات ، كأجزاء مساوية للمصطلحات الحقيقية فى النظام الوصفى ، والأسس التى نستنبطها بمساعدة الكلمات ستكون صالحة للمواد أو الكيانات بشكل عام .

٢ . القيمة اللغوية من وجهة النظر الفكرية (المفهومية Conceptual) :

عندما نتكلم عن قيمة الكلمة ، فاننا بشكل عام نفكر أولا فى خصوصية تمثيلها لفكرة ، وهذا فى الحقيقة أحد جوانب القيمة اللغوية . ولكن إذا كان هذا صحيحا ، فما الفرق بين القيمة والمعنى ؟ هل يمكن أن تكون الكلمتان مترادفتين ؟ لا أعتقد ذلك ، كما أنه من السهل الخلط بينهما ، لأن الخلط لا يتحقق فقط من تشابههما بقدر ما يتحقق من دقة الفارق الذى تشيران اليه . .

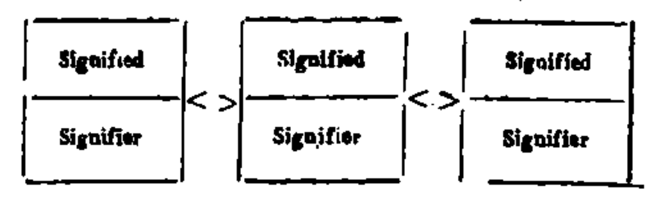
من وجهة النظر الفكرية ، فإن القيمة من غير شك عنصر واحد من عناصر المعنى ، ومن الصعب أن نرى كيف يكون المعنى معتمداً على القيمة ، ويبقى متميزاً عنها. ولكن علينا أن نوضح القضية أو نخطر اختصار اللغة إلى عملية اسمية بسيطة (أنظر ص ٦٥) .

دعنا أولا ، نأخذ المعنى كما هو مفهوم بشكل عام ، وكما صور فى ص ٦٧. كما تبين الاسهم فى الرسم ، فانه ليس إلا قسيم الصورة الصوتية . كل شيء يحدث ولا يتضمن إلا الصورة الصوتية ، والفكرة ، عندما تنظر إلى الكلمة كوحدة مستقلة متمتعة باكتفاء ذاتى .

المدلول / الدال	Signified / Signifier

ولكن يوجد هنا تناقض ظاهرى : تبدو الفكرة من جهة ، على أنها القسيم الصوتية . ومن جهة أخرى ، فالعلاقة نفسها بالتالى تشكل القسيم العلامات اللغوية الأخرى .

اللغة نظام من المصطلحات المتداولة (ذات الاتكال المتبادل) التى تحقق قيمة كل مصطلح فيه معزولا عن الحضور المتزامن للمصطلحات الأخرى . كما يوضحه الرسم .



كيف يمكن بعد هذا أن نخلط بين القيمة والمعنى القسيم للصورة الصوتية ؟ انه يبدو من المستحيل تشبيه العلاقة الحاصلة هنا بواسطة الأسهم الأفقية بتلك الحاصلة قبل (ص ١١٤) بواسطة الأسهم العمودية . و بوصفها بصورة أخرى — نأخذ مرة ثانية نموذج صحيفة الورق التى قطعت نصفين ص ١١٣ — فانه من الواضح أن العلاقة الملحوظة بين القطع المختلفة A, B. C, D, etc. متميزة عن العلاقة بين وجه كل قطعة وخلفها فى A/ A', B/ B', etc.

لحل المسألة ، دعنا نلاحظ من البداية أن كل القيم التى من خارج اللغة محكومة بوضوح ، بنفس أساس التناقض الظاهرى . انها دائما مركبة :

(١) من شىء متخالف يمكن أن يتحول إلى الشىء الذى تحدده القيمة ، و

(٢) من أشياء متماثلة يمكن مقارنتها مع الشىء الذى تحدده القيمة .

كلا العاملين ضروريان لوجود القيمة . حتى نحدد قيمة قطعة الخمس فرنكات، لهذا المرء أن يعرف :

(١) أنه يمكن استبدالها أو تحويلها إلى كمية مساوية من شىء مختلف ، على سبيل المثال ، خبز .

(٢) يمكن مقارنتها بقيمة مماثلة من نفس النظام ، على سبيل المثال ، بقطعة من ذات — الفرنك الواحد ، أو بنقود من نظام آخر (الدولار) ، بنفس الطريقة يمكن تحويل الكلمة إلى شىء مخالف ، إلى فكرة مثلا ، بجانب هذا ، يمكن مقارنتها بشىء له نفس الطبيعة ، بكلمة أخرى مثلا . فان قيمتها لهذا ، السبب ، ليست ثابتة (محددة) طالما نقول ببساطة انه يمكن استبدالها بفكرة محددة ، أعنى ، أن لها هذا المعنى أو ذاك : ولا بد من مقارنتها بقيم

مماثلة مع كلمات أخرى تقف على النقيض منها . ان محتواها يثبت فقط بتعاون كل الأشيـــاء التي توجد خارجها . كونها جزءا من النظام فهي لا تمتلك معنى فقط ولكن أيضا وبشكل خاص تمتلك قيمة ، وهذا شيء مختلف تماما .

بعض الأمثلة سوف تبين بوضوح أن هذا صحيح . ان الكلمة الفرنسية الحديثة " mouton " تستطيع أن تعبر عن نفس معنى الكلمة الانجليزية " Sheep " ولكن لا تحمل نفس القيمة ، وهذا لعدة أسباب ، بشكل خاص ، لأنه عند الكلام عن قطعة من اللحم ، جاهزة لتقديمها على المائدة يستعمل الانجليز لفظة « mutton » ولا يستعملون « sheep » .

اختلاف القيمة بين sheep and mouton راجع إلى حقيقة أن كلمة « Sheep » يوجد في الاستعمال معها مصطلح ، بينما لا يوجد في الفرنسية غير هذه الكلمة .

في داخل اللغة الواحدة تستعمل كل الكلمات لتعبر عن أفكار مترابطة تحدد بعضها بعضا بالتبادل ، المترادفات مثل الكلمات الفرنسية « خيف redouter » و « خوف Craindre » و « avoir peur » لاقيمة لها إلا من خلال تعارضها أو تناقضها :

لو لم توجد كلمة redouter فان كل محتواها سينتقل إلى الكلمة المنافسة أو المزاحمة لها ، بالمقابل ، تزداد قيمة بعض الكلمات من خلال اتصالها بالاخريات : على سبيل المثال ، العنصر الجديد الذى أتج في كلمة

décrédit (un vieillard decrepit, " seep 83 ").

تحقق من مصاحبتها فى الوجود لكلمة (un mur décrépt) . إن القيمة لأى مصطلح تتحدد تبعا للظروف المحيطة بها . إنه من المستحيل التحديد التـام لقيمة الكلمة التى تدل على « الشمس sun » من قبل أن تأخذ فى الاعتبار أولا ما يحيط بها : لا يمكن فى بعض اللغات القول « اجلس فى الشمس sit in the sun » .

كل ما قيل عن الكلمات ينطبق على أى مصطلح لغوى ، على سبيل المثال ، بالنسبة للمواد النحوية . ان قيمة الجمع الفرنسى لا تتوافق مع الجمع الفرنسى ، بينما يتطابق معناهما عادة ، يوجد فى السنسكريتية ثلاثة أعداد (مفرد ، مثنى ، جمع) بدل عددين (عيناى ، أذناى ، ذراعاى ، قدماى)

(my eyes, my ers, my arms, my legs, etc) .

فن الخطأ اعطاء نفس القيمة للجمع فى السنسكريتية ، وفى الفرنسية ، فقيمته تعتمد بوضوح على ما هو خارجه وما يحيط به ، إذا كانت الكلمات ترمز إلى أفكار موجودة من قبل ، فانها يجب أن تحمل معانى متساوية تماما ، مهما اختلفت اللغة ، ولكن هذا ليس صحيحا ، فالفرنسية تستعمل « يؤجر

Lauer (une maison) let (ahowse)

بشكل حيادى أو غير متحيز لأحد المعنيين « ادفع pay for » و « خذ المبلغ ل receive payment for » ، بينما تستعمل الألمانية الكلمتين : « mieten and vermieten » ، لا يوجد هناك بوضوح تطابق تام القيم . الفعلان الألمانيان schätzen and urteilen تتقاسم عدد من المعانى ، ولكن التطابق لا يحصل فى عديد من الجوانب . يقدم التصريف (الصرف) بعض الأمثلة المحددة الخاصة . الفوارق الزمنية ، التى تعد مألوفة بالنسبة

لنا ، غير معروفة فى بعض اللغات . فالعبرية لا تعرف حتى الفوارق الأساسية بين الماضى والمضارع والمستقبل . والألمانية الأصلية لا يوجد فيها صيغة خاصة تدل على المستقبل ، والقول بأن الحاضر يعبر عن المستقبل ، يعد خطأ ، لأن قيمة المضارع فى الألمانية ليست مثل قيمته فى اللغات التى يوجد فيها مستقبل بجانب المضارع . ان اللغات السلافية بانتظام تبرز مظهرين للفعل : الفعل التام ، وهو يمثل الحدث ، كجانب كامل فى مجمله ، والفعل الناقص يمثله كبديل ، وعلى امتداد الزمن . إن الأنواع يصعب فهمها على الرجل الفرنسى ، لأنها غير معروفة فى الفرنسية ، وإذا كانت مقدرة سلفاً ، فان هذا ليس بصحيح . بدل الوجود القبلى الأفكار ، فاننا نجد فى جميع الأمثلة السابقة قيما تنبعث من النظام ، عندما قيلت لتطابق الأفكار فهمت على أن الأفكار مختلفة تماماً ، وأنها حددت ليس بواسطة محتواها الايجابى ولكن سلبيا بعلاقاتها بالمصطلحات الأخرى للنظام .

إن أهم صفة مميزة لها كونها خلاف الأخريات . والآن فان التفسير الحقيقى لشكل العلامة أصبح واضحا .

Signified " to judge "
Signifier Juger

هكذا ، تعنى أن فكرة « يحــكم Juger ، الفرنسية مرتبطة بالصورة الصوتية « Juger » . باختصار إنها ترمز إلى المعنى ، لكنه من الواضح تماما أن الفكرة من جهة أولية ، ليست شيئا ، لانها ليست إلا قيمة محددة بعلاقاتها مع القيم الأخرى المماثلة ، وبدون هذه القيمة والعلاقات فان المعنى لن يتواجد . إذا قلت ببساطة ان الكلمة تعنى شيئا ما عندما يكون فى فكرى تجمع من الصورة الصوتية والفكرة . انا أقوم بصياغة عبارة من الممكن أن تبين ما يحدث عادة ، ولكننى لا أوضح بأى شكل من الأشكال الحقيقة اللغوية فى جوهرها و تمامها .

٣ ـ القيمة اللغوية من وجهة النظر المادية :

إن الجانب الفكرى للقيمة ، مؤلف من مجرد علاقات واختلافات مع الأخذ بالاعتبار المصطلحات الأخرى للغـــة ، ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لجانبها المادى .

إن الشيء المهم فى الكلمة ليس الصوت وحده ، ولكن الاختلافات الصوتية التى تجعل بالامكان تمييز هذه الكلمـــة عن كل ما عداها من الكلمات ، لأن الاختلافات تحمل معنى، قد يبدو هذا غريبا ، ولكن كيف ـ حقا ـ يكون العكس ممكنا ؟

إذا كانت إحدى الصور الصوتية ليست أكثر ملاءمة من الأخرى لما لها من سلطة التعبير ، فن الواضح ، حتى فى الأسبقية ، لأن تقسيم اللغة أو تجزيئها لايمكن أن يقوم فى التحليل النهائى على أى شيء إلا على عدم التوافق مع البقية . إن الاعتباطية والاختلاف صفتان متلازمتان . ان تغير العلامات اللغوية يبين هذا بوضوح .

إنها دقيقة لأن المصطلحين « a » و « d » فى حد ذاتها لا يستطيعان جذرياً الوصول إلى مستوى الوعى والإدراك — لأننا لا ندرك دائما إلا الاختلاف بين a/b — لأن كل مصطلح حرفى تفرده أبداً القوانين التى لا علاقة لها بوظيفته الدلالية .

لا توجد علاقة ايجابية تميز الجمع المجرور فى كلمة žen czech (أنظر ص ٨٦) . . ولا تزال الصيغتان zen : zena تؤديان تماما نفس العمل الذى تؤديه الصيغتان القديمتان zena zen̆d ، وان لفظة žen لهـــا قيمة لأنها مختلفة فقط .

هذا مثال آخر يبين بوضوح أكثر الدور التنظيمى (systematic role للاختلافات المنغمة الصوتية : ز اليونانية كلمة « ephen » تعد ناقصة , فعلا ناقصا) ، و « an e rist esten » بالرغم من أن الكلمتين قد صيغتا بنفس الطريقة ، الأولى تتبع نظام المضارع الدال على phēmi أقول « بينما لا يوجد مضارع stēmi ، والآن تكون العلاقة على وجه الضبط Phēmi : éphēn تطابق العلاقة بين المضارع والناقص (قارن: deikumi edéiknūn) ان وظيفة العلامات بعد ذلك لا تكون من خلال قيمتها الذاتية ، ولكن من خلال موقعها النسبى . أضف إلى ذلك ، أنه من المستحيل على الصوت وحده ، العنصر المادى ، الاختصاص باللغة ، انه شىء ثانوى ، فقط . انه مادة جاهزة للاستعمال . كل قيمنا التقليدية تتميز بعدم اختلاطها مع العنصر الحسى الذى يدعمها . على سبيل المثال ، ليس المعدن الموجود فى قطعة النقود هو الذى يحدد قيمتها . ان القطعة التى تحمل قيمة اسمية قدرها خمسة فرنكات يمكن أن تحتوى على أقل من

اصف قيمتها من الفضة . ان قيمتها ستختلف تبعا للمبلغ المطبوع عليهـا ، وتبعا لاستعمالها داخل وخارج الحدود السياسية . ، وهذا يصدق تماما على الدال اللغوى الذى لايعد صوتيا ، ولكن معنويا — لايتكون من جوهره المادى ولكن من الاختلافات التى تبرز صورته الصوتية عن كل الصور الأخرى .

إن الأساس السابق يعد أساسيا لأنه ينطبق على كل العناصر المـادية اللغة بالاضافة إلى الوحدات الصوتية (الفونيمات) . تشكل كل لغة كلماتها بنـاء على قواعد من نظام من عناصر « Sonorous » مصوتة ، يكون كل عنصر فيها وحدة محددة واضحة ، وأحد الوحدات الثابتة العدد . ان الوحدات الصوتية لاتتميز ، كما يمكن أن يعتقد ، بصفتها الايجابية ، ولكن بواسطة الحقيقة التى توضحها الوحدات الصوتية والوحدات الصوتية هى بالاضـافة إلى كل التناقضات الأخرى ، نسبية ، ومواد أو كيانات سلبية .

الدليل على ذلك هو المدى الذى يمكه المتكلمون بين نقاط التقارب فى نطق الأصوات المتميزة . فى الفرنسية على سبيل المثال ، الاستعمال العام لصوت « r » الترددية لم يمنع كثيراً المتكلمين من استعمال تردد نهاية اللسان . انها لم تصب اللغة بأى اضطراب . ان اللغة لا تتطلب إلا أن يكون الصوت مختلفـا ، وليس ، كما يمكن أن يتصور المرء أن لها صفة الثبات . أستطيع أن أنطق صوت « r » الفرنسى مثل صوت « ch » الألمـانى فى الكلمتين Bach, doch, etc. ولكن فى الألمانية لا أستطيع استعمال « r » بدل « ch » ، لأن الألمانية تميز بين العنصرين ويجب أن يحافظ على انفصالها .

بالمشابه ، لا يوجد فى الروسية مدى لصوت « t » فى مقابل « t » (صوت « t » الحنكية) ؛ لأن النتيجة ستكون اختلاط الصوتين اللذين تفرق بينهما اللغة

(قارن : « يتكلم govorit » ، و « govorit » ، ولكن تكون الحرية أكثر إذا نظرنا إلى « th » (الـ « المهموسة) لأن هذا الصوت ليس له شكل أو لم يصور فى نظام الوحدات الصوتية الروسية .

حتى الحالة المماثلة لهذه الأمور ملحوظة فى الكتابة ، نظام آخر من العلامات ، سوف نستخدم الكتابة لنبين بعض المقارنات التى توضح المسألة كلها أو جميع البحث .

فى الحقيقة :

١) العلامات المستخدمة فى الكتابة اعتباطية ، لا يوجد رابط — على سبيل المثال — بين حرف الـ « t » والصوت الذى تتضمنه (تعبر عنه) .

٢) إن قيمة الحروف سلبية تماما ومختلفة . فإن نفس الشخص يستطيع كتابة حرف « t » — على سبيل المثال — بصور مختلفة :

t   [illegible]   t

الشرط الأساسى أن لا تختلط علامة « t » فى كتابتها مع العلامات المستخدمة فى كتابة ‎l, d; etc.‎

٣) القيم فى الكتابة ، لا تؤدى وظيفتها إلا من خلال التناقض المتبادل داخل نظام محدد يحتوى على عدد معين من الحروف . هذه الميزة الثالثة التى لا تتطابق مع الميزة الثانية مرتبطة بها تماما ، لأن كلاهما يعتمد على الأولى . ولما كانت العلامة اعتباطية فإن شكلها لا يؤثر كثيرا ، أو لا يؤثر إلا داخل الحدود التى يفرضها النظام .

ء) إن الوسيلة التي أنتجت بواسطتها العلامة لا تشكل أى أهمية ، لأنها لا تؤثر في النظام ، (هذا تابع للميزة الأولى). سواء عملت الحروف بالاسود أو بالابيض ، بارزة أو محفورة ، بقلم حبر أو ازميل - كل هذا ليس مهما بالنسبة لمعانيهـــا .

٤ - تقدير العلامة في مجملها The sign considered in its totality

كل ما قيل حول هذه النقطة يصب في هذه : لا يوجد في اللغة إلا الاختلاف . والامر الأكثر أهمية : ان الاختلاف بشكل عام يقتضي ضمنا مصطلحات ايجابية بين ما يقرره أو يحدده الاختلاف ، ولكن لا يوجد في اللغة إلا اختلافات بدون مصطلحات ايجابية .

سواء أخذنا المدلول أو الدال ، فان اللغة لا تملك أفكارا ولا أصواتا سابقة في وجودها النظام اللغوي ، ولكن هناك فقط اختلافات صوتية وفكرية ناجمة عن النظام . ان الفكرة أو المادة الصوتية التي تحتوي عليها العلامة أقل أهمية من العلامات الأخرى التي تحيط بالعلامة . والدليل على هذا ، أن قيمة المصطلح يمكن أن تتغير من غير أن يتأثر معناها أو صوتها ، فقط بسبب تغير المصطلح المجاور (أنظر ص ١١٥) .

ولكن مقولة ان كل شيء في اللغة سلبي صحيحة فقط إذا أخذ بالاعتبار أن المدلول والدال منفصلان ، وعندما ننظر إلى العلامة في مجموعها فاننا نجد شيئا ايجابيا في نوعها . ان النظام اللغوي مجموعة من الاختلافات الصوتية مركبة مع مجموعة من الأفكار المختلفة . ولكن اقتران عدد معين من العلامات السمعية مع عدد مماثل من الفواصل المؤلفة من كتلة فكرية تولد نظاما من القيم ، ويعمل هذا النظام كرابط مؤثر (فعال) بين العناصر الصوتية والنفسية داخل كل

علامة . كما أن المدلول والدال مختلفان تماما وسلبيان عندما ينظر إليهما – كل
على حدة .

إن مجموعها حقيقة ايجابية ، انها النوع الوحيد من الحقائق الذى تملكه اللغة ،
لأن احداث التوازن بين نوعى الاختلافات هو الوظيفة المميزة للمؤسسة اللغوية.
ان الحقائق التاريخية الأخرى تعد نموذجية بهذا المعنى . هناك أمثلة لا يمكن
حصرها يكون فيها تغير الدال متماشيا مع التغير الفكرى . وعندما يتضح أن
كمية الأفكار المتميزة تطابق فى الأساس كمية العلامات المميزة عندما تختلط كلمتان
عبر التغير الصوتى (على سبيل المثال French decrepit from decrepitus
and decrepi from Crispus ، فان الأفكار التى تعبران عنها سوف
تتجه إلى الاختلاط أيضا ، إذا كان بينهما شىء مشترك فقط ، أو إذا كان لكلمة
صيغتان مختلفتان (قارن : «مقعد» and chaire «كرسى chaise» ، أى
خلاف ناشىء جديد سوف يتجه بثبات ليصبح دالا ، ولكن من غير نجاح دائم
أو لا يتحقق نجاحه من التجربة الأولى . بالمقابل ، أى خلاف فكرى يدرك
بالعقل يسعى لإيجاد تعبير من خلال دال مميز ، والفكرتان اللتان لاتتميزان بدقة
فى العقل تتجهان للاندماج تحت نفس الدال .

عندما نقارن العلامات – المصطلحات الايجابية – مع بعضها البعض ،
فاننا لا نستطيع الاستمرار فى الكلام عن الاختلاف ، فالتعبير سوف لا يكون
ملائما ، لأنه لا ينطبق إلا على مقارنة صورتين صوتيتين ، على سبيل المثال
father and mother ، أو فكرتين ، على سبيل المثال ، فكرة « father »
وفكرة « mother » ، علامتان لكل منها مدلول ودال ، ليستا مختلفتين ، ولكنهما
متميزتان . لا يوجد بينهما إلا التناقض . إن الآلية « mechanism » الكلية

اللغة ، التي سنهتم بها فيما بعد ، تقوم على تناقضات من هذا النوع وعلى الاختلافات الصوتية والفكرية التي تتضمنها .

إن ما يصح على القيمة ، يصح أيضاً على الوحدة (أنظر ص ١١٠ ومابعدها) . ان الوحدة جزء من السلسلة الكلامية التي تماثل فكرة محددة . كلاهما - طبيعيان - مختلفان تماما .

بتطبيقه على الوحدات ، فان أساس التفريق يمكن أن يقال بهذه الطريقة :

إن مميزات الوحدة ترتبط بالوحدة نفسها . في اللغة كما هو في أى نظام قائم على العلامات ، فان ما يميز علامة عن غيرها هو مابينها . ان الاختلاف يصنع الميزة تماما كما يصنع القيمة والوحدة .

هناك نتيجة متناقضة ظاهريا أكثر من نفس الأساس هي هذه :

في التحليل الأخير ، فان ما هو مدرك يعود وكأنه حقيقة نحوية تناسب تعريف الوحدة ، لانها تحقق دائما تناقض المصطلحات ، انها تختلف فقط لان التناقض يكون بشكل خاص ، دال (على سبيل المثال ، صيغة الجموع في الالمانية من نوع : Nacht : Nächte) كل مصطلح يظهر في الحقيقة النحرية (ان الفرد بدون تغير على (umlaut) أو ، e ، النهائية في مقابل الجمع ، مع وجود تغير على ، umlaut ، و ، e ، النهائية) يتكون من تفاعل عدد من التناقضات داخل النظام . عند فصلها ، فانه لا Nacht ولا Nachte تشكل شيئا : هكذا كل شئ متناقض بعضها بطريقة أخرى ، يمكن التعبير عن العلاقة بين Nacht : Nächte برموز جبرية a/b التي لاتعد الرمزان : ، a ، و ، b ، مصطلحين بسيطين . ولكن نتيجة من مجموعة من العلاقات . اللغة إلى حد ما في

الكلام ، نوع من الجبر (علم الجبر) مكون كتابة من مصطلحات مركبة . بعض تناقضاتها أكثر دلالة من الاخرى ، ولكن الوحدات والحقائق النحوية ليست إلا أسماء مختلفة لبيان الاتجاهات المختلفة لحقيقة عامة واحدة : الدور الوظيفى للتناقضات اللغوية . هذه العبارة أو المقولة صحيحة . لانها يمكن أن تقرب بشكل كبير مشكلة الوحدات . وذلك بالابتداء من الحقائق النحوية . خذ التناقض Nacht : Naechte . من الممكن أن نسأل ، ما الوحدات التى تتضمنها أو المستخدمة فيها . هل هما الكلمتان فقط ، كل سلسلة الكلمات المماثلة (a and ä) ، أو كل صيغ المفرد والجمع ، إلخ ، ان الوحدات والحقائق النحوية سوف لاتكون مختلطة أو مشوشة إذا كانت العلامات اللغوية مكونة من شىء ما بالاضافة إلى الاختلافات .

ولكن حتى تتحقق ماهية اللغة ، سوف لابد شيئا بسيطا فيها ، بصرف النظر عن طريقتنا ، ودائما يكون هناك نفس التركيب المتوازن من المصطلحات التى تتبادل التأثير فيما بينها . وننظر اليها بطريقة أخرى ، اللغة صيغة وليست جوهراً ماديا (أنظر ص ١١٣) .

هذه الحقيقة لاتستطيع أن تكون متشددة (قوية) ، لان كل الاخطاء فى علم مصطلحاتنا وكل أساليبنا الخاطئة فى تسمية الاشيا التى تخص اللغة ناشئة من الافتراض الاولى وهو أن الظاهرة اللغوية لابد أن يكون لها جوهر مادى .

الفصل الخامس

العلاقات المرافقة والسياقية

التعـــريفات :

فى الحالة اللغوية (الثبات اللغوى) كل شىء يقوم على العلاقات . كيف تؤدى هذه العلاقات وظيفتها ؟ ان العلاقات والاختلافات بين المصطلحات اللغوية تقع فى مجموعتين متميزتين ، يتولد من كل منها نوع معين من القيم . والتناقض بين النوعين يعطينا فهما جيدا لطبيعة كل نوع . انها يتطابقان مع شكل نشاطنا العقلى اللذين لا غنى عن أى منهما لحياة اللغة .

فى المحادثة — من الجهة الأولى — تكتسب الكلمات علاقات قائمة على الطبيعة الطولية (linear) للغة لأنها مرتبطة بسلسلة مع بعضها . هذا ينفى إمكانية نطق عنصرين معا (أنظر ص ٧٠) .

إن العناصر مرتبطة بالتتابع بناء على السلسلة الكلامية . ان التركيبات أو التجمعات المدعمة طوليا هى السياقات « Syntagms » يتألف السياق دائما من وحدتين أو أكثر مترابطة منطقيا (على سبيل المثـــال : عند كل شخص Dieu est bon « الله خير » French re-lire « يعيد القراءة » contre tous , الحياة البشرية « la vie humaine » « إذا كان الجو جميلا سأخرج » s'il fait beau temps, nous sortirons etc.)

من خلال السياق يكتسب المصطلح قيمته فقط ، لأنه يتناقض مع كل شىء

سابق أو لاحق له أو لكليهما . خارج المحادثة — من جهة أخرى — تكتسب الكلمات علاقات من نوع مختلف . فالكلمات التي يوجد بينها شيء مشترك ، تكون مترافقة في الذاكرة تتحقق في مجموعات متميزة بعلاقات مختلفة . على سبيل المثال ، الكلمة الفرنسية « التعليم » enseignement ، تستدعي من غير وعي منه في الكلمات الأخرى : (« وقوات حربية etc, or armement ، و « يعرف » renseigner و « يعلم » enseigner و « التدريب على صنعة » apprentissage etc, or éducation و « تعديل وتحسين » changement .

كل تلك الكلمات مترابطة بطريقة ما . نلاحظ أن التناسقات المشكلة خارج المحادثة تختلف بشدة عن تلك التي تشكلت داخل المحادثة . تلك التناسقات المشكلة خارج المحادثة غير مدعومة طوليا .

١) ليس من الضروري أن نشير إلى أن دراسة السياقات يجب أن لا تختلط بالتركيب « Syntax » ، لأن التركيب ما هو إلا جزء من دراسة السياقات (أنظر ص ٣١ وما بعدها) « المؤلف » .

إن مكانها الدماغ ، انها جزء من المخزون الداخلي الذي يؤلف لغة كل متكلم ، تلك هي علاقات المرافقة .

إن العلاقات السياقية تكون موجودة في الزمن الحاضر in praesentia ، انها تقوم على مصطلحين أو أكثر يكون لها بروز ظاهر في مجموعة فعالة . مقابل هذا ، العلاقات المرافقة توحد المصطلحات (في الماضي أو في حالة غيابها in absentia) في مجموعة متعلقة بالذاكرة بالقوة .

من وجهة النظر المرافقية والسياقية ، فان الوحدة اللغوية تشبه الجزء الأساسي

من الرأية . على سبيل المثال ، التنوذ من الجهة الأولى ، فان العمود له علاقة معينة بالعارضة أو العتبة التي تدعمه . ان ترتيب الوحدتين في الفراغ يحقق أو يوحى بالعلاقة السياقية . ومن الجهة الأخرى ، إذا كان العمود من الطراز الاغريق (Doric) فانه يوحى بالمقارنة العقلية بين هذا الاسلوب والأساليب الأخرى (الطراز الايرنى Ionic ، الطراز الكورنثى) (١) ، كما أنه لايوجد أى من هذه العناصر فى الفراغ : العلاقة تكون ترافقية .

كل من المستويين أو نوعى التناسق يستدعى أو يحتاج إلى بعض الملاحظات والتعليقات الخاصة .

٢) العلاقات السياقية :

ان الأمثلة التى عرضت فى ص ١٢٣ تدل بوضوح على أن مفهوم السياق لاينطبق فقط على الكلمات ، ولكن على مجموعات الكلمات ، على الوحدات المركبة من كل الاطوال والأنواع (المركبات ، المشتقات ، أشباه الجمل ، الجمل الكلية) .

انه لا يمكن أن نأخذ فى الاعتبار العلاقة التى تربط الاقسام المختلفة للسياق مع بعضها ، على سبيل المثال ، micontratous ، « كل واحد » and tows ؛ ضده ، « سيد ، رئيس » French contre ، « مراقب عمل » in contremaitre contre and maitre

كما يجب أن نضع فى فكرنا العلاقة التى تربط الكل بأجزائه (على سبيل المثال : contre tous فى مقابل contre من جهة ، ومقابل tous من جهة أخرى ،

---

(١) طراز البناء اليونانى .

أو contre maitre في مقابل contre ومقابل metre) .

هناك اعتراض يمكن ان يظهر على هذه النقطة . الجملة هي النموذج المثالى للسياق ، ولكنها تخص الكلام ، وليس اللغة (أنظر ص ١٤) ، هل هذا لايعني أن السياق يخص الكلام ؟ انى لا أعتقد ذلك . ان الكلام يتميز بالحرية في تركيباته، ولهذا ، يجب أن نتساءل فيما إذا كانت كل السياقات متساوية في الحرية . أولا ، انه واضح من البداية أن كثيراً من التعبيرات تخص اللغة . هذه هي العبارات الملائمة التي يمنع تغييرها بالاستعمال ، حتى لو استطعنا افراد عناصرها الدالة (قارن : ما الفائدة ؟ a quoi bon ? ، تافه ، هراء ! allons donc) .
نفس الشيء يكون صحيحا – ولكن بدرجة أقل – بالنسبة التعبيرات مثل : forcer la main ، تقبل الاهانة بسهولة ، prendre la mouche ، تقبل الاهانة بسهولة ، prendre la mouche و (a la tete, etc) or even
avoir mal و ، قوة الاندفاع ، rompre une lance
a force de (soins, etc) (العناية) وبقوة que vous en semple ?
و ، عنده صداع ، .etc ، ولاحاجة لها ، pas meet besoin de و ، كيف تشعر نحوها ؟ ، التي تتميز بغرابة المعنى والتركيب . هذه التحريفات أو التحولات الإصطلاحية لا يمكن ارتجالها ، لأنها تحمل تقاليد . هناك أيضا كلمات إذا وضعت تحت التحليل التام فانها تتميز ببعض الشذوذ الصرفي الذي بقي لمجرد سيطرة الإستعمال (قارن : ، سأموت ، etc. and mourrai ، سهولة ، beside facilité ، صعوبة ، difficulté ، سأنام ، beside dormirai .

هناك أدلة أخرى . ان الأنواع السياقية التي تقوم على الصيغ المطردة تخص اللغة أكثر مما تخص الكلام . في الحقيقة ، انه إذا لم يكن هناك شيء مجرد أو

معنوى فى اللغة ، فان الأنواع تبقى أو تتواجد فقط إذا سجلت اللغة عدداً كافيا من العينات .

عندما تظهر كلمة مثل indecorable فى الكلام (انظر ص ١٦٧ وما بعدها) فان ظهورها يفترض نوعا عدداً . ويكون هذا النوع بالتالى ممكناً فقط أثناء تذكر عدد كاف من الكلمات المماثلة التى تخص اللغة :

« لا يعرف التعب » in fatigable « لا يطاق لا يحتمل » insolerable « غير آسف » (impardonable etc.).

نفس الشىء تماما ينطبق على الجمل ومجموعات الكلمات التى تقوم على نماذج مطردة . التراكيب مثل : « ماذا يقول لك » ? que vous dit-il « العالم يدور » La terre tourne تطابق الأنواع العامة التى تكون بالتالى مدعمة فى اللغة بواسطة الذكريات الحسية . ولكن يجب أن نتأكد أنه لا يوجد فى السياق حدود فاصلة واضحة بين الحقيقة اللغوية التى تعد علامة للاستعمال الجمعى والحقيقة التى تخص الكلام وتعتمد على الحرية الفردية . انه يصعب فى كثير من الأمثلة تصنيف تركيب الوحدات ، لأن كلا القرينين قد اشتركتا فى انتاجها وقد اتحدت أو تجمعت فى أجزاء وبنسب غير محددة .

٣ ـ علاقات المرافقة :

إن الترافق العقلى ينشىء مجموعات أخرى بجانب تلك القـائمة على موازنة المصطلحات التى تملك فيما بينها شيئاً مشتركاً من خلال سيطرته على طبيعة العلاقات التى تربط المصطلحات مع بعضها . فان الفكر يخلق أو ينشىء عدداً من المجموعات المرافقية بقدر تنوع العلاقات .

على سبيل المثال ، « يعلم » enseigner ـ « تعليم » enseignement ، « تعلم » enseignons etc.

عنصر واحد هو الجذر المشترك فى كل المصطلحات ، فان نفس الكلمة قد تظهر فى مجموعات مختلفة مشكلة حول عنصر مشترك آخر ، اللاحقة (قارن :
enseignement, armement, changement, etc.)

أو الترافق الذى يمكن أن ينشأ عن الافكار الدالة .
(enseignement, instruction, apprentissage, education, etc.) .

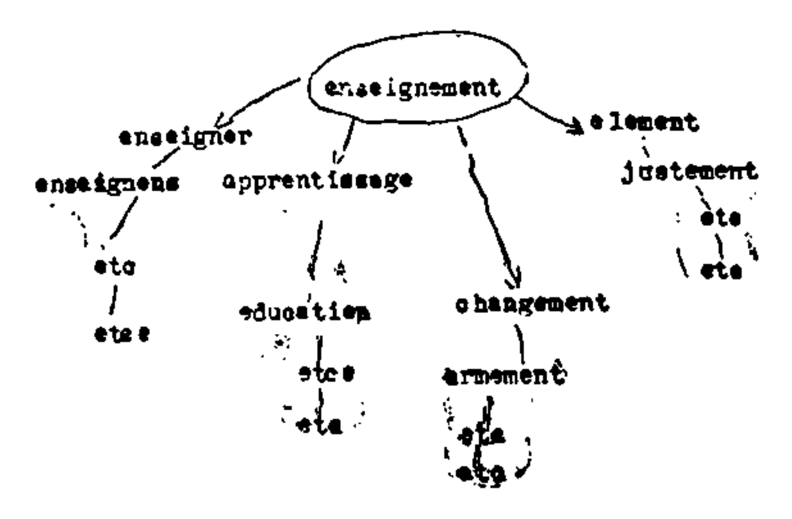
أو ثانية ، ببساطة من تماثل الصور الصوتية ، (على سبيل المثال :
(enseignement anp justement

وهكذا ، فانه يكون فى بعض الاحيان تشابه ثنائى فى المعنى والصيغة ، وفى أحيان أخرى يكون التشابه فى الصيغة أو فى المعنى فقط . ان الكلمة تستطيع أن تثير أو تستدعى كل شىء يمكن أن يترافق معها بطريقة أو بأخرى .

بينما يقدم السياق مباشرة نظاما من التتابع ، وعدداً ثابتاً من العناصر ، فان المصطلحات فى العائلة المرافقية تظهر من غير عدد ثابت ، ولا نظام محدد . إذا جمعنا الكلمات : painful, delightful; frightful, etc .

فاننا لانستطيع التنبؤ بعدد الكلمات التى تقدمها الذاكرة أو النظام الذى ستظهر به . ان الكلمة الخاصة تشبه المركز فى مجموعة من النجوم ، انها نقطة التقاء عدد غير محدد من المصطلحات المتناسقة (أنظر التوضيح ص ١٢٧) . ولكن ميزة أو خصيصة واحدة يمكن أن تتأكد أو تتحقق دائما من ميزتى المجموعات المترافقة ــ النظام غير الثابت والعدد غير المحدد ــ ، فان الثانى يمكن أن يفشل فى مواجهة الاختبار . يحدث هذا فى الجداول التصريفية أو الاشتقاقية ــ التى تعد نموذجية التجمعات المترافقة .

الكلمات الاتينية dominus, domini, domino, etc. تعد مجموعة تراتبية واضحة مشكلة حول عنصر مشترك ، وهو جذر الاسم و — domin ، ولكن المجموعات :



غير محددة كما في حالة : enseignement, changement, etc.

وعدد الحالات محدد . مقابل هذا ، الكلمات ليس لها نظام ثابت من التتابع ، وأنها تعمل باعتباطية مطلقة جعلت النحويين يجمعونها بطريقة واحدة أكثر من الأخرى ، ان حالة الرفع في أذهان المتكلمين لا تحمل معنى الأولوية في التصريف ، والنظام الذي وضعت فيه المصطلحات يعتمد على الظروف المحيطة .

الفصل السادس

آلية اللغـــة

١ ـ التكافلات السياقية :

إن مجموعة الاختلافات الصوتية والمفاهيمية التي تشكل اللغة ، تنتج أو تتحقق من نوعين من المقارنات ، تكون العلاقات مرافقية أحيانا وسياقية أحيانا أخرى. ان التجمعات في كلا النوعين هي بالنسبة لأكثر الاجزاء ثباتا في اللغـــة ، هذه المجموعة من العلاقات المشتركة تشكل اللغة وتحكم أداءها لوظيفتها . ان أكثر الأمور أهمية في التنظيم اللغوي هي التماسكات السياقية ، كل وحدات اللغة تعتمد دائماً على ما يحيط بها في السلسلة الكلامية أو على تتابع أقسامها . ويتضح هذا بواسطة صيغة الكلمة . فوحدة مثل painful تتحلل إلى وحدتين مساعدتين (pain — ful) ، ولكن هاتين الوحدتين المساعدتين ليستا قسمين مستقلين تجمعتا ببساطة مع بعضها (paintful) .

إن الوحدة لتاج تجمع عنصرين متصارتين اكتسبا قيمتها من خلال الفعل المتبادل في وحدة عالية (pain X ful) . ان اللاحقة لا تتواجد إذا نظرنا اليها مستقلة . انما يعطيها مكانا في اللغة هو مجموعة مصطلحات مشتركة مثل : delightful; fright — ful, etc. كما لايعد الجذر مستقلا . انه يبقى أو يتواجد فقط من خلال تجمعه مع اللاحقة .

في كلمة goes · laig فان العنصر — goe لا يمثل شيئا من غير لاحقته .

إن قيمة الكل تبرز من خلال أجزائه ، والأجزاء تحصل على قيمتها بالنظر في مكانها في الكل . لهذا السبب ، كانت العلاقة السياقية للجزء بالنسبة للكل لها نفس أهمية علاقة الأجزاء بعضها ببعض . هذا الأساس العام يحمل الحقيقة لكل نوع سياق ذكر قبل (أنظر ص ١٢٤ وما بعدها) لأن الوحدات الكبيرة مكونة من أكثر من وحدات محددة مرتبطة بتكاملها أو تماسكها التبادل .

والتأكيد ، فإن اللغة تملك وحدات مستقلة لها علاقات سياقية من غير الحاجة إلى أجزائها أو إلى وحدات أخرى . معادلات الجمل أو مساوياتها مثل : yes, no, thanks, etc. تعد أمثلة جيدة . ولكن هذه الحقيقة الاستثنائية لاتشكل الأساس العام .

وكقاعدة ، فإننا لانتصل من خلال علامات منعزلة ، ولكن من خلال مجموعات من العلامات ، من خلال كتل منظمة تعد هي نفسها علامات . كل شيء في اللغة يختصر أو يؤول إلى الاختلافات ، كذلك التجمعات أيضا . آلية اللغة التي تتألف من تفاعل المصطلحات المتتابعة تشبه عمل الآلة التي تتبادل فيها الأجزاء وظائفها حتى تلك المنسقة في عملها في بعد واحد :

٢ ـ الاداء الوظيفي المتزامن لنوعي التجمعات :

يوجد بين التجمعات السياقية ـ كما حددت ـ رباط من التعاون ، أنها تتبادل التحكم والتأثير فيما بينها . في الحقيقة ، الانساق الخاصة تساعد على خلق وإبداع الانساق المرافقة التي تعد ضرورية بالتالي لتحليل أجزاء السياق .

خذ المركب الفرنسي « يحل » dé — faire . نستطيع تصوره كشريط أفقي يتطابق مع السلسلة الكلامية :

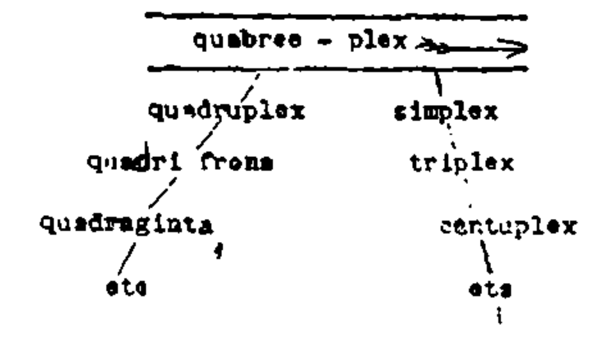
dé — faire →

. ولكن تزامنيا وبناء على عامل آخر، فان ، تواجدها ، مادون الوعي ، لان مجموعة واحدة أو أكثر من المرافقات تؤلف وحدات بينها عنصر مشترك مع السياق .

dé - faire

déceller · paire
deplacer · refaire
↓ · ↓
decoudre · contre faire
↓ · ↓
etc · etc

إذا كانت الكلمة اللاتينية plex quadru تشكل تركيبا ، لانها أيضا مدعمة بمجموعة مرافقية ثنائية :



إلى الحد الذي تقوم عليها الصيغ الاخرى defaire or quadruplex ،
فان هاتين الكلمتين يمكن تحليلها إلى وحدات مساعدة . هذه طريقة أخرى تماما
القول بأنها تراكيب سياقية . فان كلمة defaire لا يمكن تحليلها ، على سبيل
المثال ، إذا اشتملت الصيغ الاخرى على de أو أن faire اختفت من اللغة ،
فستكون وحدة بسيطة، وأن قسميها لا could not be placed inopposition

لقد أصبح واضحا الآن الدور أو الاداء الوظيفى للنظام الثانوى فى المحادثة .

إن ذاكرتنا تحتفظ بأكثر أو أقل الانواع تعقيدا من التراكيب والسياقات ،
بصرف النظر عن نوعها أو طولها ، وتعود إلى المجموعات المرافقية لتحدد
اختيارها عندما يحين وقت استعمالها .

عندما يقول الفرنسى « دعنا نمشى » ! marchon ، انه يفكر من غير وعى
فى المجموعات المختلفة للرافقات التى تتقارب أو تناسب التركيب السياقى
marchons ، الاشكال التركيبية لمجموعة ! marche ، ! marchez
والتناقض بين marchons والاشكال الاخرى التى تحدد اختياره ، بالاضافة
إلى أن كلمة ! marchons تستدعى مجموعة « دعنا نصعد » ! montons ،
« دعنا نأكل » ! mangeons .. إلخ وتختار من المجموعة بنفس الطريقة . إن
المتكلم يعرف ما عليه أن يغيره فى كل مجموعة حتى ينتج أو يحقق التنوعات التى
تناسب الوحدة المطلوبة : إذا غير الفكرة التى يريد التعبير عنها فانه سيحتاج إلى
تناقضات أخرى ليبرز أو ليحقق قيمة أخرى ، على سبيل المثال ، يمكن أن
يقول marchez ! أو من المحتمل أن يقول ! montons .

إنه لا يكفى القول – بالنظر إلى المسألة ايجابيا – ان المتكلم يختار
! marchons لأنها تدل على ما يريد التعبير عنه ، فى الحقيقة ، فان الفكرة

لاتستدعي الصيغة ، ولكن النظام الكلي الكامن الذي يجعل ضرورة التناقضات ممكنة لتشكيل العلامة .

إن العلامة لا تعني شيئا بنفسها . إذا لم يكن هناك صيغ مثل : marche ! marchez ! مقابل صيغة marchons فإن تناقضات معينة ستختفي ، وإن قيمة كلمة ! marchons سوف تتغير ، ipso facto » .

ينطبق هذا الأساس حتى على أكثر الأنواع تعقيدا من التراكيب السياقية والجمل .

لصياغة السؤال : « ماذا قال لك ؟ que vous dit - il ? » ، يغير المتكلم عنصرا واحدا من النموذج التركيبي الكامن ، على سبيل المثال ، « ماذا قال لكم ؟ que te dit-il ? » ، « ماذا قال لنا ؟ que nous dit - il » ، حتى يقع اختياره على الضمير المحدد « vous » بهذه الطريقة ، التي تتضمن تجاهل كل شيء عقلي لايساعد على ابراز الاختلافات المطلوبة في الجهة المحددة ، التجمعات المترافقة والنماذج التركيبية (السياقية) كلاهما يلعب دورا .

بالمقابل ، فإن عملية التحديد أو الملائمة والاختيار تحكم الوحدات الصغرى ، وحتى العناصر الصوتية ، كلما كانت مشتملة على قيمة ، أنا لا أفكر فقط في حالات مثل حالة الكلمة الفرنسية : « صغير» petit (الصيغة المؤنثة تكتب petit) في مقابل poti (صيغة المذكر تكتب petit) أو الكلمة اللاتينية domini في مقابل domino عندما يقوم حدوث الاختلاف على وحدة صوتية « فونيم » بسيطة ، ولكن الحقيقة الاكثر تميزا ودقة أن الوحدة الصوتية لوحدها تلعب دوراً في نظام الحالة اللغوية ، على سبيل المثال ، إذا كانت الحروف : m,P,t, etc. لاتظهر

في نهاية الكلمة اليونانية ، هذا يعني أن وجودها وعدمه في مكان محدد يعذ في بناء الكلمة وبناء الجملة .

في كل حالة مثل هذه ، فإن الصوت المفرد — مثل أي وحدة أخرى — يختار بعد تناقض عقلي ثنائي . في تصورنا لتجمع مثل anma ، على سبيل المثال ، فان صوت « m » يمثل تناقضا تركيبيا بالنسبة للاصوات المحيطة به ، وتناقضا مرافقيا لجميع الاصوات التي تخطر على الفكر :

a n m a

v

d

٣ ـ الاعتباطية النسبية والمطلقة :

إن آلية اللغة تستطيع أن تبرز من زاوية خاصة هامة أخرى . ان الاساس الرئيسي لاعتباطية العلامة لا يمنع فصلا أو فرزنا ما هو جذري الاعتباطية في كل لغة ، أعني الثابت ، وما هو نسبي الاعتباطية فقط .

بعض العلامات مطلقة الاعتباطية ، كما نلاحظ في الاخريات عدم غيابها الكلي ، ولكن وجود درجات من الاعتباطية : يمكن أن تكون العلامة باعثا نسبيا .

على سبيل المثال ، كل من الكلمتين « عشرون Vingt » ، « وتسعة عشر » dix - neuf تعدان غير باعثتين في الفرنسية ، ولكن بنفس الدرجة ، لأن تسعة عشر dixneuf تقدم أو تقترح مصطلحيها الخاصين والمصطلحات الاخرى المترافقة معها ، (على سبيل المثال ، ثماني عشر dix huit تسع وعشرون vingt-neuf تسعة neuf عشرة dix سبعون soixante - dix etc) .

خذ الكلمتين neuf   dix منفصلتين، فيما في نفس المستوى مثل «vingt»، ولكن كلمة « dix - neuf » نموذج على الباعث النسبي . نفس الشيء ينطبق على كلمة « شجرة الكمثرى » poirier ، التي تستدعي الكلمة البسيطة « كمثرى poer » ومن خلال لاحقتها ، « شجرة الكرز cerisier » ، « شجرة التفاح pommier » ، .. الخ . أما بالنسبة للكلمتين « شجرة الدردار frene » ، و « شجرة البلوط oak » ، .. الخ .

لا يوجد هناك شيء مشابه أو قابل للمقارنة . مرة أخرى ، قارن كلمة « راعي berger » التي لا تعد باعثا على الاطلاق ، وكلمة « راعي البقر vacher » التي تعد باعثا نسبيا ، الثنائيات « سجن geole » و « زنزانة cachot » ، و « فأس hache » و « ساطور couperet » ، و « بواب concierge » ، و « بواب portier » ، « منذ القدم Jadis » و « سابقاً autrefois » ، و « غالباً souvent » و « غالباً frequemment » ، و « أعمى aveugle » ، و « أعرج ويترنح (boiteux) » ، وأصم (sourd) و أحـــدب (bossu) ، ثانية (second) و ثانيا (deuxieme) .

الكلمة الألمانية (laub) و الكلمة الفرنسية (زخرف أوراق نبتة feuillage) والكلمة الفرنسية (حرفة métier) والكلمة الالمانية Handwerk . الجمع الانجليزي (ships) يوحي من خلال صياغته كل المجموعة flags, birds, books, etc بينما كلمتا men and sheep لا توحيان بشيء . في الكلمة اليونانية (سأعطي bôso عبر عن مفهوم الاستقبال بعلامة استدعت الكلمات المرافقة أو تجمع الكلمات : lúso, tüsto, tupso, etc. وكلمة eimi من جهة أخرى ، منفصلة تماما .

ليس هذا مكان البحث عن القوى التى تحدد الباعث أو الحرض فى كل مثال ، ولكن الباعث يتنوع ، انه يكـــون متناسبا أو نسبيا لتسهيل التحليل السياق ، ولتوضيح معنى الوحدات المساعدة الموجودة . فى الحقيقة ، بينما بعض عناصر الصيغة مثل :

، oer's-ier, pomm - ier, etc. مقابل -ier in poir - ier تعد واضحة ، فان الاخريات غامضة أو خالية من المعنى . على سبيل المثال ، هل اللاحقة ot - تطابق العنصر الدال فى الكلمة الفرنسية زنزانة cachot) ؟ عند مقارنة كلمات مثل :

(خردوات) platras (ركام) fatras (سيف قصـــير) coutelas
canevas (تدقيق) etc.

فان الواحد لا يملك أكثر من الشعور الغامض بأن « as - » عنصر مكون يميز الأسماء . إلى أى حد حتى فى أفضل الحالات ، فان الباعث لايكـون مطلقا أبدا .

ليس فقـــط أن عناصر العلامة الباعثة نفسها ليست باعثة (قارن : dix and neuf in dix-neuf) ولكن قيمة المصطلح الكلية لا تساوى أبدا مجموع قيم الاجزاء . فان كلمة Teach + er لا تساوى teach x er (أنظر ص ١٢٨) .

لقد فسر الباعث بواسطة الأساس الذى قرر فى الباعث الثانى section 2 ان مفهوم الباعث النسبى يتطلب :

١) تحليل مصطلح (معروف) محدد من هنا العلاقة السياقية .

د ٢) استدعاء مصطلح أو أكثر من هنا العلاقة الترافقية .

إنها الآلية التي من خلالها يعبر أي مصطلح نفسه التعبير عن الفكرة ، ولا شيء أكثر من ذلك . بالنسبة لهذه النقطة فان الوحدات تظهر كأنها قيم . أعني كعناصر النظام ، وقد أعطينا اعتبارا خاصا لتناقضاتها ، والآن نعرف أو نميز التماسكات التي تربطها ، اما الترافقية والسياقية، كأنها هي التي تحدد الاعتباطية .

لقد دعت Dix - neuf ترافقيا بواسطة dix-huit, soixante - dix, etc. وسياقيا بواسطة عناصرها Dix and neuf (أنظر ص ١٢٨) هذه العلاقة الثنائية (المزدوجة) أعطتها جزءا من قيمتها . كل شيء يتعلق باللغة كنظام — تبعا اقتناعي يجب أن يقترب من وجهة النظر هذه التي قلما لفتت انتباه اللغويين : تحديد الاعتباطية .

هذه أفضل أسس ممكنة لتقريب فهم دراسة اللغة كنظام .

في الحقيقة ، ان كل النظام اللغوي قائم على أساس غير منطق لاعتباطية العلامة ، التي ستقود إلى أسوأ نوع من التعقيد إذا طبقت بدون تحديد أو حصر . ولكن الفكر أو العقل يخطط لتقويم أساسا منظما مطردا خلال أجزاء معينة من كتلة العلامات ، هذا هو دور الباعث النسبي . إذا كانت آلية اللغة منطقية كلها ، فانه يمكن دراستها مستقلة . ولما كانت آلية اللغة ما هي إلا معالجة جزئية للنظام المشوش طبيعيا ، مهما يكن ، فانا نتبنى وجهة النظر المفروضة بواسطة الطبيعة الخاصة للغة) وندرسها كأنها هي تحدد الاعتباطية .

إنه لا يوجد لغة تخلو من باعث (مثير) ، وتعريفنا يجعل من المستحيل تصور لغة أو التفكير في لغة ، كل شيء فيها باعث (مثير) .

بين الحدين — الحد الأقصى من التنظيم ، والحد الأقصى من الاعتباطية — نجد كل الاختلافات أو التنوعات الممكنة . تعدد اللغات وتنوعها يتضمن دائما عناصر من كلا النوعين — الاعتباطية الجذرية والباعث النسبى — ولكن فى النسب أو الأجزاء التى تختلف كثيرا ، وهذه ميزة هامة يمكن أن تساعد فى تصنيفها .

وبمعنى آخر — يجب أن لا يندفع الواحد بعيدا جدا ، ولكن يظهر أو ينتج صيغة عامة يمكن أن يحلها النقيض (الطرف المقابل) — يمكننا أن نقول ان اللغات التى يكون الباعث فيها ضعيفا أو فى أقل الدرجات هى أكثر معجمية ، والتى يكون الباعث فيها قويا أو فى درجاته القصوى هى أكثر نحوية . ليس لأن المعجمية والاعتباطية من جانب والنحو والباعث النسبى من جانب آخر هى دائما مترادفة ، ولكن لأنها تملك أساسا مشتركا .

إن الحدين يشبهان قطبين يتحرك بينهما النظام الكلى ، تياران متعاكسان يتقاسمان الحركة اللغوية : اتجاه لاستعمال الأداة المعجمية (العلامة غير المثيرة أو الباعثة) .

والتفضيل المعروف أو المعطى للأداة النحوية (قواعد التركيب) سوف نرى على سبيل المثال ، أن الباعث يلعب دورا أكبر فى الالمانية منه فى الانجليزية . واللغة الصينية مسرفة فى المعجمية بينما الهندوأوروبية الأصلية والسنسكريتية تعد نماذج أو هيئات النوع المسرف فى النحوية . أما داخل لغة محددة فان الاتجاه التطورى جميعه يمكن أن يتميز بالانتقال المستمر من الاثارة إلى الاعتباطية ومن الاعتباطية إلى الاثارة .

هذا التغير المتأرجح (See – saw) غالبا ما يتحقق فى تغير تبادلى فى أجزاء

نوعى العلامه . هكذا ، وبالنظر إلى اللاتينية نجد الفرنسية متميزة ، عبر أشياء أخرى ، بالزيادة الضخمة فى الاعتباطيه . ان الكلمة اللاتينية inimicus تستدعى . in and amicus كما أنها مثارة بواسطتها ، مقابل هذا ، فان كلمة « عدو » (enemi) ليس لها باعث – انها تعود إلى الاعتباطيه المطلقة التى تعد حقيقة الميزة الرئيسيه للعلامة اللغوية .

سوف نلاحظ هذا التغير فى مئات من الأمثلة : (قارن :

Fabrica (faber) : forge, «يزيف» ، constare (stare) coutar «يكلف» ،

bebicarius (berbix) : «راعى» ، megister (megis) : maitre «رئيس سيد» ،
berger etc.

ان ميزة الوضوح فى الفرنسية تعود إلى هذه الحقيقه .

الفصل السابع

النحـــو وأقسامه

١ ـ تعريفات : الاقسام التقليدية :

علم اللغة الوصفي أو وصف حالة اللغة (واقعها) هو نحو فى صورة دقيقة ، والاكثر ألفة ، بمعنى أن الكلمة تملك داخل التعبيرات نحوا من ذلك الجزء من النحوى . . . الخ .

عندما تكون مسألة الموضوع التنظيمى والتركيبى تحكم تفاعل القيم المتواجدة . النحو يدرس اللغة كنظام تعبير فعال . « النحوية تعنى الوصفية والمعنـــى " grammatical means sinchronic and significant "

وبما أنه لايوجد نظام يستقر لعدة مراحل ، فانه لا يوجد مثيل للنحو التاريخى ، وهذا البحث الذى نحن بصدده ما هو إلا علم اللغه التاريخى . ان تعريفى لا يتفق مع المفهوم الضيق المعروف .

علم الصرف (morphology) والتركيب (Syntax) معا هما ما يسمى عادة بالنحو (Grammar) بينما علم المعجم أو علم الكلمات فهو مستثنى .

ولكن من البداية ، هل هذه التقسيمات تناسب الحقائق ؟ وهل تتفق مع الأسس التى اقترحت الآن ؟ .

إن علم الصرف يتناول أنواع الكلمات المختلفة (أفعال ، أسماء ، صفات ،

حياز . . . الخ) ، والصيغ الاشتقاقية المختلفة (تصريف الافعال ، تصريف الاسماء . . . الخ) ، (وانفصل هذه الدراسة عن دراسة التركيب ، فانه يزعم أن موضوع التركيب الوظائف المرتبطة بالوحدات اللغوية ، بينما علم الصرف لا يأخذ بالاعتبار إلا صيغتها . على سبيل المثال ، ان علم الصرف يبين صيغة الكلمة ، اليونانية « حارس phulax » في حالة الاضافـــة هي Phulakos ، والتركيب يبين استعمال الصيغتين . ولكن الفارق خادع وموهم . ان مجموعة صيغ Phulax الاسمية لاتصبح جدولا تصريفيا إلا من خلال مقارنة الوظائف المرتبطة بالصيغ المختلفة ، تبادليا ، لا تعد الوظائف صرفية ، إلا إذا تماثلت أو تطابقت كل وظيفة مع علامة صوتية محددة . ان تصريف الاسماء ليس قائمة من الصيغ ولا مجموعة من المجردات المنطقية ، ولكنه تجمع الاثنتين (انظر ص ١٠٢ وما بعدها) . ان الصيغ والوظائف متداخلتان ، ويبدو من الصعب ، بل من المستحيل فصلها عن بعضها بعضا ، لغويا ، ليس لعلم الصرف حقيقة أو موضوع مستقل . انه لا يشكل مجالا متميزاً للمعرفة عن التركيب ، انه لايستطيع تشكيل علم متميز عن التركيب .

ثانيا ، ليس من المنطق إبعاد علم المعاجم عن النحو . ان الكلمات كما هي مسجلة في المعجم لا تبدو لأول وهلة صالحة لتقديم نفسها للدراسة النحوية المقيدة بشكل عام بالعلاقات بين الوحدات . ولكننا نلاحظ مباشرة ، أن علاقات متعددة يمكن أن تتحقق بشكل فعال بواسطة الكلمات ، كما تتحقق بواسطة النحو . على سبيل المثال ، الكلمتان اليونانيتان fio and facio تتناقضان مع بعضهما بنفس الطريقة مثل dicor and dico ، انها صيغتان صوتيتان لنفس الكلمة : ان الفارق بين الفعل التام والفعل الناقص يتحقق نحويا

فى الكلمتين الروسيتين « يسأل » sprosit : sprasivat ، ومعجمياً فى الكلمتين « يقول » skazat : govorit .

ان حروف الجر محصورة عن الجر عادة ، ولكن العبارة المجرورة « أسلوب الجر » en consideration « إذا أخذنا بالاعتبار » هى فى الاساس معجمية، لان كلمة considération تكتسب معناها الخاص فى شبه الجملة الفرنسية . إذا قارنا الكلمتين اليونانيتين peitho : peithomai مع الكلمتين الفرنسيتين « أطيع » J'obéis « أقنع » Jepersuade نجد أن التناقض تحقق نحويا فى المثال الأول ومعجمياً فى المثال الثانى . العدد الكبير من العلاقات التى تحققت أو يعبر عنها فى بعض اللغات بالحالات أو بحروف الجر ، تعالج فى اللغات الأخرى بواسطة المركبات ، وهى تشبه إلى حد كبير الكلمات الخاصة (الكلمة الفرنسية « مملكة السماء » royaume des cieux ، والكلمة الألمانية Himmelreich) أو بالمشتقات الكلمة الفرنسية « طاحونة الهواء » moulin a vent ، والكلمة البولندية (wiatr - ak) أو أخيراً ، بالكلمات البسيطة (الكلمة الفرنسية « حطب الحريق » bois de chauffage والكلمة الروسية drova ، والكلمة الفرنسية « غابات ـ أشجار » bois de construction والكلمة الروسية les) أن التغير الداخل للكلمات البسيطة وأشباه الجمل داخل اللغة الواحدة يحدث فى كثير من الاحيان (قارن : الكلمات الفرنسية

يأخذ بعين الإعتبار andprendre en considération يعتبر considérer ثأر ، إنتقام tirer vengeance de and إنتقم ، يثأر (se venger de .

وظيفياً . لهذا السبب ، يمكن أن تترابط المعجمية والتركيبية . لا يوجد فرق بين أي كلمة لا تكون بسيطة — الوحدة الجذرية وشبه الجملة — التي تعد حقيقة تركيبية . ان ترتيب الوحدات المساعدة الكلمة تخضع لنفس الاسس الرئيسية مثل ترتيب مجموعات الكلمات في أشباه الجمل .

باختصار ، ان التقسيمات التقليدية للنحو ، يمكن أن تفيد في التطبيق ، انها لا تتطابق أو تتفق مع الفوارق الطبيعية . لبناء النحو علينا أن نبحث عن أساس مختلف وراق .

٣ ـ التقسيمات المنطقية :

علم الصرف ، التركيب ، وعلم المعجم تتداخل ، لان كل حقيقة وصفية متماثلة . لا يوجد خط مميز يمكن رسمه مقدما . فقط الفارق الذي وضع قبلا بين العلاقات المرافقية والسياقية يستطيع أن يقدم التصنيف غير المفروض من الخارج . لا توجد قاعدة أخرى تسد مسد النظام النحوي . علينا أولا أن نجمع معا كل ما يشكل الحالة اللغوية ونضعها في نظرية للمركبات ونظرية للمرافقات . في الحال نجد أن أقسام النحو التقليدي ، توافق بشكل عفوي هذا النوع أو ذاك . يعد التصريف بشكل واضح النوع النموذجي لترافق الصيغ في عقل المتكلمين ، والتراكيب (أعني ، نظرية تجمعات الكلمة تبعاً لاكثر التعريفات حيرية) يعود إلى نظرية المركبات لأن التجمعات تفترض دائما وحدتين على الأقل موزعتين في الفراغ . لا تصنف كل حقيقة مركبة على أنها تركيبية ، ولكن كل حقيقة تركيبية (syntactical) تنتمي إلى النوع المركبي (syntagmatic) .

لإثبات ضرورة المماثلة الثنائية ، فان أي نقطة نحوية سوف تعمل ، ان

مفهوم الكلمة ـ على سبيل المثال ـ يبرز شكلين محددين معتمدة على ما إذا درست الكلمة من وجهة النظر المرافقية أو المركبية . في الفرنسية ، فإن الصفة « كبير grand » تعطى صيغة ثنائية من وجهة النظر المركبية (ولد كبير " gra garçon written grand garçon "

« طفل كبير » " and gret efa written grand enfa t "

وثنائية أخرى من وجهة النظر المرافقية (المذكر gra يكتب grand ، والمؤنث grad يكتب grande) . يجب أن توضح كل حقيقة بهذه الطريقة في نوعيها المركبي أو المرافقي . ويجب أن ترتب كل المادة النحوية الأساسية تبعاً لنظاميها الطبيعيين ، لا يوجد تقسيم آخر بين ما يجب أن يتغير في النظام العادي لعلم اللغة الوصفي . لا أستطيع تناول ذلك العمل هنا ، لأن هدفي محدد في ارساء أهم الأسس العامة .

الفصل الثامن

دور الكيانات المجردة فى النحو

موضوع واحد هام ، قد تناولناه قبل ، يبرز الضرورة الملحة لاختبار كل قضيه نحوية من وجهتى النظر المبينتين فى الفصل السابع VII : الكيانات المجردة فى النحو .

دعنا نأخذها من وجهة النظر المرافقيه ، أولا .

اترافق صيغتين لا يكفى الشعور فقط بأنهما مشتركتان . ولكن لنبرز أيضا طبيعة العلاقات التى تحـــكم المرافقات ، على سبيل المثال ، أى المتكلمين يدركون أن العلاقه بين

Juger and jugement أو enseigner and enseignement

ليست مثل العلاقه بين : حكم enseignement and jugement

هكذا ، يرتبط نظام المرافقات بنظام النحو ، نستطيع أن نقول أن كية الإدراك أو الوعى والتصنيفات المنهجية التى قام بها النحويون الذين يدرسون الحالة اللغوية من غير استخدام التاريخ يجب أن تتوافق مع المرافقات — بوعى أو بغير وعى — التى تظهر فى الكلام .

هذه المرافقـــات تهيء أو تعالج عائلات الكلمة ، الجداول التصريفية والعناصر التشكيليه ، (الجذور ، اللواحق ، النهايات التصريفيه ، الخ) — فى عقولنا (أنظر ص ١٨٥ وما بعدها) .

ولكن هل يبرر أو يفرز الترافق العناصر المادية فقط ؟ لاطبعا ، لقد رأينا سابقا انها تجمع الكلمات التى ترتبط من خلال المعنى مع بعضها البعض .

(قارن : enseignement, apprentissage, education, etc.)

نفس الشىء يجب أن يطبق فى النحو ، خذ الصيغ اللاتينية الثلاث :

domin i, reg-is ros-arum

فان أصوات النهايات الثلاث لا تعطى أو تقدم أساسا للترافق أو التجميع ، بينما تصل النهايات بواسطة الشعور بأنها تملك قيمة مشتركة التى تفرض وظيفة متماثلة . هذا يكفى لانشاء ترافق أو تجميع فى غياب أى دعامة مادية ، ويأخذ مفهوم الاضافة مكانه أو وضعه بهذه الطريقة فى اللغة . خلال اجراء مماثل ، النهايات التصريفية -us, -i, ō, etc. (فى الكلمات : dominus, domini, dominō) مرتبطة مع بعضها فى العقل وهى الاساس لأكثر المفاهيم العامة للحالة ونهايات الحالة . المرافقات ذات النوع الواحد ، ما تزال أوسع ، تضم كل الاسماء والصفات .. الخ ، وتؤكد مفهوم أقسام الكلام . كل هذه الاشياء باقية أو موجودة فى اللغة ، ولكن ككيانات مجردة ، ان دراستها صعبة لاننا لانستطيع أن نعرف تماما فيما إذا كان إدراك أو وعى المتكلمين يذهب بعيدا فى التحليل مثلما يفعل النحويون . ولكن الشىء الهام هو أن الكيانات المجردة تقوم دائما فى التحليل النهائى ، على كيانات مادية أو حسيه . لايمكن أن يكون هناك تجريد نحوى من غير مجموعة من العناصر المادية كقاعدة ، وعلينا أن نعود دائما فى النهاية إلى هذه العناصر .

والآن نعود إلى وجهة النظر السياقية (التركيبيه syntagmatic) . ان قيمة المجموعة غالبا ما ترتبط بنظام عناصرها . فى تحليل السياق أو التركيب ، فان المتكلم لا يحصر نفسه فى ابراز أقسامه أو أجزائه ، انه يلاحظ نظاما معينا من التتابع خلالها .

أن معنى الكلمة الانجليزية pain fat أو الالمانية igol-fer يعتمد على الحالات الخاصة لوحداتها المساعدة : فاننا لا نستطيع القـــول fat-pain ولا fer- . يمكن أن لا يكون للقيمة علاقات مع العناصر المادية (مثل elgonm fol or- fer) وتنتج كلية من ترتيب المصطلحات ، على سبيل المثال ، ان اختلاف معنى المجموعتين في الفرنسية : هل يجب علي ؟ ؟ dois-je و « يجب علي » Je dois يعود فقط إلى نظام الكلمة . بعض الاحيان تصور لغة ما فكرة من خلال نظام كلمة يمكن أن تنقلها لغة أخرى خلال مصطلح أو عدة مصطلحات مادية. في النموذج السياقي:

goose berry wine, gold watch, etc.

تصور الانجليزية العلاقات من خلال مجرد نظام المصطلحات التي تصورها الفرنسية الحديثة بواسطة حروف الجر (قارن :

ven de groseilles, montre en or, etc.)

تظهر الفرنسية الحديثة بالتالي مفهوم تتمة المسند المباشر كلية من خلال وضع الاسم بعد الفعل المتعدي (قارن : « قطفت زهرة » Je cueille une fleur بينما اللاتينية وبعض اللغات الأخرى تستعمل حالة النصب التي تتميز بنهايات خاصة ... الخ .

إن وضع الكلمة (نظامها) كيان مجرد غير منطق ، ولكنها تدين في وجودها كلية للوحدات المادية أو الحسية التي تتضمنها. والتي تنشأ أو تجرى في بعد واحد .

ان الاعتقاد بوجود تركيب معنوى خارج الوحدات المادية ، موزع في الفراغ يعد خطأ . في الانجليزية ، the man I have seen تستعمل بشكل واضح علامة صفرية لتواجه الحقيقة التركيبية التي تصورها الفرنسية ، بواسطة

(l' homme que j' ai vu) que " that "

ولكن مقارنة الحقيقة التركيبية الانجليزية مع الفرنسية ، هو بشكل دقيق

ما يحدث الخداع أو الارتباك بأن اللاشيء يستطيع تصوير أو اظهار شيء .

ان الوحدات المادية وحدها تخلق بشكل فعلى القيمة بترتيبها أو تنظيمها بطريقة معينة .

إننا لانستطيع دراسة القيمة التركيبية خارج مجموعة من المصطلحات الحسية، والحقيقة الوحيدة التى تفهمها أن التركيب اللغوى (أعنى : الكلمات الانجليزية التى سبق ذكرها) يبين أن وضع الكلمة وحده يعكس الفكرة أو يصورها .

إن الوحدة المادية تتواجد فقط من خلال معناها و وظيفتها . وهذا الاساس هام بشكل خاص فى فهم الوحدات الصغرى ، لأن الواحد مدفوع للاعتقاد بأنها توجد بفضل صفتها المادية الصرفة — فكلمة Love ، على سبيل المثال ، لدين فى وجودها كلية لأصواتها . بالمقابل — كما رأينا سابقا — فان المعنى والوظيفه يتواجدان فقط من خلال مساندة بعض الصيغ المادية . لقد تشكل هذا الاساس بفضل السياقات أوالتركيبات الكبيرة أو النماذج التركيبية، ولكن فقط لأن الواحد يميل اليها و كأنها مجردات غير ماديه تحوم فوق مصطلحات الجملة .

بتكاملة بعضها لبعض ، فان الاساسين يجعلان تمايزى أو مقولاتى قريبة من تحديد الوحدات (أنظر ص ١٠٣) .

الباب الثالث

علم اللغة التاريخى

الفصل الأول

صوتيات

إنما يدرسه علم اللغة التاريخي ليس العلاقات بين مصطلحات اللغة الثابتة المتعاونة أو المتواجدة معا . ولكن علاقات المصطلحات المتعاقبة التي تحل على بعضها بعضا مع الزمن . لا يوجد في الحقيقة أي شيء مطلق الثبات (أنظر ص ٧٥ وما بعدها) ، كل قسم في اللغة خاضع للتغيير . هناك بعض التطوير الذي يمكن إدراكه بالنسبة لكل فترة . ان التطور يمكن أن يختلف في سرعته وكثافته ولكن هذا لا يضعف الأساس .

إن جدول اللغة يندفع من غير عوائق ، سواء كان سيره هادئا أو جارفا ، فان ذلك أهميته ثانوية . ان غالبية ذهلنا في ملاحظة أو رؤية التطور غير المعوق ، يعود إلى انصباب الاهتمام على اللغة الأدبية التي — كما سيظهر بعد رأنظر ص١٩٥ وما بعدها) فرضت على اللغة العامية ، (أعني اللغة الطبيعية) والتي خضعت لقوى أخرى اللغة الأدبية ، عندما تشكلت تبقى ثابتة نوعا ما بشكل عام ، وتميل للاحتفاظ بهويتها أو تماثلها ، ان اعتمادها على الكتابة أعطاها ضمانات خاصة من المحافظة ، لهذا ، فانها ، لا تستطيع أن تبين لنا حجم تغير اللغات الطبيعية عندما تتحرر من سيطرة أي لغة أدبية .

الصوتيات - وكل الصوتيات p onetics - هي الموضوع الأول والأساسي

لعلم اللغة التاريخى . فى الحقيقة ، ان تطور الأصوات يتعارض مع مفهوم الثبات، لمقارنة الوحدات الصوتية أو مجموعات الوحدات الصوتية (phonemes) مع ماكانت تمثيه سابقا لأثناء التاريخية . يمكن أن ترتبط فترة واحدة مع مابعدها تماما ، ولكن عندما تدمجان معا ، تكشف الصوتيات عن لعب دور . لم يبق شىء ، ولكن وصف أصوات اللغة الثابتة ، وهذه وظيفة علم وظائف الاصوات « phonology » .

إن الوصف التاريخى للصوتيات تتناسب بشكل جيد مع الاساس، وهوأن أى شىء صوتى لا يكون دالا ولا نحويا بالمعنى الواسع لكلمة صوتى (أنظر ص ١٨) .

فى دراسة تاريخ أصوات الكلمة ، يمكن أن نتجاهل المعنى ، وبأخذنا فى الاعتبار المحتوى المادى للكلمة فقط ، تخرج الشرائح الصوتية من غير أن نسأل فيما إذا كانت تحوى معنى . على سبيل المثال ، يمكننا أن نحاول متابعة المجموعة الحالية فى المعنى — ewo — فى اليونانية الاليكية . إذا كان التطور اللغوى لايعنى شيئا أكثر من تطور أصواتها ، فان التناقض بين المواضيع التى تخص كل فرع من فرعى علم اللغة ، سيبدو شديد الوضوح الآن .

سيكون واضحا أن التاريخية تعادل اللا نحوية والوصفية تعادل النحوية . ولكن الاصوات ليست وحدها ، والأشياء التى تتغير مع الزمن ، الكلمات تغير معناها . الأنواع النحوية تتطور . بعضها يختفى مع الصيغ التى كانت تستعمل التعبير عنها (أعنى : المثنى فى اللاتينية) . وإذا كانت كل الحقائق المرافقة والسياقية أو التركيبية فى الحالة لوصفية لها تاريخها، فكيف يكون التمييز المطلق متحققا ، أو مؤكدا بين التاريخى والوصفى ؟ سيصبح هذا صعبا جدا عندما نترك ميدان أو مجال الصوتيات .

ان ما يستحق الملاحظة ، لربما ، أن كثيراً من التغيرات التي تعتبر غالباً نحوية، ما هي في الحقيقة إلا صوتية . بعض الابتداعات النحوية، كما في الألمانية : Hand : Hand e التي حلت محل (أنظر ص ٨٣) تخضع كلية التفسير الصوتي حقيقة صوتية أخرى تقوم على قاعدة المركبات من النوع :

Springbrunnen, Reitschul e, etc.

في الالمانية الفصحى القديمة لم يكن العنصر الاول فعليا ، ولكن كان اسميا . (Beta -hus) تعني « بيت الصلاة » ، ولكن بعد التغير الصوتي ، الذي حدث بسقوط حرف العلة الاخير (beta - bet -, ect.) نشأ اتصال دلالي مع الفعل (beten, etc.) وأصبحت Eethaus تدل بيت الصلاة

شيء مثل هذا حصل في المركبات المصاغة مع كلمة Lich « مظهرها خارجي » في الالمانية الفصحى القديمة (قارن etc و «يحمل مظهر السبب» (reddich) « له مظهر الرجل » mannolich) في الوقت الحاضر ، في عدد من الصفات (قارن : verzhlich, glaublich, etc.)

فان Lich- تعادل أو توازي اللاحقة في pardon-able و baliev-able الخ .

وفي نفس الوقت ، فان تفسير العنصر الاول من خلال فقدان حرف العلة الأخير ، على سبيل المثال ، (redo → r d-) يتشابه مع جذر الفعل (red — from reden) .

في كلمة glaub lich ، فان — glaub وفقا لذلك ترتبط بكلمة glauben أكثر من ارتباطها بكلمة glaube ، وبالرغم من الاختلاف في الجذر ، فان كلمة sichtlich تترافق مع sehen ، وليس مع sicht . في كل الأمثلة السابقة ، وفي كثير من الأمثلة المشابهة يبقى الفارق بين النوعين منفصلا بوضوح ولذلك

يجب أن يحتفظ اللغوى بهذا الفارق فى فكره أو يعرض التفكير للخطر بأنه يدرس النحو التاريخى بينما يتحرك هو فى الواقع على التوالى من التاريخى عندما يدرس التغيرات الصوتية إلى الوصفى، عندما يفحص النتائج التى نتجت عن هذه التغيرات .

ولكن هذا القيد أو التحديد لا يزيل كل العقبات. ان تطور أى حقيقة نحوية بصرف النظر عن ميزتها السياقية التركيبية أو النحوية ، لا يشبه تطور الصوتى. انها ليست بسيطة ولكنها تتحلل إلى عدد كبير من الحقائق الخاصة التى لا تمثل الحقيقة الصوتية إلا جزءا منها . فى أنواع النماذج التركيبيه مثل « المستقبل الفرنسى prendre ai » على أن آخذ » الذى أصبح prendrai «سآخذ» ، هناك على الاقل حقيقتان متميزتان، احداهما نفسية (تركيب عنصرى الفكرة) والأخرى صوتية، وتعتمد على الاولى (اختصار نبرى التركيب إلى واحد :

prendre ai → prendrai

ان تصريف الفعل المتمكن الألمانى (مثل الافعال الألمانية الحديثة) :

geben, gab, gegeben, etc.

قارن الافعال اليونانية : (Leipo, elipon, leloipa, etc.)

قائم بشكل رئيسى على تبادل العلل الجذرية . هذه التناوبات أو التغيرات التى بدأت كنظام بسيط نسبياً ، نتجت بدون شك عن حقيقة صوتية مطلقة . ولكن حتى تكتسب التناقضات مثل هذه الاهمية الوظيفية ، فان النظام التصريفى الاصلى يجب أن يبسط فى خلال مجموعة من الطرق أو العمليات المختلفة والمتنوعة : اختفاء التنوعات المتعددة للمضارع، ومن خلال المعنى المرتبط بها. اختفاء الفعل الناقص والمستقبل والماضى غير المحدد « aorist » ، حذف التضعيف من الفعل التام، الخ ، هذه التغيرات غير الصوتية اختصرت التصريف الفعلى إلى مجموعة

محصورة أو محددة من الصيغ التى أصبحت التناوبات أو التغيرات الجذريه فيها عظيمة الاهميه فى تمييز المعنى . هكذا يكون التناقض a : e أكثر دلالة فى geb : gebon منه فى تناقض o : e فى الكلمتين اليونانيتين Leipo : Leloipe لان الفعل التام الالمانى ، لايوجد فيه تضعيف بينما يوجد فى الفعل اليونانى .

التغير الصوتى ، الذى يؤثر بشكل عام فى التطور إلى حد ما لايستطيع تفسيره كلية . عندما تزول القوة الصوتية ، فاننا نجد البقيه ، التى تبرر فكرة تاريخ النحو وفيها تكمن الصعوبه الحقيقية هذا الفارق الاساسى بين علم اللغة التاريخى والوصفى سيحتاج إلى توضيحات مفصلة تمد خارج نطاق هذا البحث .

سندرس فى الفصول التالية على التوالى التغيرات الصوتيه، التناوب أو التعاقب والحقائق القياسيه ، ونختم ببعض الملاحظات حول الاشتقـــاق (على تأصيل المفردات) العام والالصاق (agglutination) .

الفصل الثاني

التغيرات الصوتية

١ - اطرادها المطلق :

لقد رأينا سابقا (ص ٩٣) أن التغير الصوتي لا يؤثر في الكلمات فقط ، ولكن في الأصوات كذلك . إنما يتحول هو الوحدة الصوتية (الفونيم) . هذا الحدث - بالرغم من انفصاله أو انعزاله مثل كل الحوادث التاريخية الأخرى ، يتحقق في التناوب المتماثل لكل الكلمات التي تحوي نفس الوحدة الصوتية . وهي بهذا المعنى تدل على أن التغيرات الصوتية مطلقة الإطراد .

كل (ī) في الألمانية تصبح (ei) ثم ei : الكلمات wīn, trīben, līhen, zīt أصبحت : wein, treiben, zeit ، وكل (ū) أصبحت au ، فالكلمات hūs, zūn, rūch أصبحت Haus, zaun, Rauch ، بنفس الطريقة تحولت (ü) إلى (eu) . فكلمة hüser أصبحت Häuser . إلخ . بالمقابل ، فإن الصائت المركب (ie) أصبح (i) الذي لا يزال يكتب (ie) : قارن : biegen, lied, Tier . بالإضافة إلى أن كل (uo) أصبحت (u) . فكلمة muot أصبحت mut . إلخ . وكل (z) أصبحت (s) وتكتب (ss) انظر ص ٢٦) wazer → wasser, fliezen ، إلخ ، كل (h) صوتية داخلية تلاشى : Lihen, sehen → leien, seen ، ولكنها تكتب : (leihen, sehen),

كل (W) تغيرت إلى صوت (V) أسنانى شفوى (تكتب W) :

• Wezerwaser (wasser) :

كل (i) حنكية فى الفرنسية أصبحت (y) : « يغلى » bouillir و « نصب تذكارى » Piller تنطقان Piye, buyir, etc .

فى اللاتينية ، ما كان (s) صامتة داخلية فى مرحلة تبدو مثل (r) فى مرحلة أخرى :

genesis, asēna generis, arēne, etc .

. إن أى تغير صوتى مها يكن عندما يبدو فى مظهره الحقيقى يؤكد الاطراد التام لهذه التحولات .

٢ التغيرات الصوتية (المشروطة) المقيدة :

إن الأمثلة السابقة قد أظهرت بوضوح أن الظاهرة الصوتية ، بعيدة عن كونها مطلقة دائماً ، فى غالب الأحيان مرتبطة بظروف أو شروط محددة . وبالنظر إليها بطريقة أخرى ، انما تحول ليس النوع الصوتى (الفونولوجى) ولكن الوحدة الصوتية ، على اعتبار أنها تحدث أو تظهر تحت ظروف أو شروط محددة ــ ما يحيط بها ، التنبير ، accentuation ، الخ . وعلى سبيل المثال ، فإن صوت (s) أصبح r) فى اللاتينية ، عندما كان بين صائتين فقط . وفى حالات معينة أخرى ، وتبقى فى الحالات الأخرى (قارن : est, senex, equos)

إن التغيرات المطلقة نادرة جداً . ان التغيرات التى تبدو غالبا مطلقة تعود إلى الغموض أو إلى الحد الأقصى من الطبيعة العمومية للحالات . فى الألمانية على سبيل المثال ، نرى أن (i) أصبحت (ei, ai) فقط فى المقطع المنبور . صوت K_1 ، فى الهندوأوروبية الأصلية أصبح (h) فى الألمانية (قارن : الكلمة

الهندوأوروبية الأصلية K_1oleom ، والكلمة اللاتينية collum ، والكلمة الألمانية Hale) ، ولكن التغير لا يحدث بعد صوت ( ) (قارن الكلمة اليونانية akotos والكلمة القوطية « ظل » Skadus) .

بجانب هذا ، فان تصنيف التغيرات إلى مطلقة ومقيدة قائم على المظهر الخارجي للأشياء . أنه يكون أكثر منطقية ، باتجاه خط النمو ، أن نتكلم عن الظاهرة الصوتية التكاملية والتلقائية أو العفوية .

تكون التغيرات تلقائية عندما يكون سببها داخليا وتجميعيا عندما تنتج أو تتحقق من تواجد وحدة أو عدة وحدات صوتية أخرى . ان انتقال صوت (O) في الهندوأوروبية الأصلية إلى صوت (a) الألماني (قارن : الكلمة القوطية k ∂a والألمانية Hals) . تعد هذه حقيقة تلقائية .

تغيرات الصوامت الألمانية (Lautver schiebungen) تمثل أو تصور التغير التلقائي : فصوت K_1 في الهندوأوروبية الأصلية أصبح (h) في الألمانية الأصلية . (قارن : الكلمة اللاتينية collum والكلمة القوطية hals) وصوت (t) في الألمانية الأصلية ، الذي احتفظت به الانجليزية ، أصبح (z) (ينطق ts) في الالمانية الفصحى (قارن : الكلمة القوطية taihun ، الانجليزية ten ، الالمانية Zehn) ، مقابل هذا انتقال الاصوات اللاتينية : ct, pt إلى (tt) الإيطالية (قارن :

(factum → fatto, captivum (combinatory) يعد حقيقة تجميعية cattivo) .

لأن العنصر الاول يشابه الثاني أو يتمثله . التغير العلى في الالمانية يعود إلى

سبب خارجى ، وجود صوت « i » فى المقطع التالى : بينما كلمة gast لم تتغير ، gasti أصبحت gasti, Gäste .

إن النتيجة لا تظهر فى حالة أخرى ، سواء أكان هناك تغير أو لم يكن ، فانه لا أهمية له . على سبيل المثال ، عند مقارنة الكلمـــة القوطية Fisks مع الـكلمة اللاتينية piscis والقوطية skadus مع اليونانية skotos ، فاننا نلاحـــظ فى الزوج الأول استمرار أو بقاء صوت « i » ، وفى الزوج الثانى انتقال صوت « O » إلى « a » . الوحدة الصوتية الأولى بقيت بينما تغيرت الوحدة الصوتية الثانية ، ولكن ما يهمنا أن كل واحدة منها تعمل مستقلة .

إن الحقيقة التجميعية مقيدة دائماً ، ولكن الحقيقة التلقائية ، ليس ضرورياً أن تكون مطلقة ، لانها يمكن أن تتقيد سلبياً بواسطة غياب بعض قوى التغيير . بهذه الطريقة فان صوت kw فى الهندوأوروبية الأصلية أصبح تلقائياً qu فى اللاتينية (قارن : quattuor, inquilina, etc.) ولكن ليس ، على سبيل المثال ، كذلك إذا تبعه أحد الصوتين o or u (قارن cottidie, colō secundus, etc.) .

بنفس الطريقة فإن بقاء صوت الـ i الهندوأوروبية الأصلية فى الكلمة القوطية fisks, etc مرتبط بشرط — وهو أن صوت الـ « i » ، لا يمكن أن يتبعه صوت h أو r لأنه يصبح عندئذ « e » ، التى تكتب « ai » (قارن :

wair → latin vir and maihstus → german Mist) .

ملاحظات على المنهج :

عند إنشاء الصيغ المعبرة عن التغيرات الصوتية ، علينا أن نراعى المميزات السابقة أو نخاطر بابراز الحقائق بطريقة غير صحيحة . وهذه بعض الأمثلة على

عدم الدقة ، بناء على الصياغة القديمة لقانون فيرنر • Verner's law • . فان كل « b » غير استهلالية في الألمانية تتحول إلى ð إذا جاء النبر بعدها قارن من جهة أولى :

feber → faðer (german Vater)

libumé → liðumé (German litten) ;

ومن جهة أخرى :

bris (German drei) , bro (German Bruder) ,

libo (German leide) .

فان صوت b يبقى . هذه الصيغة تعطى النبر الدور الفعال ، وتقوم عبارة محددة أو مقيدة لصوت « b » الاستهلالى . انما يحصل عادة مختلف تماما .

يميل صوت الـ « b » إلى الجهر تلقائيا داخل الكلمة في الألمانية ، كما هو في اللاتينية ، غير أن موضع النبر على الصائت السابق يمكن أن يعوقها أو يمنعها . كل شيء لهذا السبب يكون معكوسا . ان الحقيقة تلقائية وليست تعميمية ، والنبر عائق ، بالاضافة إلى السبب المفاجيء . علينا أن نقـــول : كل « b » داخلية أصبحت ð ، إلا إذا اصطدم التحول بنبر على الصائت السابق .

حتى نستطيع التمييز بين ما هو تلقائي وما هو تعميمي ، فانه يجب علينا أن نحلل مراحل التحول ولانظن النتيجة المباشرة نتيجة غير مباشرة .

من الخطأ تفسير (التفخيم rhotacization) ، على سبيل المثال قارن : (latin genesis → generis) بالقول أن « S » أصبحت « r » بين صائتين ، لأن « s » — ليس لها صوت حنجرى ، لا يمكن أن تتحول إلى « r » مباشرة .

هناك فى الحقيقة حدثان :

الأول : لقد تحولت « s » إلى « z » من خلال تغير تمهيدى .

الثانى : لقد استبدل هذا الصوت بصوت (r) مختلفة نسبيا ، لأن صوت (z) قد اختفى من النظام الصوتى اللاتينى .

فالتعبير الثانى تلقائى . لذلك ، فانه من الخطأ الكبير أن نعتبر الحقيقتين المختلفتين ظاهرة واحدة . ان الخطأ من الجهة الأولى فى اغفال النتيجة الوسطى (مرحلة التغير الوسطى) ورؤية التغير النهائى أو غير المباشر (s → r instead of z → r) ومن الجهة الثانية اعتبار الظاهرة الكلية تمهيدية بينما يصدق هذا على جزئها الأول .

هذا يشبه قولنا فى الفرنسية : ان صوت (e) أصبح (a) قبل الصوت الأنفى .

الحقيقة أن هناك ، على التوالى ، تغيرا تمهيديا . ان انفية الصوت (e) بواسطة الصوت (n) (قارن :

Latin vent, latin femina → french feme, fẽme

— وتغيرا تلقائيا لصوت (ẽ) إلى (a) (قارن : vãnt, fãme now vã, fãme) ان اثارة الاعتراض بأن التغير يمكن أن يحدث فقط قبل الصامت الأنفى يعد تافها .

إن المسألة ليست لماذا كان صوت ال (e) أنفيا ، ولكن فيما إذا كان تحول صوت (e) إلى (a) تلقائيا أو تمهيديا . ان الخطأ الكبير فى المنهج الذى أستطيع تقديمه على هذه النقطة — ليس مرتبطا بالأسس التى وضعت قبل — هو

فى صياغة التقارن الصوتى فى المضارع البسيط . وكأن الحقائق التى نسمتها وجدت مرة وإلى الأبد ، بدل أن تولد و تموت خلال فترة زمنية . ان النتيجة مشوشة ، لأن أى تتابع زمنى بهذه الطريقة يفقد مظهره أو لا يمكن ملاحظته .

لقد أكدت هذه النقطة تماما (أنظر ص ٩٧) فى تحليل تتابع الظاهرة التى تفسر الثنائية لـ : trikhos : thriksi . ان من يقـــول ان « s » فى اللاتينية أصبحت « r » يعطى الانطباع بأن (التفخيم thotacization) موروثة فى طبيعة اللغة ، ونجد من الصعوبة عدة من الاستثناءات ، مثل : causa risus , etc.

إن صيغة الصوت الداخلى « s » أصبح « r » فى اللاتينية . فقط تبرر إعتقادنا أو اقتناعنا بأن : causa, risus, etc لم يكن فيها « s » فى المحطة التى تحولت فيها « s » إلى « r » وعندما حيث فى التغيير . الحقيقة أن للتكلمين مازالوا يقرلون .causa, risus, etc ولسبب مماثل علينا أن نقول أن « a » أصبحت « e » فى اللهجة الأيونية (قارن : mātēr : mētēr; etc.)، ولا سيما فاننا لا نعرف اذا نصنع بالصيغ مثل : .pāsa, phāsi , etc (التى مازالت pansa, phansi, etc. خلال فترة التغيير) .

٤ ـ أسباب التغيرات الصوتية :

إن البحث عن أسباب التغيرات الصوتية يعد من أصعب مسائل علم اللغة . لقد افترضت كثير من التفسيرات ولم تستطع أى منها توضيح المسألة .

أ) أحد الافتراضات أن الاستعدادات أو القابلية العرقية تحدد سلفا اتجاه التغيرات الصوتية . وهذا يبرز أو يثير مسألة انثروبولوجية مقارنة :

هل الجهاز الصوتى يختلف من جنس لآخر ؟ لا ، انه أقل اختلافا فيما بين

شخص وآخر . ان الواليد السود (Negro) الناشئين فى فرنسا يتكلمون الفرنسية كما يتكلمها المواطن الفرنسى . وأكثر من ذلك ، التعبيرات مثل « الجهاز الصوتى الايطالى » أو « فم المتكلم الالمانى لايسمح بذلك تبين أن الحقيقة التاريخية المطلقة هى ميزة أو صفة دائمة . هذا يشابه الخطأ فى وضع قانون صوتى فى المضارع البسيط .

لكى ندعى أن الجهاز الأيونى يجد صوت « a » الطويل صعبا فيغيره إلى « ē » يعد غير صحيح تماما مثل قولنا ان صوت « a » تصبح « ē » فى الأيونية .

ان جهاز صوت الايونيين ، لايكره صوت « a » ، لأن هذا الصوت استعمل فى بعض الأمثلة . هنا مثال واضح ، ليس على عدم المقدرة العرقية ، ولكن على التغير فى العادات النطقية . وبنفس الطريقة فان اللاتينية التى تحتفظ بالصامت الداخل « s » (genesis ← generis) أعادت استخدامه بعد فترة قصيرة (قارن: (rissus ← risus) . هذه التغيرات لا تدل على التحول المستمر أو الدائم للصوت اللاتينى . هناك بدون شك اتجاه عام لمتابعة الظاهرة الصوتية خلال فترة محددة فى أمة معينة . ان الصوت العلى المفرد البسيط للصوائت المركبة فى الفرنسية الحديثة هى مظهران لأمر واحد ولنفس الاتجاه ، ولكننا سنجد تيارات عامة متشابهة فى التاريخ السياسى ، ولانوجد مسألة تاريخية مجردة أبدا بدون أى تأثير مباشر للجنس .

ب) إن التغيرات الصوتية تأخذ فى الاعتبار غالبا ظروف التربية والمناخ .

تكثر الصوامت فى اللغات الشمالية بينما تظهر بكثرة الصوائت فى بعض اللغات الجنوبية ، تعطيها صوتها التنغيمى أو المتناغم harmonieux) .

إن المناخ والظروف المعيشية يمكن أن تؤثر بشكل كبير على اللغة ، ولكن المشكلة تتعقد كلما دخلنا في التفاصيل ، بجانب اللهجات أو اللغات الاسكندنافية مع كثرة الصوامت فيها . هناك اللابية والفنلندية التي تعد أكـــثر تصويتا في الايطالية . كما أننا نلاحظ أن تراكم الصوامت في الألمانية المعاصرة بشكل في كثير من الأمثلة حقيقة جديدة تماما .

يعود إلى سقوط الصوائت التفخيمية ، أن بعض لهجات جنوب فرنسا أقل مقاومة للمجموعات الصامتة من فرنسية الشمال . ان السيبيرية تحوي كثيرا من مجموعات الصامت مثل روسيا العظمى ، إلخ .

جـ) لقد عزى سبب التغيرات الصوتية إلى قانون (الجهد الأقل) التي يستبدل فيه نطقان بنطق . أو نطق صعب يستبدل بآخر سهل هذه الفكرة بصرف النظر عما قيل عنها ، تستحق النظر أو الدراسة ، يمكنها أن توضح التغيرات الصوتية . أو على الأقل تبين الاتجاه الذي يجب أن يأخذه البحث حيالها .

إن قانون (الجهد الأقل) يمكن أن يوضح عدداً معيناً من الحالات . الانتقال من الانفجاري إلى الاحتكاكي (Latin hedére → French) (avoir . have) سقوط المجموعات الكبيرة من المقاطع الاخيرة في كثير من اللغات . ظاهرة تتصل أو تعود إلى المماثلة . (على سبيل المثال :

(Ly → as in alyos → Greek a los, tn → nn as in atnos → latin annus

الصوت العلى المفرد البسيط للصوائت المركبة ، وهو ليس إلا نوعا من المماثلة (على سبيل المثال ،

(ai → e as in french moizbo → mezo, written maison . house » etc,

ولكن علينا أن نذكر تماما في كثير من الأمثلة مكان حدوث التناقض بدقة . مقابل الصوت الملى المفرد البسيط ، على سبيل المثال ، نستطيع أن نبين تغير الأصوات الألمانية .i, ü u, to, ei, ao, eu . إذا كان اختصار الأصوات السلافية ā, ē إلى ă, ĕ يعود إلى الجهد الأقل ، تكون الألمانية قد قدمت الظاهرة العكسية (fater → väter, geben → gében) ويجب أن تعزى إلى (الجهد الأعظم) . إذا كان الجهر (voicing) التصويت أسهل من عدم التصويت (الجهر) (قارن : Cpera → prover galobra.) فان العكس يحتاج إلى (الجهد الأعظم) وانتقلت الاسبانية من صوت (z) إلى صوت (x) (قارن : (hixo , written hijo) وغيرت الالمانية الاصوات b, d, g إلى P, t, k .

إذا كان ضياع الغس أو الهمس (قارن :

(prote - indo - European bherē → Germenic beran)

يعد تقليلا للجهد ، ماذا يقال عن الألمانية التي تضيف مهموسا عندما لا يكون موجوداً ؟ (Tanne, pate, etc, Pronounced Thanne, p(ute) ?

إن الملاحظات السابقة لاتدعي بعض الحل المقترح . في الحقيقة ، إننا نادراً ما نستطيع تحديد ما يسهل نطقه أو ما يصعب نطقه في كل لغة . الاختصار يعني (الجهد الاقل) بمفهوم الفترة الزمنية ، لكن الحقيقة المساوية أن الاصوت الطويلة تسمح بعدم العناية المنطقية ، بينما تتطلب الاصوات القصيرة عناية أكبر . استعدادات مختلفة معروفة ، نستطيع لهذا أن نقدم حقيقتين متناقضتين من نفس وجهة النظر .

عندما يتحول صوت k إلى (ts) (قارن :

(Latin cēdere → Italian cedere.)

فانه يوجد بوضوح زيادة فى الجهد إذا أخذنا فى الاعتبار فقط نهاية المصطلحات من التغير ، ولكن يمكن أن يختلف الانطباع إذا أعدنا بناء السلسلة :

« K » تحولت إلى K^1 حنكية من خلال المماثلة للصائت التالى، ثم انتقلت (K^1) إلى ky ان النطق لم يصبح أكثر صعوبة ، عنصران متشابهان فى K^1 يختلفان بوضوح ، ثم انتقل المتكلمون من ky على التوالى إلى « ty، tx، $\check{t}$ » ، « صح الجهد الاقل أينما كان .

إن قانون (الجهد الاقل) يتطلب دراسة موسعة . انه من الضرورى أن نأخذ فى الاعتبار معا وجهة النظر الفسيولوجية (مسألة النطق) ووجهة النظر النفسية (مسألة الانتباه) .

د) إن التفسير الذى ظل مفضلا لعدة سنوات يعزو التغيرات فى النطق إلى ثقافتنا الصوتية خلال مرحلة الطفولة . بعد كثير من المحاولات والتجارب والتصحيحات فان الطفل ينجح فى نطق ما يسمعه حوله ، هنا تكون نقطة بداية التغيرات .

إن بعض الاخطاء التى لا تصحح سوف تستمر مع الفرد وتلحق هذه الناشىء .

إن الاطفال ينطقون صوت (t) بدلا من (k) ، ولغاتنا لا تقدم تغيراً صوتياً متطابقاً فى تاريخها . ولكن هذا لا ينطبق على التشوهات الاخرى . فى باريس ، على سبيل المثال ، فان كثيراً من الاطفال ينطقون :

Fleur (Feur « flower ») and b l'anc (b lanc « white »)

بصوت « L » الحنكية ، والآن بطريقة مشابهة Fle'em تنطق Fl'ere . فى الايطالية . ان الملاحظات السابقة تستحق انتباها دقيقا ، ولكنها تترك القضية

مقترحة . فى الحقيقة ، انما يعمل أو يدفع الجيل ليحتفظ بأخطاء معينة باستثناء تلك الاخطاء الطبيعية ليس واضحا . ان اختيار النطق الخطأ من كل المظاهر يعد كل الاعتباطية ، وليس هناك سبب واضح له . بجانب هــذا ، لماذا تبرز هذه الظاهرة فى وقت أكثر من وقت آخر ؟ .

نفس السؤال ينطبق على كل الأسباب السابقة للتغيرات الصوتية ، إذا اعترف بها كحقيقة . التأثير المناخى ، الاستعداد العرقى ، الاتجاه نحو الجهد الأقل تعد كلها دائمة ونهائية . لماذا تعمل متفرقة ، فى بعض الأحيان على نقطة واحدة من النظام الصوتى . وفى أحيان أخرى على أخرى ؟ لابد للحدث التاريخى من سبب محدد ، العالم بين الرض فى كل مثال ليحرر التغير الذى سببه العام قد بقى لمدة طويلة هذه أصعب النقاط المحتاجة إلى تفسير .

٥ ـ ان التغيرات الصوتية ترابط فى بعض الاحيان بالاحوال العامة للامة فى لحظة معينة .

إن اللغات تمر بمراحل أكثر اضطرابا من غيرها . هناك محاولات لربط التغيرات الصوتية بالمراحل المضطربة فى تاريخ الامم وبهذه الطريقة لاكتشاف الرابط بين عدم الاستقرار السياسى وعدم الاستقرار اللغوى ، هذا العمل ، يعتقد بعضهم أنهم يستطيعون تطبيق نتائج تشمل اللغة بعامة على التغيرات الصوتية . لقد لاحظوا ، على سبيل المثال ، أن أعنف جيشان للاتينية فى تطورها داخل اللغات الرومانية يتفق مع فترة اضطرابات الغزو العنيفة . هناك ميزتان ستعملان كعوامل مرشدة :

أ) الاستقرار السياسى لا يؤثر فى اللغة بنفس الطريقة ، كما هو فى عــدم الاستقرار السياسى ، لايوجد تبادل هنا . عندما يخفف التوازن السياسى التطور

اللغوى فانه يدل على وجود سبب خارجى ايجابى . ولكن عدم الاستقرار الذى تصل الأثر المضاد ، لا يعمل إلا سلبيا . الثبات ـ الثبات النسبى اللغة ـ يمكن أن يكون له سبب خارجى (تأثير الحكم . المدرسة ، مجمع علمى أدبى ، الكتابة ، إلخ) . يجد استحسانا ايجابيا من المجتمع والتوازن السياسى . ولكن إذا حصل اجتياح خارجى أثر على توازن الأمة فانه يعجل فى التطور اللغوى ، هذا لأن اللغة تعود ببساطة إلى حالتها الحرة وتتابع سيرها المنتظم . ان ثبات لاتينية المرحلة الكلاسيكية يعود إلى أسباب خارجية ، ان التغيرات التى مرت أخيرا ، مهما يكن ، تكون التوليد الذاتى فى غياب الظروف الخارجية المحددة .

ب) إننا نتعامل هنا فقط مع الظاهرة الصوتية ، وليس مع كل نوع من التعديلات اللغوية ، التغيرات النحوية تماثل بشكل واضح . لأنها مرتبطة دائما تماما بالفكر ، فان الحقائق النحوية تتأثر ببساطة أكثر بصدمة الاجتياح الخارجى ، التى لها ارتداد مباشر على الفكر . ولكن لا وجد قواعـــد ثابتة للاعتقاد بأن التطورات المفاجئة لأصوات اللغة تتطابق مع مراحل الاضطراب فى تاريخ الامة . لايزال من المستحيل أن نستشهد بفترة واحدة ـ حتى خلال الفترات التى تبدو فيها اللغة فى حالة ثبات مضلل ـ لتكون شاهدا على عدم التغيرات الصوتية .

٦ ـ ان المادة أو المكان اللغوى قد عزى اليه السبب فى التغيرات الصوتية .

إن انهماك الناس الفطرى بالقادمين الجدد يحدث بعض التغيرات .

إن الفرق بين الفرنسية والبروفنسالية (langue d'oc and langue d'oil)

تتطابق وفقا لذلك بنسب مختلفة عناصر الكلية الأصلية فى قسمى الغالية (لغة

الغاليين Gaul الأدماء الفرنسية السابقة) . ولقد استعملت هذه النظرية أيضا فى تتبع الاختلافات اللهجية للايطالية وأثر اللهجات الليغورية والاوتروسكية (Ligurian. Etruscan) بالاستناد على الاقليم . ولكن أولا ، هذه الفرضيات تفترض ظروفا عادة الوجود . ثانيا ، علينا أن نكون أكثر دقة : هل أدخل السكان الاصليون بعض عاداتهم النطقية فى اللغة الجديدة التى تبنوها ؟

هذا أمر مقبول وطبيعى تماما . ولكن إذا عادت قوى عدم التوازن العرق من جديد فان المأزق الذى وصف قبلا سيعود للظهور .

٧ — التفسير الأخير — الذى لايستحق التسمية — يقارن بين التغيرات الصوتية فى الطراز (الموضة fashion) . ولم يفسر أحد هذه التغيرات ، نحن نعلم أنها تعتمد على قوانين التقليد ، التى تعد من اختصاص عالم النفس . هذا التفسير مكذا لايحل مشكلتنا — له فائدة فى ادخاله فى مسألة أكبر ووضع قواعد نسبية التغيرات الصوتية . ولكن أين نقطة بداية التقليد ؟ ذلك هو السر فى التغيرات الصوتية تماما كما هو فى تغيرات الموضة .

أثر التغيرات الصوتية غير محدود :

إذا أردنا تحديد سير التغيرات الصوتية ، فاننا نلاحظ مباشرة أنها غير محددة ، ولايمكن حصرها ، أعنى ، أننا لانستطيع أن نتوقع أين ستتوقف .

انه لتفكير طفولى أن نعتقد أن الكلمة يمكن أن تتغير فقط إلى حد معين ، وكأن هناك شيئا ما يستطيع المحافظة عليها أو صيانتها . ان التعديلات الصوتية تأخذ ميزتها من اعتباطية العلامة اللغوية التى تتميز عن المدلول .

نستطيع أن نلاحظ بسهولة أن أصوات الكلمة قد تأثرت فى لحظة معينة ،

ولرى مدى الاختلاط أو الخلط ، ولهذا لانستطيع القول سلفا ، كيف ستصبح الكلمة أو أنها ستصبح غير مميزة أو غير معروفة .

مثل كل الكلمات التى لها نفس النهاية ، فان كلمة siwom (Latin sevem) الهندوأوروبية الأصلية تغـــيرت إلى : siwan, siwa, siw في الالمانية الاصلية . وبعد ذلك ، « siw » أصبحت « ew » فى الالمانية الفصحى القديمة ، مثل هذا حصل مع كل كلمة تحتوى على المجموعة « iw » ، ثم تحقق فى « eo » تغير « w » نهائية إلى « o » التى تحولت بالتالى إلى eo, io — تمشيا مع القواعد العامة المماثلة الأخرى ، وأخيراً « ie » أصبحت « ie, j » التى أوجدت « je » وفى الالمانية الحديثة . (قارن : « أنه أجمل مارأيت فى حياتى »

das schönste, was ich je gesehen habe

إن الكلمة الحديثة لا تحوى أى عنصر من عناصرها الاصلية إذ نظرنا اليها من وجهة نظر نقطة الابتداء . والنتيجة النهائية ، كل خطوة إذ نظر اليها منفصلة ، تكون محددة الاطلاق ومطردة ومحدودة فى أثرها ، بالنظر اليها ككل ، تماما ، فان الكلمة تعانى الانطباع بالعدد غير المحدود من التعديلات أو التغيرات . علينا أن نجرى نفس الملاحظة حول الكلمة اللاتينية Calidum بالابتعاد أولا عن الصيغ الانتقالية ، ونقارن هذه الصيغة مع الصيغـــة الفرنسية الحديثة : (دافىء • written . chaud) So ، ثم نعيـــد متابعة الخطوات .

calidum, calidu, caldu, cald, calt, tsalt, tsaut, ṡaut, ṡot, ṡo.

قارن أيضا الكلمة العامية اللاتينية : (يرح written gain) waidanjare → gē

minus → mwẽ (written moins أقل) , hoc illī → wi (written oui « نعم ») .

كما أن التغير الصوتي غير محــدود ولا محصور في تأثيره على كل أنواع العلامات، لايفرق بين الجذور (الأصول) ، اللواحق ، إلخ . يجب أن تكون هذه صحيحة أولا ، لأنه إذا تدخل النحو ، فان الظاهرة الصوتية ستختلط مع الحقيقة الوصفية ، وهو الشيء المستحيل جذريا ، (أصلا) . هنا إذ أخذ في الاعتبـار أننا نستطيع الكلام عن الطبيعة العشوائية التطورات الصوتية .

على سبيل المثال ، فان صوت « S » لايسقط في اليونانية بعد صوت « n » فقط في الكلمات : (giving Khênes, mênes) « شهور » menses و « أوز » Khânses . عندما لايكون لها قيمة نحوية ولكن أيضا في الصيغ الفعلية مثل : etenes, ephanes, etc. (وهذه تعطى الصيغ eteine,) (ephêne, etc التي تحدد الزمن الماضي The aorist) في الألمانية الفصحى الوسطى .

حروف العـلة التنبيرية (posttonic vowels) i, e, e, o أصبحت بشكل مضطرد (gibil → Gi bel, meistar → meister) حتى أن اختلاف المادة بين أو حدد عدد النهايات التصريفية (الاشتقاقية) . هذا يبين كيفية اندماج المفرد المنصوب « boton » ، والمفرد في حالتي الاضافة والمفعولية boten وفي « boten » .

إن التغيرات الصوتية ستسبب اضطرابا عميقا في التنظيم النحوى إذا لم يوقفها حاجز أو عائق هذا سيكون الموضوع الرئيسي للفصل التالي .

الفصل الثالث

النتائج النحوية للتطور الصوتى

١ – تحطيم الرابط النحوى :

إن من أول نتائج الظاهرة الصوتية هو فك الرابط النحوى الذى يوحد مصطلحين أو أكثر . ان النتيجة هى أن الكلمة الواحدة لا تشعر إلى فترة طويلة بأنها مشتقة من أخرى .

mansiò —— mansiò ràtecus

« تدبير شؤون المنزل » ménage // « بيت » maison

ان الفكر الجمعى لجماعة المتكلمين رأى مقدما أن natious —— mansiò مشتقة من mansiò ، ثم فرقتها أو فصلت بينها التغيرات الصوتية . بالمماثل :

(Vervéx – Vervè àrius)

Vulgar latin « اللاتينية العامية » berbix ------ ferbicàrius

« راعى » berger // « شاه » brebis

إن لانفصل أثرا مضادا على القيمة . إن كلمة berger تعنى فى بعض اللهجات المحلية « راعى البقر » . نماذج أخرى :

gratianepolis —— gràtiànopòlitànus //// decem —— undecim

Grenoble //_ Grésivaudan ///// ///// ///// dix « عشرة »

« واحدى عشرة » onze //

و دس « bitr – « عضضا » bitum – « يعض » bîzatb » القوطية « Gothic

تعد (bitings) مثالا مماثلا . بمتابعة تغير صوت (t) إلى ts (Z) من جهة ، والمحافظة على مجموعة (tr) من جهة أخرى . ان الألمانية الغربية يوجد فيها :

Bizan, bizum // bitr

بالاضافة إلى ذلك ، فان التطور الصوتي يمكن أن ينتك العلاقة الطبيعية بين الصيغتين التصريفيتين لنفس الكلمة . فى الفرنسية القديمة ، على سبيل المثال ،

comes —— comitem became cuens // comte, baro —— barônem → ber // baron, presbiter —— presbiterum —— prestre // provoire.

أو أن تقسم النهاية إلى اثنتين . كل المفردات المنصوبة تميزت بنفس النهاية –m فى الهندوأوروبية الأصلية

(ek, wom, owim, podm, materm, etc.)

لا يوجد فى اللاتينية تغير جذرى بهذا المعنى ، ولكن المعالجة الجديدة الاختلافية فى اليونانية للصوائت (Sonant) والصوامت (Con sonant) الأنفية أنشأت مجموعتين متميزتين من الصيغ :

hippon, ô (W) in against podа, matera

ان الجمع المنصوب مبين حقيقة مماثلة (قارن : hippous and podas) .

٣ – طمس بناء الكلمات :

أثر نحوى آخر للتغيرات الصوتية ، يكون فى تلك الأجزاء المتميزة الدقيقة التى تساعد على اثبات قيمة الكلمة تصبح غير قابلة للتحليل . تصبح الكلمة كلا لا يتجزأ . أمثلة :

French ennemi عدو، (cf. قارن Latin inimicus-- amicus), latin Perdere (cf. older per-dare-- dare), amicio (for ambjicio jacio) German Drittel (for drit-teil -- Teil).

ان طمس بناء الكلمات مرتبط بوضوح في عدة نقاط إلى تحطيم أو فك الروابط النحوية، (أنظر الفصل الاول)، على سبيل المثال، ان القول بأن كلمة (ennemi) لايمكن تحليلها يشكل طريقة أخرى من القول بأن أجزائها لايمكن مقارنتها إلى حد كبير كما دون الصيغة in-imicus from simple amicus :

amīcus --- inimicus

ami // ennemi

مشابهة بشكل كبير لـ : mansiō ---- mansiōnaticus

maison // ménage

قارن أيضا : decem --- undecim against dix // onze

الصيغ اللاتينية الكلاسيكية البسيطة : hunc, hanc, hāc, etc ، تعود إلى الصيغ : hon ce, han - ce, ha - ce, etc (موثقة بواسطة صيغ منقرشة) وهي نتيجة لالصاق الضمير بالمادة ce - كانت hon - ce الخ ، يمكن مقارنتها أو تشابهها مع ec - ce .. الخ ، ولكن المقارنة لم تعد ممكنة بعد سقوط e - تلك طريقة أخرى من القول بأن عناصر كلمات hunc, hac, etc لم تعد متميزة إلى حد ما . إن التطور الصوتي يجعل التحليل غامضا ، ثم يجعله مستحيلا تماما ، ان اشتقاق الأسماء في الهندوأوروبية الأصلية ، يعد حالة من صميم الموضوع .

إن تصريف الأسماء في الهندوأوروبية الأصلية كان كما يأتي :

المفرد المرفوع Podes ، النصب Pod-m ، المفعولية Pod-ai ،

الظرفية ped-i ، الجمع المرفوع rod-es ، النصب pod ns . . الخ . فى البداية كان تصريف was ،ek متطابقا :

ek wo r, ekwo m, ek, wo-ai, ek, wo-i, ekWo-es, ek, wons, etc.

وخلال تلك الفترة ظهرت -ek , wo بسيطة مثل -pod . لكن الترخيمات الصوتية وضعت تلك الحالة أخيرا ، معطية الصيغة المرفوعة ek , wôi ، الصيغة الظرفية ekwoi وصيغة الجمع المرفوع ek , wôs. عند تلك اللحظة فان وضوح الجذر -ek, wo قد تسوى ، وتحليله أصبح عسيرا . حتى وقت متأخر، آثيرات جديدة مثل التفريق بين (حالات النصب) المنصوبات (أنظر ص ١٥٤) تزيل الأثر الأخير للحالة الأصلية . المؤرخون الذى يخافون الاجنبي (Xenodhon) يمكن أن يكون عندهم انطباع أن الجذر كان -bipp وتلك النهايات التصريفية كانت صوتية (hipp — os, etc)

مع النتيجة التى تميزت بها نهايات الكلمات مثل : ek, wo - s and pod - s

فى التصريف كما فى أى شىء آخر ، أى شىء يتداخل مع التحليل يساعد على فقدان الروابط النحوية .

٣ ـ لا توجد هناك ثنائية صوتية متماثلة :

فى الحالتين التين درسناهما (البابين الأول والثانى) ، لقد فرق أو فصل التطور جذريا مصطلحين كانا متوحدين نحويا فى الأصل .

هذه الظاهرة يمكن أن توضح أو تبرز الخطأ الكبير فى التفسير . عند ملاحظة التطابق النسبى بين الكلمتين baad : barōnem فى اللاتينية العامية والمخالفة بين الكلمتين ber : baron فى الفرنسية القديمة ، ألا يكون مبررا لنقول ان

صيغة واحدة أو نفس الصيغة (-bar) تطورت فى اتجـــاهات مختلفة وأنتجت صيغتين ؟ لا ، بالنسبة لنفس الصيغة لايمكن أن تخضع فى نفس الزمان والمكان إلى تحولين مختلفين ، سيكون ذلك متناقضا للتعريف الدقيق للتغيرات الصوتية . إن التطور الصوتى بنفسه لا يمكن أن يبدع أو ينشىء صيغتين لتحلان محل واحدة .

هنا الاعتراضات التى يمكن أن تظهر منذ بحثى مقدمة عن طريق الأمثلة : يمكن أن يقول بعض الناس :

لقد قدمت كلمة Collocare كلا من : « مكان » colloquer و « نوم » coucher لا ، انها لم تقدم إلا coucher ، أما colloquer فما هى إلا مقترضة من اللاتينية (قارن : « افتداء » (redemption) « فدية » (rançon) .

اعتراض آخر يمكن أن يكون ، وهو أن (Cathedra) قدمت كلمتين فرنسيتين أصليتين هما : « كرسى » and chaise « منبر الوعظ » (Chaire) . حقيقة أن chaise صيغة لهجية قد نسيت . اللهجة الباريسية غيرت الصامت الداخلى (r) إلى (Z) . على سبيل المثال ، يقول المتكلمون : « أم » mere و « أب » pese, mere for pere . لم تحتفظ الفرنسية الأدبية إلا بصيغتين من الاصطلاحات الاقليمية : Chaise and bésicles

ان الثنائية المماثلة « تشهد » bericles اشتقت من « حجر أخضر كريم » beryl . نفس الشيء يصح على pisard, rescapé (الشخص الذى يفر من الموت أو الظــلم) التى حظيت بالانتشار فى الفرنسية ، وتقف الآن فى مقابل كلمة rechappé (الذى يهرب طوعا عن الانجاب) .

الكلمات الفرنسية : «يركب» (and cavalcade) «فارس» (and chevalier) «راكب» (cavalier) «مسافة الحاجز» (and chevauche)

قد وجدت جنبا إلى جنب بواسطة لأن : cavalier and cavalcade قد استعيرتا من الايطالية . ان تطور كلمة calidum التى أصبحت chaud «دافىء» فى الفرنسية . و caldo فى الايطالية ، هما فى الأساس كلمة واحدة . كل النماذج السابقة هى أمثلة من الألفاظ المقترضة (الدخيلة) .

إن الجواب على الاعتراض القائل بأن الضمير اللاتينى (mē) تحقق فى صيغتين فى الفرنسية : me and moi (قارن :

إنى أنا الذى يرانى il me voit and c'est moi qu'il voit إنه يرانى يكون هذا : (mē) غير المنبورة أصبحت (me) بينما (mē) المنبورة أصبحت (moi) ان وجود النبر أو غيابه لايعتمد على القرائن الصوتية التى جعلت mē تصبح (me)، ولكن على وظيفة الكلمة فى الجملة ، انها ثنائية نحوية (انها ازدواج نحوى) . بنفس الطريقة ، لقد بقيت - ur الألمانية - ur عندما نبرت وأصبحت er عند النبر الأول (عندما نبرت فى البداية) (قارن urlaub and grlaüben) ولكن الأداء الوظيفى للنبر يكون نفسه مرتبطا بالنماذج البنائية التى تحتوى (ur) وهكذا ، بالنسبة للحالة النحوية والوصفية . وأخيرا ، لنعود إلى النموذج الأول، إختلافات الصيغة والنبر فى الثانى barōnem ، bōrō يؤرخ أو يسبق التغيرات الصوتية .

4 ـ التناوب أو التعاقب (alternation) :

ان كلمتين مثل : maison : ménage نادرا ماتدفعنا لمحاولة الكشف عن المسئول عن الاختلاف أما بسبب اختلاف العناصر (—ezō and - en—)

وهذه لا تصلح جيدا للمقارنة ، أو بسبب عدم وجود ثانٍ يعطى تناقضا متوازنا .

ولكن ما يحدث غالبا أن الكلمتين المتقاربتين تختلفان فى عنصر أو عنصرين يمكن استخراجها بسهولة ، وأن نفس الاختلاف يتكرر بانتظام فى مجموعة الثنائيات المماثلة ، هذا هو التناوب ، انه أوسع وأكثر الحقائق النحوية شيوعا التى تلعب فيه التغيرات الصوتية دورا .

فى الفرنسية ، كل (O) فى مقطع مفتوح أصبحت (eu) عندما نبرت وأصبحت (ou) قبل النبر (أو عنصر النبر الأول) ، هذا أوجد ثنائيات مثل عامل (ouvriar) : عمل (oeuvre) . يستطيعون (p uvent) نستطيع (pouvons) جديد neuf : nouveau .. الخ ، يكون من السهولة استخراج الاختلاف والعنصر المتغير بانتظام . فى اللاتينية (التفخيم rohotaci Zation) يجعل gerō تتناوب مع gestus و oneris تتناوب مع (onus) و maeor تتناوب مع maestus .. الخ ، بينما عوملت (S) بشكل مخالف تبعا لموضع النبر فى الألمانية ، يوجد فى اللغة الألمانية الوسطى ، التناوبات :

ferliesen : ferloren, ki sen : gekoren, friesenage, froren, etc.

لقد انعكس سقوط صوت (e) فى الهندوأوروبية الأصلية على الألمانية الحديثة فى المتقابلات :

beissen : biss, leiben, litt, reiten : ritt, ect.

العنصر الجذرى فى كل النماذج السابقة هو الجزء الذى يتأثر ، ولكن كل أجزاء الكلمة بالطبع يمكن أن يكون لها مقابلات مماثلة . لا يوجد شىء أكثر شيوعا ، على سبيل المثال . أكثر من السابقة (prefix) التى تأخذ أشكالا مختلفة تبعـــا

لتشكيل الجزء الاول من الجذر (قارن : نافه (fcuil غير معروف inconnu

(Greek apo - didômi : ap - érchomai, French

ان التناوب صوتي (o : e) في الهندوأوروبيه الاصلية الذي يجب أن يملك — في التحليل النهائي — قواعد صوتية، موجود في عدد كبير من العناصر الالحاقية

(Greek hippos : hippe, phér - o - men : pher - ó - te, gén-os : gén - e - os for gen - es - os, etc.).

لقد عالجت الفرنسية القديمة صوت (a) اللاتيني المنبور بعد الأصوات الحنكية (palatals) .

لقد تحقق هذا في تناوب e : ie في عدد من النهايات التصريفية :

(chant - er : jug - ier, chant - é, jug - ie, tchant - : (قارن) ez : jug iez, etc.

يكون تعريف التناوب بعد هذا : التطابق الموجود بين صوتين معينين أو مجموعات من الأصوات والتبادل المنتظم (المطرد) بين مجموعتين من الصيغ المتواجدة معا .

ان التغيرات الصوتية لوحدها لاتفسر الثنائية ، كما أنها بوضوح ليست السبب الوحيد ولا السبب الرئيسي للتناوب . ان من يقول : ان الكلمة اللاتينية nov- أصبحت neuv- ثم nouv- (French neuve and nouveau) من خلال التغير الصوتي هو تلفيق أو اختلاق لوحدة وهمية وفشل في رؤية الثنائية الوصفية المتواجدة مسبقا . ان اختلاف موقع أو وظيفة كلمة :

nov - in nov - us and nov - ellus

يعود في كليهما إلى التغير الصوتي ، وبشكل خاص إلى النحو ، (قارن :

(barō : barōnem

إن الثنائية الوصفية هى الى توصل وتهمل أى تناوب ممكنا . إن الظاهرة الصوتية لا تفك أو تحطم أى وحدة ، انها تعمل على التناقض بين المصطلحات المتواجدة معا أكثر وضوحا بواسطة نبذ بعض الاصوات .

انه من الخطأ - وهو مشترك بين غالبية اللغويين - أن نفترض أن التناوب يكون صوتيا ببساطة ، لأن الاصوات تشكل مادتها وتلعب دورا فى أصولها من خلال تناوباتها .

الحقيقة أن التناوب إذا ما نظر إليه من بدايته أو نتيجته النهائية هو دائما نحوى ووصفى .

٥ - قوانين التناوب :

هل يمكن إخضاع التناوب لقوانين ؟ إذا كان كذلك، فما طبيعة هذه القوانين؟ خذ التناوب الذى يحدث هكذا غالبا فى الألمانية الحديثة . إذا جمعنا كل النماذج مع بعضها ونظرنا اليها بدون تمييز :

(geben . gibt, Feld : Gefilde, wetter : wittern,
helfen : Hilfe, sehen : sicht, etc.).

فاننا لانستطيع صياغة أساس عام . ولكن إذا انتزعنا من هذه الكتلة الثنائى geben : gibt ووضعناه مقابل الثنائيات :

Schelten : schilt, hel fen : hilft, nehmen : nimt, etc.

نرى أن التناوب يتطابق أو يتوافق مع مميزات الصيغة الزمنية والمظهرية ، الخ .

فى الثنائيات :

Lang : Länge, starke : Stärke, harti : Härte, etc.

لها تناقضا مماثلا مرتبطا بالصيغ لاسمية من الصفات ، فى الثنائيات :

Hand : Hände, Gast : Gäste, etc. توجد صيغ الجمع ، وهكذا ،
بالنسبة لكل الحالات التى يصنفها التلاميذ الألمان تحت التبادل (أنظر كذلك إلى:

Finden : fand or finden : Fund, binden ; band or binden : Bund, schiessen : schoss : Schuss, Fliessen, floss : Fluss, etc.)

التبادل أو الاختلافات الصوتية الجذرية المتوافقــة مع التناقض النحوى ، تعد النموذج الأساسى للتناوب ولكنها متميزة عن الظاهرة العامة بواسطة ميزة غير معينة (أو بصفة غير خاصة) . بشكل عادى بعـــد هذا ، فالتناوب يتوزع بشكل منتظم عبر عدة مصطلحات ويتوافق مع أهم تناقض للوظيفة أو النوع أو التحديد . انه من الممكن أن نتكلم عن القوانين النحوية للتناوب ، ولكن هذه القوانين ليست إلا نتيجة تلقائية للحقائق الصوتية الأساسية (المفهومة ضمنا) ، عندما تخلق الحقائق الصوتية تناقضا منتظما بين مجموعتين من المصطلحات التى تتناقض فى القيمة ، فان الفكر يتوجه إلى الاختلاف المادى يعطيها معنى ويجعلها الحامل للاختلاف الفكرى (أنظر ص ٨٤ وما بعدها) .

إن قوانين التناوب مثل كل القوانين الوصفية تعد أسسا بنائيـــة بسيطة ، انها ليست إلزامية . انه يعد خطأ كليا أن نقول — كما يفعل الناس دائما — أن صوت " a " فى Nacht تغير إلى " ä " فى الجمع Mächte ، لأن هذا يوهم بأن التحول محكوم بأساس إلزامى يأتى بين مصطلح وآخر . انما نهتم به عادة هو التناقض البسيط للصيغ المتحققة عن التطور الصوتى .

حتى تتأكد فان القياس ، (analogy) (سنرى ذلك فى الفصل السادس VI)

يمكن أن ينشىء ثنائيات جديدة تبين نفس الاختلاف الصوتى (قارن :

Kranz : Kränze, mopeled on Gast : Gäste, etc.)

ان القانون يبدو هكذا ليطبق مثل القاعدة التى تحكم الاستعمال حتى تعديله أو تغييره . ولكننا نزعم أن هذه التغيرات فى اللغة تتم تحت رحمة صراع المؤثرات القياسية ، وهكذا يكفى لبيان أن مثل هذه القواعد غير دائمة الاستقرار وتناسب تماما تعريف القانون الوصفى . ان السبب الصوتى للتناوب فى بعض الأحيان لا يزال واضحا .

فى الألمانية الفصحى القديمة ، على سبيل المثال ، الثنائيات التى ذكرت فى ص ٨ ، كان لها الصيغ التالية :

geban : gibit, feld : gefild : etc.

خلال تلك الفترة ظهر الجذر نفسه ، وفى صوت « i » بدل « e » عندما تكون « i » متلوة لـ صوت « e » فى كل مثال آخر .

ان التناوب فى الكلمات اللاتينية :

facio : con ficio, amicus : inimicus, facilis : diffacilis, etc

يبدو وكأنه مرتبط بحالة صوتية التى يرغب المتكلمون التعبير عنها بهذه الطريقة :

فان صوت « a » فى مثل هذه الكلمات مثل : facio and amicus تتناوب مع صوت « i » فى المقاطع المتوسطة الكلمات من نفس العائلة .

ولكن التناقضات الصوتية السابقة تقترح نفس الملاحظات تماماً مثل كل القوانين النحوية : انها وصفية to for .

إن نسيان ذلك يعرض للخطر ا حطأ فى التفسير المبين قبل (أنظر ص ٩٦ وما بعدها) .

هـ مواجهة ثنائى مثل : facio : conficio يجب أن نكون حذرين فى مواجهة خلط العلاقة بين هذه المصطلحات المتواجدة معا ، والعلاقة التى تجمع مع بعض المصطلحات المتعاقبة للحقيقة التاريخية (confacio → conficio)

يمكن أن نكون مدفوعين الخلط بينهما ، لأن سبب الاختلاف الصوتى لا يزال واضحا فى الثنائى . ولكن الحقيقة الصوتية تخص الماضى ، وبالنسبة للمتكلمين لا يوجد إلا تناقض وصفى واحد . كل هذا يؤكد ما قيل حول الطبيعة النحويه الكاملة للتناوب .

إن كلمة التبدل " Permutation " — المناسبة من بعض الوجوه — قد استعملت لتدل على التناوب ، ولكن يجب تجنبها لسبب وجيه ، لأنها تطلق غالبا على التغيرات الصوتية وتقدم مفهوما زائفا للتحرك عندما لا تكون هناك إلا حالة ثبات .

٦ ـ التناوب والرابط النحوى :

لقد رأينا كيف يمكن أن يسبب التطور الصوتى تحطيم أو فك الروابط النحوية التى توجد الكلمات بتغيير صيغة الكلمات . ولكن هذا لا يصدق إلا على الثنائيات (المنعزلة) المفردة مثل :

maison : ménage, Tll : Drittel, etc.

وليس على التناوب . انه يتضح من البداية أن أى تناقض صوتى مطرد بسيط لعنصرين يتجه ليشكل رابطة بينها .

إن كلمة wetter مرتبط بكلمة wittern غريزيا، لأن المتكلمين تعودوا على رؤية التناوب بين (e) و (i) . عندما يشعر المتكلمون أن هناك قانونا يحكم التناقض الصوتي ، فان التطـــابق العادي يملك أكثر من سبب لفرض نفسه على انتباههم ويساعد على ترابط الرابط النحوي أكثر من فكه أو ضياعه .

هكذا ، التبادل في الألمانية يقوى ويدعم تعيين وإدراك الوحدة الجذرية عبر الاختلافات الصوتية (أنظر ص ١٥٨)، نفس الشيء يصبح أو ينطبق على التناوبات غير الدالة التي تتعلق بمجرد حالة صوتية في الفرنسية ، فان السابقة - re .

(etc. يعيد اللمس retoucher يربح ثانية reganger يسترجع repondre)

قد اختصرت إلى (-r) قبل حرف علة (الصائت) ، (يسترد ماباعه racheter يفتح ثانية rouvrir) بالمشابه .تحت نفس الظروف،فان السابقة - in -مازالت مستعملة حتى من الأصل المتعلم — لها صيغتان متميزتان . لا قيمة له indigue غير معروف (in inconnu) — 6

وكذلك :

in- (in inavouable غير مقبول inutile غير مفيد inesthitigue غيرفني etc.

إن هذا الاختلاف لم ينك وحدة الفكرة بأي شكل من الأشكال، لأن المعنى والوظيفة قد فهما على أنهما متطابقتان ، واللغة قد حددت أين ستستعمل احدى الصيغ أو غيرها.

الفصل الرابع

القيـــــاس

تعـــريف ونمـــاذج

١ ـ تعريف ونماذج :

لقد أصبح واضحا أن التطور الصوتي يعد قوة مربكة ، عندما لاتنشأ تناوبات فان ذلك يساعد على ضياع الروابط النحوية بين الكلمات ، ان العدد الاجمالي للصيغ يزداد بشكل غير مفيد ، وتغمض الآلية اللغوية وتتعقد إلى الحد الذي تنتصر فيه الشواذ الوليدة لأخيرا ـ الصوتية على الصيغ المتجمعة تحت عينات أو نماذج عامة ، وبشكل آخر ، إلى الحد الذي تتغلب فيه الاعتباطية المطلقة على الاعتباطية النسبية (أنظر ص ١٠٢).

من حسن الحظ أن القياس يوازن تأثير التحولات الصوتية . ان كل التعديلات غير الصوتية الطبيعية للجانب الخارجي من الكلمات تعود إلى القياس ؛ إن القياس يفترض أو يقدم النموذج والتقليد المطرد له . ان الصيغة القياسية هي صيغة مصطنعة على منوال صيغة أو أكثر تبعا لقاعدة محددة . ان صيغة الرفع اللاتينية ، honōs ، . على سبيل المثال ، صيغة قياسية ، كان المتكلمون يتلفظون في البـــداية honōs : honōsem ، ثم من خــــلال rhotacization : honōs : honōrem . وبعد ذلك أصبح الجذر صيغتان .

أهملت هذه الثنائية أو أزيلت بواسطـــة الصيغة الجديدة « honor » ، ابتكرت قياسا على النموذج orāter : orāterem, etc, التى ستظهر بالتالى كمادلة نسبية .

oratorem. orāter = honōrem : X

X = honor

هكذا ، القياس ، ليوازن الحدث المتنوع للتغير الصوتى : honōs (ho. ōrem) بعيد توحيد الصيغ ، ويسترجع الإضطراد (honor hoi ōrem) .

كان المتكلمون الفرنسيون يقولون لفترة طويلة

il preuve, nous prouvōns, ils preuvent

وفى الوقت الحاضر يقولون :

il prouve, « هو يؤكد » ils prouvent « هم يؤكدون »

مستعملين صيغا ليس لها تفسير صوتى .

« هو يحب » il aime » مشتقة من اللاتينية « amat » بينما « نحن نحب » nous aimons » هى الصيغة القياسية لكلمة « amens » ، ولابد أن يقول المتكلمون أيضا « amable » بدل (لطيف) aimable .

لقد اختفى صوت « S » الصامتة الداخلية ، — oso — أصبحت — eo — (قارن : géneos for genesos) . ومازالت « s » الصامتة الداخلية موجودة فى فعل الاستقبال ، والأفعال الماضية aorist (مع) « S » فى الالمانية فان :

Gast : Gäste, Balg : Bälge

تعد صوتية ، ولكن :

Kranz : Kränze (previously Kranz : Kranze) .
Hals : Hälse (previously) , etc.

ادى إلى التقليد ان القياس يفضل الاضطراد ، ويتجه لتوحيد الأنظمة البنائية والتصريفية . ولكنه متقلب ، بجانب kranz : kranze إلخ ، تجد الثنائيات : Tag : Tage, Salz, Salze; etc, التى رفضت القياس لسبب أو لآخر .

هكذا ، فاننا لانستطيع القول مقدما إلى أى مدى سيسير تقليد النموذج أو اى أنواع سيجذبها . إن غالبية الصيغ العديدة لاتحتاج القياس المتحرر .

إن الاصل اليونانى التام يملك الصيغ المعلومة

Pepheuge, pepheuges, pepheugemen.

ولكن جميع الصيغ المتوسطة قد تصرفت من غير « e » :

Pephugmai, pephügmetha, etc.

ولغة هوميروس تبين أن صوت « e » كان محذوفا فى الجمع قديما . وكذلك فى مثنى المعلوم (قارن : idmen, eikton, etc,) . لقد بدأ القياس كلية من المتكلم المفرد للبنى للمعلوم ، والغلب على كل تصريفات الدلالية التامة . هذا التطور جدير بالملاحظة ، لأن القياس هنا يتعلق بصوت « — e — » ، فى الاصل عنصر تصريفى ، بالنسبة للجذر يشكل « pepheüga – men » . العكس – ربط العنصر الجذرى بالاحقة – أكثر شيوعا (أنظر ص ١٧٠) .

إن كلمتين أو ثلاثة فى الغالب ، تكفيان لخلق صيغة عامة مثل النهاية التصريفية

فى الالمانية الفصحى القديمة ، فان الافعال الضعيفة (weak verbs) مثل : habên, lobên, etc. كان فيها اللاحقة m- فى المفرد المتكلم للمضارع :
habêm; lobêm, etc.

لقد اشتقت أو أخذت « m » من بعض الأشكال المشابهة لـ «miverbz» . فى اليونانية (bim, tām, gōm, tuom) ، التى فرضت بنفسها النهاية على كل تصريف الأفعال الضعيفة .

لاحظ أن القياس لايهمل الاختلاف الصوتى ، ولكنه يدعم المنهج التشكيلى (منهج الصياغة) .

٣ ـ ان الظاهرة القياسية ليست تغيرات :

لم يفهم النحويون الاوائل طبيعة ظاهرة القياس ، التى سموها « القياس الكاذب » ، انهم ظنوا أن اللاتينية قد أخطأت فى اختراعها كلمة « honor » فيما يتعلق بالنموذج الأصلى « honos » . بالنسبة لهم كل شىء ينحرف عن حالته الأصلية يعد شاذا تشويها للصيغة المثالية . الحقيقة هى — من خلال الصفات المميزة فى زمانهم — أنهم كانوا يرون فى الحالة الأصلية للغة شيئا عظيما وكاملا ، وكأنهم نتيجة لذلك لم يسألوا أنفسهم إذا ما كانت هذه الحالة مسبوقة بغيرها . ان كل حرية درست بناء على هذه الحالة عدت شذوذا . ان مدرسة النحويين الجدد كانت أول من وضع القياس فى مكانه الصحيح بقولهم انه — بجانب التغيرات الصوتية — القوة الاولى فى تطور اللغات ، انه الاجراء أو المنهج الذى تنتقل من خلاله اللغات من حالة التنظيم إلى أخرى .

ولكن ، ما حقيقة الظاهرة القياسية ؟ ان الناس يظنون أنها تغيرات ، ولكن

هل هي كذلك ؟ كل حقيقة قياسية لعد دورا له ثلاثة أبعاد (أو تمثيلية فيها ثلاثة أدوار) :

١) التقليدي . الوريث الشرعي (على سبيل المثال honōs)

٢) المنافس .

٣) الصفة الجمعية المشكلة من الصيغ التي تخلق المنافس .

(honōrem ōrator, ōrātorem, etc.) .

يجب أن نفترض حالا أن صيغة « honor » صيغة معدلة « مشتقة » « metaplasm » من honōs ونقول أنها أخذت غالبية مادتها من honōs .
ولكن الصيغة الوحيدة التي ليس لها دور في انتاج صيغة honor هي هذه الصيغة honōs !

يمكن تصوير ظاهرة القياس بهذا الجدول :

Tradiit Onal forms « الصيغ التقليدية »	new form « الصيغة الجديدة »	
Honōs	honōrem	honor
« لا تلعب أي دور »	ōrātor, oratorem, etc.	
	« مجموعة انتاجية »	

يوجد عندنا بوضوح ، مكونة جانبية « paraplasm » ، تواجد أو تعين المنافس بجانب الصيغة التقليدية — باختصار ، الابداع (الخلق) . طالما أن التغير الصوتي لايقدم جديدا من غير الغاء ما يسبقه (honōrem replaces honōsem) فان الصيغة القياسية لاتحتاج إلى تفصيل أو بيان ثنائيها الخلقي .

لقد تواجدت معا لفترة الصيغتان Honor and honōs واستعملتا بالتبادل . طالما ان اللغة تمانع فى الاحتفاظ ببدالين لفكرة واحدة فان الصيغة الأصلية التى تعد أقل اطرادا تدخل بشكل تام فى قلة الاستعمال والاختفاء . النتيجة هى ما يقدمه انطباع التحول . عندما يتم القياس عمله ، فان التناقض بين الحالة القديمة (honōs : honōrem) والحالة الجديدة (honor : honōrem) وهو بكل وضوح مثل التناقض الناتج من تطور الاصوات . فى اللحظة التى نشأت أو وجدت فيها كلمة « honor » مهما يكن ، لم يتغير شىء ، لأن « honor » لم تحل محل شىء آخر ، ولا يعد اختفاء « honōs » تغيرا ، بالنسبة لهذه الظاهرة ، فأنها مستقلة عن الأولى . حيثما استطعنا متابعة سير الحوادث اللغوية ، فاننا نرى التوليد القياسى ، وزوال الصيغة القديمة شيئين متميزين أو مختلفين ، ونكون هنا قد وصلنا إلى التحول . ان أثر القياس ضعيف فى استبدال صيغة أخرى ، لأنه غالبا يقدم صيغا لا تحل محل شىء أبدا :

إن الألمانية تستطيع أن تصنع تصغيرا « biminutive » فى chen — فى أى اسم مع المعنى الأساسى أو مع دلالة حسية ، إذ كانت كلمة « Elephantchen » قد وجدت فى اللغة ، فانها لا تكون قد حلت محل شىء وجد قبلها . بالمماثل فى الفرنسية على النموذج « pension » صاغوا « رجعى » « reactionary » : « الرجعية » reaction و (المتقاعد) « pensionnaire » . .

يمكن أن يخترع آخر الصيغ : .interventionnaire, represssionnaire, etc معناها (الشخص الذى يحب التدخل) والثانية (الشخص الذى يحب القمع) . . إلخ . الطريقة هى نفس الشىء بشكل واضح مثل توليد (honor) ، كلاهما تطلب نفس الصيغة .

reaction : reacti onnaire = repression : X

X = represeidnnaire

لا توجد هناك على أية حال ، أدنى ذريعة الكلام من التغير ، فان كلمة repressionnaire لم تحل محل شيء ، نموذج آخر ، بعض المتكلمين الفرنسيين يستعملون الصيغة القياسية : fineux instead of finals التى تعد أكثر شيوعا ، يمكن أن يبتدع أى شخص الصفة Firmamental ويعطيها صيغة الجمع firmamentaux . فهل علينا أن نقول ان هناك تغيرا فى كلمة finawx وابداع فى كلمة firmamenteux ؟ فى كلتا الحالتين هناك خلق وابداع . لقد صاغ المتكلمون على النموذج (يقلب) emmurer : (حائط) mur الصيغ الآتية : (مفتوح) ejourer : (ضوء) jour و (محاط بـ) entourer : (يدير) tour (عمل يتطلب اضاءة) in an travail ajouré أعنى رسم الخطوط الملونة : (lace work) ولكن إذا ذكرت أن كلمتى :

entorner and ejorner قد صيغتا على torn and jorn المستعملتان خلال فترة مبكرة ، فهل يجب أن أغير رأيي وأقول أن كلمتى entourer and ejourer هى تعديلات للكلمتين القديمتين ؟ ان خداع التغير القياسى يأتى من اقامة العلاقة بين الصيغة الجديدة والصيغة التى حلت محلها . ولكن هذا خطــأ ، لأن الصيغ المصنفة على أنها تغيرات (like honor) هى أساسا مثل تلك التى سميتها ابداعات أو ابتكارات (like repressionnaire) .

٣ – القياس قوة خلق فى اللغة :

بعد ما عرفنا ما ليس من القياس ، فاننا نبدأ بدراسته لأجل معرفة

ماهيته ، اننا نجد أنه يرتبط بمرحلة كبيرة مع أساس الخلق اللغوى بعامة . ماذلك الأساس ؟

القياس نفسى . ولكن هذا لا يكنى للتفريق بينه وبين الظاهرة الصوتية ، لأنها يمكن أن تعد نفسية أيضا (أنظر ص ١١٥) . علينا أن نذهب أبعد ونقول أن القياس نحوى .

انه يفترض ادراك وفهم العلاقة بين الصيغ . ان المعنى لا يلعب دورا فى التغيرات الصوتية ، ولكنه لابد أن يتدخل فى القياس . بقدر ما نستطيع القول ، فلا المقارنة مع الصيغ الأخرى ولا المعنى لها أى دور فى الانتقال من (S) الصامت الداخلى إلى صوت « r » فى اللاتينية . ان هيكل الصيغة honôsem انتقل إلى honôrem . ان صيغا أخرى لابد أن تتقدم لتحـــدد لظهور صيغة honor بجانب صيغة honôs . وهذا يظهر فى ملة المعادلة النسبية :

āratōrem : ārator = honōrem : X

X = honor

إن التجميع الجديد لن يكون له أساس إذا لم يجمع الفكر صيغها من خلال معانيها . نحوى باستمرار ، ولكن دعنا نعمل باضافة أن نتيجته النهائية — الخلق — تخص أولا ، المتكلمين فقط . انها نتاج الصيغة للتكلم الفرد . هنا وعلى هامش اللغة يكون المكان الذى يجب أن نبحث فيه هذه الظاهرة . ولايزال أمران لابد من الاحتفاظ بها بعيدا .

أ) ادراك العلاقة التى تربط الصيغ المنتجة مع بعضها .

ب) النتيجة المتحققة من المقارنة فى الصيغة المرتجلة من المتكلم ليعبر عن فكرته . ان النتيجة تخص المتكلم وحده .

القياس ، من ثم ، هو أكبر مثل على التفريق بين اللغـــة والكلام (أنظر ص ١٧ وما بعدها) ، انه يرينا أن الثانى يعتمد على الأول ، كما يشير إلى جوهر الآلية اللغوية ، كما شرحت فى ص ١٢٠ . ان أى خلق أو ابداع لابد أن يسبق بمقارنة غير واعية للمواد المترسبة فى المخزون اللغوى ، حيث الصيغ الإنتاجية مرتبة تبعا لعلاقاتها السياقية التركيبية والمرافقية .

إن الجزء الأكبر من الظاهرة القياسية قد اكتمل قبل أن تظهر الصيغة الجديدة .

إن الكلام مشغول باستمرار فى تشكيل وحداته ، ان هذا النشاط لا يقتصر على كل امكانية الحديث المؤثر ، ولكن على كل امكانية الصياغة القياسية . انه من الخطأ أن نفترض أن العملية الانتاجية تعمل فقط عندما تظهر الصياغة الجديدة فعليا . ان العناصر موجودة دائما هناك . ان الكلمة المشكلة حديثا مثـــل in - decorable دائما لها وجود بالقوة فى اللغـــة ، كل عناصرها توجد فى التراكيب مثل :

طيع mani able اعتذار pardonn-ab:e زينة decor—ation يزين décor- er مجهول in connu مجنون in—sousé etc.

والخطوة الأخيرة فى تحقيقها فى الكلام يعد مسألة بسيطة بالمقارنة مع تشكيل القوى التى تجعلها ممكنة . باختصار فان القياس - بالنظر اليه فى نفسه - يعد جانبا واحدا فقط من ظاهرة التفسير ، احد مظاهر النشاط العام الذى يفرز وحدات الاستعمال اللاحق . هذا السبب الذى من أجله قلت ان القياس يعد بشكل كامل نحويا ووصفيا .

إن الميزة النحوية والوصفية القياس تقدم ملاحظتين تؤكدان وجهات نظرى حول الاعتباطية المطلقة والنسبية (أنظر ص ١٣١ وما بعدها) .

١) يمكن أن تعد الكلمات لتوليد كلمات أخرى إلى حد يمكنها من أن تحلل نفسها . ان الكلمات البسيطة هى بالتحديد غير منتجة (قارن : .racine جذر etc ، شجرة ، abre ، مستودع ، french mahasin) ان كلمة ، حارس المستودع ، Magasinier ، لم تتولد بواسطة ، magasin ، . لقد صيغت على النموذج ، سجن ، drisen : ، سجين ، prisonier ، إلخ .

وبنفس الطريقة فان : كلمة : لتخزن ، emmagisiner ، المدينة فى وجودها لقياسها بالكلمات ، يلبس طربوشا ، encapuchonner ، و ، شكل ، encadrer و (رباط) emmailloter ، إلخ .

التى تتضمن الكلمات : .etc (طربوش ، قلنسوة) capuchon و (شكل) (maillot, cadre) رباط الملابس .

تملك كل لغة الكلمات المنتجة والعقيمة بنسب مختلفة . ان هذا يعيدنا إلى الفارق بين اللغات المعجمية والنحوية (أنظر ص ١٢٢) . معظم كلمات اللغة الصينية تعد غير مفككة ، فى اللغة الرسمية ، نوعا ما ، غالبا ما تتكون الكلمات هكذا . ان اللغة الاسبرانتية (Esperantist) تملك حرية غير محدودة فى بناء كلمات جديدة على جذر محدد .

٢) لقد وجدنا (فى ص ١٦١) أن أى ابداع قياس يمكن أن يصور على أنه عامل بشكل نسبى تستعمل هذه الصيغة فى الغالب لتفسير ظاهرة الابداع القياسى نفسها . ولكننا وجدنا تفسيرها فى تحليل واعادة بناء العناصر التى تقدمها

الفه ، هناك صراع بين المفهومين . إذا كانت النسبية أو الجزئية تمد تفسيرا مقنعا ، فلماذا يفترض تحليل العناصر ؟ لصياغة (indecorable) ، لا توجد مشكلة فى استخراج عناصرها (in - acor - able) . كما يحتاج عمله ، هو أخذ الكل ووضعه فى معادلة :

pardonner ble, etc = decorer : X

X = indecorable

لا توجد هنا عملية معقدة مثل : تحليل النحويين المنصب الملقى على عاتق المتكلم . فى الثنائيات : Krantz : Kränze modeled on Gast : Gäste وهلم جرا ، فان التفكك يبدو أقل احتمالا من التناسب طالما أن جذر النموذج يمكن أن يكون : Gast - or (Sat - . ان الميزة الصوتية لكلمة (Gaste) يمكن أن تكون نقلت ببساطة إلى كلمة Kranze .

أى النظريتين تناسب الحقائق ؟ (مع الاعتقاد بأن كلمة Kranz لا تقصى التحليل بالضرورة ، لقد لاحظنا التناوب فى الجذور والسوابق والشعور بأن التناوب يمكن أن يوجد جنبا إلى جنب تحليلا ايجابيا (أنظر ص ١٥١) .

إن المفهومين المتقابلين ينعكسان فى بحثين نحويين مختلفين . يتعامل النحويون الاوروبيون مع الجزء ، انهم يفسرون صيغة الفعل الماضى فى الالمانية ، على سبيل المثال ، بالابتداء من الكلمة الكلية . يطلب من التلميذ أن يصوغ الفعل الماضى من « Lachen » على مثال النموذج : Setzen : Setzte ، إلخ ، مقابل هذا ، يدرس النحو الهندى الجذور (Setz -, lach - , etc.) فى فصل ونهايات الفعل الماضى (te, etc. -) فى فصل آخر . ان نتيجة التحليل لابد أن تحدد ومن هذه العناصر لابد أن يعاد بناء كل الكلمات .

إن الأفعال فى كل معجم سنسكريتى مرتبة تبعا للنظام المحدد لجذورها .

يميل منظروا النحو فى اتجاه المنهج السائد فى بحوعتهم اللغوية .

إن اللاتينية القديمة تفضل المنهج التحليلى . وهذا دليل واضح : فالعدد ليس متشابها فى الكلمتين : fáctus and âctus على الرغم من fă cio and agō علينا أن ندعى أن actus تعود إلى ǎgtos وترجع تطويل الصائت إلى الصامت المجهور التالى ، هذه الفرضية ثابتة تماما فى اللغات الرومانية .

لقد انعكس تناقض الثنائيات : spěcio : spectus مقابل tĕgō ; tectus على الفرنسية : despectus (= bespectus), and على الرغم ، dépit
toit سقف (= tectum.)

قارن : confició : confectus (French condit معسول against regō : rēctus directus → (French droit مستقيم).

ولكن الكلمات : agtos, tegtos, regtos لم تورث فى الهندوأوروبية التى كان فيها بالتأكيد : aktos, tektos, etc . لقد عرفتها لاتينية ماقبل التاريخ وهذا ، على الرغم من صعوبة نطق الصامت المجهور قبل المهموس . لقد كان ذلك ممكنا فقط بواسطة المعرفة الدقيقة للوحدات الجذرية (ag —, teg —, reg —) . ان الشعور بأقسام الكلمة (الجذور، اللواحق ، إلخ) ونظامها كان لهذا السبب قويا فى اللاتينية القديمة .

إن الشعور ليس دقيقا على الأرجح فى اللغات الحديثة ، ولكنه قوى فى الألمانية أكثر من الفرنسية (أنظر ص ١٨٦ ومابعدها) .

الفصل الخامس

القياس والتطور

١ - كيف يدخل التجديد " innovation " القياسى اللغة :

لا شيء يدخل اللغة من غير أن يختبر بالكلام ، وكل ظاهرة تطورية لها جذورها فى الفرد . هذا الأساس — الذى بيناه سابقا (أنظر ص ٩٨) ، ينطبق بوجه خاص على التجديد القياسى .

قبل أن تصبح كلمة " honor " منافسا قويا قادرا على أن يحل محل كلمة " honos " كان لابد أن يبتكر شخص ما الكلمة الجديدة ثم يقلده الآخرون ، ويكررونها أو يرددونها حتى تفرض نفسها داخل الاستعمال الصحيح . ولكن ليس كل تجديد قياسى محظوظا هكذا . ان التجمعات الناقصة النمو التى لا يمكن أن تتقبلها اللغة موجودة دائما . فالأطفال لأنهم غير مؤهلين للاستعمال اللغوى السليم وغير قادرين على الاحاطة به يملأون كلامهم بركام من هذا : فهم يقولون فى الفرنسية :

Viendre for venir « تعال » , mourn for mort « ميت » , etc.

ولكن البالغين يستعملونها أيضا ، على سبيل المثال ، كثير من الناس يقولون : " traisait " (الموجودة بشكل تلقائى فى كتاب روسو) بدل « يرضع ، يشرب حليب » " trayait " .

كل هذه التجديدات أو الابتكارات مطردة تماما ، لقد فسرت بنفس الطريقة التى تقبلت اللغة بها غيرها ، فكلمة "Viendre" على سبيل المثال ، تنشأ من المعادلة (التناسب) :

eteindrai : éteinbre = Wiendrai : X

X = Viendre

كما أن كلمة traisait صيغت على النموذج « ي تأذن » plaisait «من فضلك» plaire ، الخ .

إن اللغة لا تحتفظ إلا بالقليل من ابتكارات المتكلمين ، ولكن تلك الابتكارات الباقية كثيرة إلى الحد الذى يكفى للتغيير الكلى لمظهر مفردات اللغة ونحوها ، من فترة إلى أخرى . لقد أصبح من الواضح نتيجة لما قيل فى الفصل السابق ، أن القياس لا يستطيع لوحده أن يكون قوة فى التطور ، وهذا الابدال المطرد للصيغ القديمة بصيغ جديدة يعد من أقوى الملامح فى تحول اللغات .

فى كل فترة تحل صيغة جديدة معينة ، وتطرد منافسها ، بشكل طبيعى يخلق شيء جديد ويهجر شيء آخر ، والنتيجة أن القياس يشغل حيزا مرموقا أو متفوقا فى نظرية التطور . هذه هى النقطة التى أرغب فى تأكيدها .

٣ ـ الابتكارات القياسية باعتبارها مؤشرات التغيرات فى التفسير :

إن اللغة لاتتوقف أبدا عن توضيح وحل وحداتها أو تفكيكها . ولكن ، لماذا يختلف التفسير باستمرار من جيل إلى آخر ؟ لا بد أن يبحث عن السبب فى الكمية الكبيرة من القوى التى تهدد ـ باستمرار التحليل المتبنى فى حالة لغوية خاصة سوف أذكر بعضا منها .

إن أول وأهم قوة هي التطور الصرفي (أنظر الفصل الثاني) . ان اجراء بعض التحليلات الغامضة ، وبعض التحليلات المستحيلة تجعل التغيرات الصوتية تؤثر في ظروف ونتائج التحليل ، بذلك تتحول الحدود وتتغير طبيعة الوحدات . (أنظر ص ١٤١) بالاضافة إلى المركبات مثل :

beta – bûs and redo – tich, and P. 150:

« بالاضافة إلى تصريف الاسم في الهندوأوروبية الأصلية » .

بالاضافة إلى الحقيقة الصوتية هناك الالصاق (سوف يبحث فيها بعد) الذي يحول مجموعة من العناصر تلتحم في وحدة واحدة ، وكل ظرف متصور — ولو كان خارجيا — يمكن أن يعدل تحليل الكلمات . لأنه أصبح واضحا أن التحليل ، لأنه ينتج عن مجموعة من المقارنات ، يعتمد باستمرار على الظرف المرافق للمصطلح إن صيغة التفضيل في الهندوأوروبية الأصلية « swād - is - to - s » تحتوي على لاحقتين مستقلتين – is – ، التي تحمل فكرة صيغة التفضيل . (قارن : Latin mag - is) ، – to - التي تعين المكان المحدد للمتحول به في المجموعة (قارن : « الثالث » ، Greek tri – to – s) . لقد التصقت اللاحقتان (قارن :

(Greek hēd - isto - s, or rather hēd - ist os

ولكن الالصاق دعم بشكل كبير بالتالي بحقيقة هي متصلة بمفهوم أو بفكرة صيغة التفضيل : لقد حذفت صيغ التفضيل في – is من الاستعمال ، لقد استبدلت بصيغ تحمل اللاحقة jos – ، حتى أن – is – لم تعرف طويلا على أنها عنصر مستقل ، ولم تبعد طويلا منفصلة عن —isto— .

إننا نسجل في تجاوزنا للاتجاه العام على اختصار الجذر بفضل العنصر التشكيلي ، وبخاصة عندما ينتهي السابق بصائت (حرف علة) . هكذا ، اتخلب اللاحقة اللاتينية :

— tāt —(vēri - tāt- em for vēro- tat- em cf. Greek deino- tēt- a)

على صوت " i " من جذر "كلمة" ، عملية التحليل : Ver - itōt- em

وبنفس الطريقة :

Rōmā—nus, Albā—nus (cfaenus for aesno- s)

فقد أصبحت : Rōm -ānus, etc.

إن كيفية بداية التغيرات فى التفسير ليس لها أهمية ، انها تظهر دائما من خلال تواجد الصيغ القياسية . فى الحقيقة . إذا أدرك المتكلمون فى الوقت المناسب الوحدات الحية فانهم يستطيعون بأنفسهم توليد الصيغ القياسية . إن كل إعادة توزيع معينة للوحدات تتطلب أيضا فترة ممكنة لاستعمالها . يعد القياس لهذا دليلا إيجابيا على أن العنصر التشكيلى يتواجد فى فترة محددة على أنه وحدة دالة .

Merī diōnālis (Lactantius) for meridialis

تبين أن التقسيم كان : Septe ntri—onālis, regiōnalis,

ولاثبات أن اللاحقه tāt — قد ازدادت بواسطة العنصر المقترض من الجذر نحن للاستشهاد ب : celer -itātem, pāg - ānus

التى بنيت على الصيغة "pāg—us" ، لتكون كافية لبيان كيف حلل المتكلمون اللاتينيون كلمة Rōm- ānus ، وتحليل كلمة redlich (أنظر ص ١٤) .

قد تأكد بواسطة تواجد صيغة "sterblich" المصاغة مع جذر فعلى .

ان نموذجا واضحا غير عادى سوف يبين كيف يعمل القياس بعيدا عن الوحدات الجديدة من فترة إلى أخرى . فى الفرنسية الحديثة :

Somnolent « نعسان » is analyzed somnole - ent,

وكأنها كانت مضارعا مستمرا . ودليل ذلك تواجد أو بقاء الفعل ، أصبح له بالنا ، Somnoler .

ولكن التقسيم في اللاتينية كان :

Somno—Leatus, Like succu—lentus, etc.

وكانت قبل ذلك :

رائحة الخز Soma—dentus رائحة النوم from olére asin vio olentus

إن الأثر الأكثر وضوحا وأهمية القياس هو استبدال صيغ أكثر اطرادا مؤلفة من عناصر حية بصيغ شاذة قديمة وآيلة للزوال .

إن الأشياء بدون شك لا تجري دائما هكذا بسهولة . ان الأداء اللغوى يضطرب بكثير من التأتآت والتقديرات التقريبية والتحليلات الجزئية . لم يكن للمعير في أي وقت نظام ثابت كامل من الوحدات . فما قيل حول تصريف كلمة : " ekwos " في مقابل pode فانه من الواضح أن التحليل الناقص يؤدي في بعض الأحيان إلى تشويه الابتكارات القياسية .

إن الصيغ الهندوأوروبية الأصلية :

. geus - etai, gus—tos, gus—tis ,

أسمح لنا باستخراج الجذر : —geus ، —gus . ولكن صوت " S " الصامت الداخل إسقاطه في اليونانية ، وكان تحليل الصيغتين : g itomai, geu-tós بناء على ذلك غامضا . لقد تحقق التقلب ، والجـــذر المستخرج كان في بعض الأحيان — geus وفي أحيان أخرى — geu .

فالقياس بالتالي يمثل الشاهد على هذا التقلب ، لأن الجذور في حالة " eus " تأخذ النهاية " S " ، على سبيل المثال :

(pneu —, pneuma, and the verbal and jective pneus - tic)

ولكن القياس يؤثر فى اللغة حتى ولو كان هناك « تلمس للطريق groping ، وتردد أو تأتأة » ، لأن القياس ، لا يعد حقيقة تطورية فى نفسه ، يعكس عادة التغيرات التى تؤثر فى الأداء اللغوى وتميزها من خلال تجميعات جديدة . انه يشارك بشكل كاف من جميع القوى التى تعدل باستمرار أسلوب بناء التعبير، وهو بهذا يعد قوة فعالة فى التطور .

٣ ـ القياس قوة مجددة ومحافظة :

يكون الشخص مدفوعا أحيانا ليسأل إذا ما كان القياس يملك فعليا الأهمية المنسوبة اليه هنا ، وإذا ما كان أثره أو فعاليته تصل إلى مستوى التغيرات الصوتية . وباعتبارها مسألة الحقيقة ، فان تاريخ كل لغة يكشف عن التراكم المتنافرة للحقائق القياسية . بصورة كلية ، فان هذه التعديلات المستمرة تلعب دورا هاما فى التطور اللغوى أكثر مما تفعله التغيرات الصوتية. ولكن شيئا واحدا يهم اللغوى بشكل خاص . فى الكتلة الوفيرة من الظاهرة القياسية المصاغة ، خلال خلال قرون من التطور ، فان غالبية العناصر بقيت ، ولكنها تتوزع فقط بشكل متعدد أو مختلف . التجديدات القياسية أكثر وضوحا من الأصل ، اللغة ثوب مغطى بقطع مقصوصة من قماشها .

إن أربع أخماس اللغة الفرنسية من الهندوأوروبية الأصلية ، إذا نظرنا فى المادة التى تشكل الجمل ، ولكن الكلمات التى انتقلت بجملها من غير أثر قياس من اللغة الأم إلى الفرنسية الحديثة نجد أنها لا تشغل حيزا أكثر من صحيفة .

على سبيل المثال :

est, is "ja" — est, numbers, words like ours ,يحمل, nez ,أنف ,
pere ,أب, chien ,كلب, etc.

إن الغالبية العظمى من الكلمات هي ــ بشكل أو بآخر ــ تجميعات جديدة لعناصر صوتية منتزعة من صيغ قديمة . إن القياس بهذا المعنى - لأن السبب الحقيق أنه يستعمل دائما المادة القديمة لتجديداته ـــ يعد بشكل ملحوظ عامل محافظ (conservative.) . ولكن القياس له دور توازني هام باعتباره قوة محافظة نقية وبسيطة . انه لا يتدخل فقط عند اعادة توزيـــع المواد القديمة في وحدات جديدة ، ولكنه يتدخل أيضا عندما تبقى الصيغ بدون تغيير .

لنؤكد ذلك ، نحن بحاجة لأن نقول أن الابداع القياسي وآلية الكلام لهما قواعد مشتركة (أنظر ص ١٦٥) .

إن صيغة " agunt " اللاتينية كانت تنتقل دائما صحيحة سليمة من فترة ما قبل التاريخ (عندما كان الناس ينطقونها agonti) حتى بداية المرحلة الرومانية . لقد استعملت الأجيال المتعاقبة خلال تلك المرحلة هذه الصيغة مراراً وتكراراً من غير أن تظهر صيغة منافسة تحل محلها . لقد لعب القياس هنا دورا في المحافظة على هذه الصيغة . ان ثبات صيغة " agunt " هي من مهمات القياس تماما ، مثل ، يقوم به في أي تجديد . ان صيغة ، متكاملة في نظام ، لنها مدعمة بصيغ مثل :

dicunt and legunt,

كما هي تماما مدعمة بالصيغتين agimus, agitis وما شابها . خارج هذا الشكل ، فان صيغة " agunt " يمكن أن تحل محلها صيغة مكونة من

عناصر جديدة : ان الذى انتقل ليس صيغة agunt ولكن ag — unt . الصيغة لم تتغير لأن السابقة " ag— " واللاحقة " — unt " ، نظير باطراد فى مجموعات أخرى ، والمساعد أو المدعم لهذه الصيغ احتفظ بصيغة " agunt " من البداية حتى النهاية . قارن أيضا " Sex — tus " المدعمة بمجموعتين مندمجتين أو متضامنتين مع بعضها : sex, sex — aginta, etc., من جهة. quar — tus, quin — tus

ومن جهة أخرى ، تصمد الصيغ لهذا ، وتحافظ على بقائها ، لأنها تجدد باستمرار بواسطة القياس . تؤخذ الكلمة كلها كوحدة ونظام وتصان إلى الحد الذى لا تتغير فيه عناصرها .

بالمقابل ، ان تواجد الصيغة لا يتهدد إلا إذا اختفت عناصرها من الاستعمال ، أنظر إلى ما حدث للصيغة الفرنسية ، أنت تقول ، dites وأنت تعمل ، " faites " التى دخلت مباشرة من اللاتينية

" dic — itis and fac — itis "

لأن هذه الصيغ ليس لها سند من التصريف الفعلى لهذه الأيام ، فان اللغة تحاول استبدالها .

إن العينتين : Disez, faisez (الصاغتين على النموذج ، اقرأه ، " Lisez " ، من فضلك ، " Plaisez " ، تستعمان اليوم ، ونهاياتهما الجديدة شائعة تماما فى معظم المركبات ، تناقض ، " contredisez " .

إن الصيغ الوحيدة التى لم يمسها القياس هى الصيغ المنفصلة مثل : الأعلام وبخاصة أسماء الأماكن (Paris Genève, Agen etc.) التى لا تسمح بالتحليل ، وبالتالى لا تفسير لعناصرها ، لم يظهر ابتكار منافس بجانبها .

انها تعود إلى أن الصيغة يمكن أن تصمد وتحافظ على انسها لواحد من السببين المتناقضين تماما : الانفصال التام أو الاتصال التام فى نظام يحتفظ بأقسام الكلمة الرئيسية سليمة ، والتى تعود دائما إلى حريتها .

انها وسط مجموعة من الصيغ غير مدعمة بشكل كاف بما يحيط بها ، بحيث أن القياس التجديدى يمكن أن يكشف تأثيراتها . سواء تعاملنا مع عامل المحافظة على الصيغة المكونة من عدة عناصر أو مع اعادة توزيع المادة اللغوية فى بناء جديد ، فان القياس موجود فى كلتا الحالتين . انه يلعب دورا هاما دائما .

الاشتقاق العام FOLK ETYMOLOGY

إننا نشوه أحيانا الكلمات ذات الصيغ والمعانى غير المألوفة، كما أن الاستعمال يقر ويجيز هذه التشوهات بهذه الطريقة تغير الكلمة الفرنسية : coute - pointe (from coute, variant of couette « يغطى » and pointe, past participle of poindre « غطاء ، لحاف »

إلى : « لحاف » coute - pointe وكأنها صيغت من الصفة « قصير » " court " و « نقطة » " pointe " . مثل هذه التحديدات ، ليس مهما كم تبدو غريبة وشاذة ، لا تعود كلية إلى الصيغة . انها محاولات فجة لتفسير الكلمات الغريبة الصعبة بواسطة ربطها بشىء معروف . لا نستطيع لأول وهلة تمييز هذه الظاهرة — المسماة الاشتقاق العام — عن القياس . عندما ينسى المتكلم أن الكلمة الفرنسية « الطرش » surdité ، أوجدت وابتكرت الصيغة القياسية " sourdité " فان النتيجة واحدة ، وكأنه أخطأ فهم صيغة " surdité " وشوهها من خلال تذكره لصيغة الصفة « أصم » Sourd ، ان الاختلاف الوحيد الظاهر هو أن التركيبات القياسية جذرية بينما الاشتقاق العام يعمل نوعا ما بالمصادفة ، ويتحقق فى الأشياء المنافية للعقل " absurdities " فقط . ولكن هذا الاختلاف — الذى يتضمن النتائج فقط — ليس أساسيا . إن مخالفته الرئيسية تذهب إلى مدى

أعق . حتى نتمكن من معرفة ماهيته ، دعنا نبدأ بعرض بعض الأمثلة الأنواع الرئيسية للاشتقاق العام .

تأتى أولا ، الكلمات التى تتقبل التفسيرات الجديدة ، مع عدم اتفاق تغير الصيغة . ان صيغة يجلد بعنف " durchb äuen " الألمانية تعود اشتقاقيا إلى الصيغة يجلد " bliuwen " ولكنها مترافقة مع صيغة أزرق " blau " لأن ازرقة " blues " ناتجة عن الجلد " Flogging " . لقد اقترضت ألمانية العصور الوسطى صيغة مغامر " adventure " من الفرنسية ، وصاغت بالترتيب الصيغتين " abentüre, abenteuer " .

لقد كانت الكلمة بدون تشويه مترافقة مع صيغة " eqend " (قصة تقال فى المساء) النتيجة هى أن الكلمة كانت تكتب خلال القرن الثامن عشر ، هكذا ، A bendteuer .

إن الصيغة الفرنسية « حرمان » " soufraite "
(= Suffracta from subfrangere) أنتجت أو قدمت الصفة سقيم " sou ffreteux " وهى الآن تترافق مع كلمة يتحمل " souffrir " التى لا تشاركها فى شىء .

ان الكلمة الفرنسية " Lais " اسم مصاغ من كلمة يترك " Laisser " ولكنها تترافق فى هذه الأيام مع الصيغة يورث " Leguer " وتكتب " Legs " ، حتى أن بعض الناس ينطقونها Le — g — s . يمكن أن يؤدى هذا إلى أن تغير الصيغة ناتج عن التفسير الجديد ، ولكن التغير يعود فعليا إلى تأثير الصيغة المكتوبة من خلال محاولة الناس إظهار معرفتهم بأصل الكلمة بدون تغيير لفظها . بالمماثل ، فان الكلمة الفرنسية « جراد

البحر ، " bomard " دخيلة من النرويجية القديمة hummer (قارن : الكلمة الدانماركية hommer) ، مضافا إليها صوت (d) في آخر الكلمة من خلال القياس بالكلمات الفرنسية التي تنتهي باللاحقة ard — .

إن الخطأ الوحيد هنا في التفسير الذي ظهر عن طريق الأثر الاملائي على على النهاية التي اختلطت مع اللاحقة المشتركة (قارن : «الثرثار» havard) .

ولكن الناس في الغالب يشوهون الكلمات حتى يعيدوها إلى العناصر التي يظنون أنها معروفة أو متميزة بها . الكلمة الألمانية " sau rkraut " أصبحت في الفرنسية :

(«القشرة» and croute ، «ملفوف — كرنب» " chou ") .

في الألمانية كلمة (dromadà ius) أصبحت ، الحيوان المفترس ، (trampeltier) في المركب الجديد الذي يتضمن الكلمات الباقية (الموجودة) : trampien and Tire .

لقد غيرت الألمانية الفصحى القديمة الكلمة اللاتينية (margarita) إلى «حصاة البحر» mari-grees بتجميع كلمتين معروفتين .

النموذج الأخير ، توضيحي بشكل خاص : — لقد أصبحت الكلمة اللاتينية «قطعة فحم صغيرة» (carbun culus) في الألمانية (Karfunkel) (من خلال ترافقها مع كلمة «يتوهج» funklen) . وفي الفرنسية «جمرة» (escorboucle) (مترافقة مع كلمة «خاتم» boucle) .

الصيغتان col feter, calfetrer تحولتا إلى «صدى — رنين» (calfeutrer) في الفرنسية تحت تأثير صيغة «شعور» feutre . أما

يواجهنا منذ البداية أن كل واحد من الأمثلة يتضمن (يشتمل) — بجانب العنصر الحسى الذى يظهر فى السياقات الأخرى — جزءا لا يمثل شيئا قد سبق وجوده (Kar –, escar–, cal –) .

ولكن من الخطأ الاعتقاد بأن العناصر — لها وجود منفصل ، على أنها شيء جديد قد ظهر نتيجة للظاهرة . والعكس صحيح : ان التفسير لا يستطيع أن يمس الاجزاء (Kar–, escar·, cal) .

يمكن أن نقول انها أقسام من الاشتقاق العام توقفت فى نقطة فى منتصف الطريق .

إن كلمة (Karfunkel) هى فى نفس الطبقة أو النوع مثل : Abenteur (إذا أخذ فى الاعتبار عدم تفسير اللاحقة touer -) ، انها كذلك متشابهة مع homard التى لا تعنى السابقة hom - أى شيء بنفسها .

هكذا ، فان درجة التشويه أو التحريف لا تخلق اختلافا جذريا بين الكلمات المحترفة بواسطة الاشتقاق العام ، كل هذه الكلمات تعد تفسيرا صافيا وبسيطا للصيغ التى فهمت خطأ فى مصطلحات لصيغ معروفة .

والآن نرى التشابه بين الاشتقاق والقياس ، وكذلك الاختلاف بينهما .

إن الظاهرتين تشتركان فى صفة واحدة : يستعمل الناس عناصر دالة (ذات معنى) تقدمها اللغة فى كليهما ، ولكنهما متناقضان تماما فى أى شيء آخر . ان القياس يقتضى دائما نسيان الصيغ القديمة، لاغفال الصيغة القديمة (iL trey ait) على أساس الصيغة القياسية iL traisait (أنظر ص ١٦٨) . لا بد أن تنسى الصيغة القديمة قبل أن يظهر المنافس . إن القياس لا يأخذ شيئا من جوهر

العلامات التى يستبدلها . مقابل هذا ، فان الاشتقاق العام هو بكل بساطة تنسير الصيغة القديمة وتذكير بالصيغة القديمة .

هكذا ، يكون التشويه نقطة البداية الذى يلاقيه . إن قواعد التحليل اهد عاملا مذكرا فى أحدهما ، وعامل نسيان فى الآخر ، وهذا الاختلال على درجة كبيرة من الأهمية .

يعمل الاشتقاق العام فقط تحت ظروف معينة ، وهكذا ، يؤثر فى الكلمات النادرة والفنية أو الكلمات الدخيلة التى لا يستوعبها المتكلمون جيدا . ولكن القياس ، حقيقة عامة ، يخص الأداء الطبيعى اللغة . هاتان الظاهرتان — المتشابهتان إلى حد ما - مختلفتان بشكل أساسى ، ولا بد من التفريق بينهما بدقة .

الفصل السابع

الالصـــاق

تعريفــه :

لقد بينا أهمية القياس فى الفصلين السابقين .

توجد بجانب القياس قوة أخرى تعمل على انتاج الوحدات الجديدة : انها الالصاق .

لاتوجد خارج نطاق هاتين القرتين أداة تشكيلية ذات قيمة. تقليد أصوات الطبيعة (onomat opoeia) ، كلمات مصاغة بوعى بواسطة الفرد من غير اللجوء إلى القياس بواسطة الفرد ، (على سبيل المثـال 2 gaz) ، ولهذا و فالاشتقاق العام ذا أثر قليل أو ليس له أى أثر . الالصاق هو التحام مصطلحين مختلفين أو أكثر مع بعضها يظهران عادة كمركب داخل الجملة فى وحدة واحدة يستحيل أو يصعب تحليلها .

انها عملية ، وليست اجراء ، بالنسبة للأخير ، فان الكلمة تتطلب ارادة أو قصدا ، وان غياب الارادة هو ما يميز الالصاق .

هذه بعض الأمثلة ، نطق المتكلمون الفرنسيون فى البداية الكلمة (ce et) على اعتبارها كلمتين ، ثم قالوا « هذا » ceci كلمة واحدة ؛ كانت النتيجة

كلة واحدة حتى أن جوهرها ومكونها لم يتغيرا — قارن كذلك : « دائماً » toujours و « كل يوم » French tous jours و « تمام » deja و « منذ الآن » dès jà و « اليوم » aujourd'hui و « فى مثل هذا اليوم » au jour d'hui « حصرم » ver-jus و « عصير طازج » vert jus .

كما يمكن أن يصنع الالصاق الالتحام بين الوحدات المساعدة للكلمة ، كما رأينا فى ص ١٧٠ صيغة التفضيل (swad - is - to - s) فى الهندوأوروبية الأصلية ، وفى صيغة التفضيل اليونانية hed - isto - s .

لقد تمكنا من خلال اختيار محدود تمييز ثلاث حالات فى ظاهرة الالصاق :

١ — تجمع عدة مصطلحات فى مركب . والمركب الجديد يشبه كل المركبات الأخرى .

٢ — الالصاق التام ، أو تركيب عناصر المركب فى وحدة جديدة . ان التركيب يأخذ مكانه بشكل مستقل من خلال نزعة آلية ، عندما يتحقق مفهوم المركب بواسطة الوحدات الدالة المشتركة يعطى الفكر تحليلا — تأخذ فاصلا قصيرا - ويطبق الفكرة وينشرها على كل مجموعة العلامات التى تصبح بعد ذلك وحدة بسيطة .

٣ — إن كل تغير آخر ضرورى لاحداث مجموعة العلامات القديمة أكثر شبها بالكلمة البسيطة : توحيد النبر (vert - jus → verjùs) التغيرات الصوتية الخاصة ، الخ .

يدعى غالبا أن التغيرات النبرية والصوتية (٣) تسبق التغيرات (٢) المفاهيمية

(الفكرية) . وأن التركيب الدلالى يفسر من خلال التركيب المادى والالصاق .
ولكن هذا يجعل العربة أمام الحصان . انها تشبه تماما المركبين :
vert jus, tous jours, etc. اللذين أصبحا كلمتين بسيطتين لأنهما يعبران عن فكرة واحدة .

٣ ـ الالصاق والقياس :

إن المقابلة بين القياس والالصاق لازمة :

أ) فى القياس تندمج وحدتان أو أكثر فى وحدة واحدة من خلال التركيب (على سبيل المثال : from hanc horam و « مازال » French encoer) أو وحدتان مساعدتان تصبحان وحدة واحدة . (قارن : hèd - iato - s from swad - is - to - s.) . مقابل هذا ، ان القياس يبدأ من الوحدات الصغرى ويصولها إلى وحدات كبيرة . لانشاء الصيغة « pàg - ànus » ، يقوم القياس بتوحيد الجذر - pàg واللاحقة ànus- .

ب) لا يعمل الالصاق إلا ضمن مجال المركبات ، انه لا يؤثر إلا فى مجموعة معينة . انه لايتضمن شيئا آخر . فى المقابل ، يتعامل القياس مع المجموعات المترافقة تماما مثل ما يتعامل مع المركبات .

جـ) وقبل كل هذا ، فان الالصاق لايكون مقصودا ولا فاعلا ، لقد بينت أنه عملية ميكانيكية يحصل فيه الاندماج تلقائيا . أما القياس ، بالمقابل ، فهو إجراء يتطلب تحليلات وتركيبات وهو عامل فعال ومقصود .

إن التركيب « construction » والبناء « structure » يستعملان غالبا في بحث صياغة الكلمة ، ولكن معناها يختلف تبعا لتطابقه مع الالصاق أو مع القياس .

وإذا تطابق المعنى مع الالصاق ، فانها تقرر أن العناصر متصلة في المركب المشكل ببطء .

أعنى ، أنها مركبة إلى الحد الذي تكون فيه مكوناتها الأصلية قد أزيلت تماما . ولكن عندما تتطابق مع القياس ، فان التركيب يعني الترتيب الحاصل في نفس واحد — في الحدث الكلامي — بواسطة اعادة توحيد عدد معين من العناصر المستعارة من مجموعة توافقية مختلفة . لقد أصبح الفصل بين منهجي الصياغة واضحا . في اللاتينية على سبيل المثال ، فان صيغة « possum » هي الوحيدة المجمعة للكلمتين ، « أنا السيد » « potis sum » ، انها كلمة الصاقية بالمقابل ، فان الصيغتين : signifer, agricola, etc.

هي صيغ قياسية (نتاج قياسي) ، التركيبات قائمة على نماذج تقدمها اللغة . ان الابتكارات القياسية هي الوحيدة التي تسمى مركبات أو مشتقات . يكون من الصعب القول غالبا فيما إذا كانت الصيغة التحليلية ناتجة عن الالصاق أو التركيب القياسي ، لقد بحث اللغويون بشكل متصل مسألة الصيغ الهندوأوروبية الأصلية es – mi, es, ti, ed – mi, etc.

. هل كانت العناصر « es –, ed –, etc. » كلمات حقيقية خلال فترة قديمة جدا ؟ وهل التصقت أخيرا مع كلمات أخرى « mi, ti, etc » ، ؟ أو أن الصيغ es – mi, es – ti, etc. هي نتيجة تجمعات عناصر مأخوذة من وحدات مركبة عائلة ؟

في الحالة الأخيرة ، لابد أن يسبق الالصاق تشكيل النهايات التصريفية في الهندوأوروبية الأصلية . وفي غياب الدليل التاريخي ، فانه يحتمل أن لا يوجد جواب على السؤال .

التاريخ هو الوحيد الذي يستطيع تنويرنا . عندما نستطيع القول ان العنصر البسيط كان في مرحلة ما مكونا من عنصرين أو أكثر في الجملة ، فانه يكون عندنا الصاق .

أعني ، أن الكلمة اللاتينية « hunc » التي تعود إلى صيغة (موثقة بالنقوش ce) hum ce . ولكن عندما تكون المعلومات التاريخية ناقصة ، فانه من الصعب تحديد ما يعود إلى الالصاق وما هو ناتج عن القياس .

الفصل الثامن

الوحدات التاريخية ، المماثلات ، الحقائق

إن علم اللغة الثابت (الوصفي) Static Linguistics يعمل مع وحدات تعود في وجودها إلى نظامها أو ترتيبها الوصفي . ان كل ما قيل حتى الآن يثبت أن العناصر غير محددة الآن ، وإلى الأبد في التتابعات التاريخية ، كما يمكن أن يوضحه هذا الرسم :

على الأصح ، فان العناصر يختلف توزيعها ما بين فترة وأخرى ، بفضل الحوادث المؤثرة في مسرح اللغة ، مع حقيقة أنها ستكون مماثلة بشكل ملائم أكثر بهذا الرسم :

هذا مؤكد بواسطة كل ما قيل حول نتائج التطور الصوتي ، والقياس ، والالصاق ، الخ .

إن كل مثال استشهد به على هذه النقطة ، يخص صياغة الكلمة . هذه واحدة من التركيب .

إن اللغة الهندوأوروبية الأصليه لايوجد فيها حروف جر ، لقد عبروا عن العلاقات التى تدل عليها حروف الجر بحالات متعددة كانت لها قوة رمزية كبيرة . ولم تستعمل فى الهندوأوروبية الأصلية سوابق فعلية فى تركيب الأفعال ، لقد استعملت الأدوات فقط . كلمات صغيرة تضاف إلى الجملة حتى تحدد وتصف حدث أو فعالية الفعل . على سبيل المثال ، لا يوجد شىء يتطابق مع الصيغة اللاتينية « ليواجه الموت » « ire ob mortem pr to obire mortem » ، سوف تكون الصيغة « ire mortemob » .

كانت هذه حالة اليونانية الأصلية :

١ — فى o eos baino kata, oreos baino تعنى بنفسها « لقد حضرت من الجبل » .

إن حالة الاضافة تملك قيمة اسم المفعول لأجله « ablative » ، صيغة « Kata » ، تضيف المؤهل بانخفاضها خلال فترة أخرى أصبحت الصيغة (٢) « Kata oreos baino » التى تعمل فيها صيغة « Kata » حرف جر ، أو حتى (٣) « Kata baino oreos » ، من خلال الصاق الفعل مع الأداة التى أصبحت سابقة فعلية .

نجد هنا ظاهرتين أو ثلاث متميزات بالاعتماد على تفسير الوحدات :

أ) نوع جديد من الكلمات ، وحروف الجر ، قد نشأ ببساطة عن طريق تغير الوحدات الموجودة . ان الترتيب الخاص الذى لم يكن له دلالة أصلا ، والذى قد يعود للمصادفة سمح بتجمع جديد : Kata

— مستقلة فى البداية — كانت متوحدة مع مادة الصيغة « oreos » ، والكل قد ارتبط بالصيغة « baino » لتمثل مكملا لها .

ب) ظهر النوع العملى الجديد (Katabairô) . هذا تجمع نفسى آخر متميز بتوزيع خاص للوحدات موحد بواسطة الالصاق .

ﺟ) وكنتيجة طبيعية فان معنى النهاية فى حالة الإضافة (os — ôre) قد ضعفت . ثم كان على الصيغة « Kata » ، أن تعبر عن الفكرة الاساسية التى كان يعبر عنها سابقا بواسطة الاضافة وحدها وتقلصت أهمية النهاية بشكل نسبى . ان نقطة بداية اختفاء os — من فعل الاستقبال هو فى نهاية الظاهرة . فى كل الأمثلة الثلاث ، كان هناك توزيع جديد للوحدات . ان الجوهر أو المــادة القديمة أعطيت وظائف جديدة . ان أهم شىء هو عدم تدخل التغير الصوتى لاحداث أى من التغيرات . علينا أن لانعتقد أن المعنى وحده كان المسؤول عن عدم تغير الجوهر المادى . لا توجد ظـاهرة تركيبية من غير اتحـاد سلسلة معينة من الأفكار مع سلسلة معينة من الوحدات الصوتية (أنظر ص ١٢٩) ، وهذه أقوى علاقة تحركت أو تغيرت . الأصوات بقيت ، ولكن الوحدات الدالة لم تستمر طويلا على حالهــا .

لقد عرفنا سابقا (ص ٧٥) أن ما يغير العلاقة أو يبدلها هو التغير فى العلاقة بين الدال والمدلول . ان هذا التعريف لاينطبق على تبدله مصطلحات النظام وتغيرها . ولكن على تطور النظام نفسه .

إن الظاهرة التاريخية فى مجموعها هى تلك فقط . وليس أكثر من ذلك .

ولكن مجرد تسجيل تغير عدد الوحدات الوصفية لا يشكل تسجيلا كاملا لما حدث للغة .

هناك أيضا مسألة الوحدة التاريخية المكتفية ذاتيا . مع مراعاة كل حدث ، علينا أن نسأل عن العنصر المسؤول مباشرة عن التغيير . إننا فى مواجهة مسألة مماثلة فى تناولنا التغيرات الصوتية (أنظر ص ٩٤) . انها لاتؤثر إلا فى الوحدات الصوتية المفردة تاركة وحدة الكلمة من غير مس . لما كانت الحوادث التاريخية من كل الأنواع ، فان كثيرا من المسائل تحتاج إلى إجابة ، والوحدات المحددة فى علم اللغة التاريخى ليس ضروريا أن تتطابق مع تلك المحددة فى علم اللغة الوصفى . وفقا الأساس الذى وضع فى القسم الأول ، فان مفهوم الوحدة لا يمكن أن يكون مماثلا فى كلتا الحالتين إننا لا نستطيع تعريف الوحدة تعريفا صحيحا فى أى حدث حتى ندرسها من وجهتى النظر ، وجهة النظر الثابتة والتطورية .

حتى نحل مسألة الوحدة التاريخية ، فاننا لا نتمكن من إدراك المظهر الخارجى للتطور ، ونصل إلى جوهره . ان فهم الوحدات يعد مهما هنا مثل أهميته فى علم اللغة الوصفى إذا أردنا التمييز بين الوهم والحقيقـــة (أنظر ص ١١٠) . ولكن المماثلة التاريخية تواجه مسألة صعبة أخرى . فى الحقيقة ، قبل أن أستطيع القول بأن الوحدة بقيت متماثلة ، أو انها غيرت صيغتها ، أو معناها أثناء ــ استمرارها فى الوجود باعتبارها وحدة متميزة ــ لان الافتراضين موجودان ــ على أن أعرف أسس القول بأن العنصر الذى يؤخذ فى فترة ما (على سبيل المثال ، «دافىء» Freench chaud) هو نفسه مثل العنصر المأخوذ فى فترة أخرى (على سبيل المثال ، Latin caldum) .

إن الجواب سيكون بدون شك أن كلمة « Caldium » يجب أن تصبح « chaud » عبر تغيرات صوتية مطردة ، ولهذا كانت chaud = caldium هذا تماثل صوتي . نفس الشيء ينطبق على الكلمتين :

sedarare and « يفطم » severer .

إن كلمة « ورد » fleurir ، مهما يكن ، ليست هي نفسها كلمة florere (التي يجب أن تصبح flouroir ، الخ) .

إن التماثل التاريخي يبدو وكأنه تفسير كاف بواسطة التطابق الصوتي . ولكنه من المستحيل فعليا أن يكون الصوت وحده مسؤولا عن التماثل . بدون شك ، انه يصح أن اقول : ان الكلمة اللاتينية « mare » لابد أن تظهر في الفرنسية في صيغة « بحر mer » لأن كل « a » أصبحت « e » تحت ظروف معينة ، وصوت « e » النهائية غير المنبور يسقط ، الخ . ولكن القول بأن هذه التطابقات (a → e, e → z ro, etc.) مسؤولة عن التماثل ، يعد عكسا للحقيقة ، لأنني أستعمل المطابقة بين كلمتي « mare and mer » لأقرر أن صوت « a » تحول إلى « e » ، وأن صوت « e » النهائية سقط ، الخ .

يمكن أن ينطق أحد الفرنسيين الصيغة الآتية : « أصبح غاضبا » « sefacher » ، بينما ينطقها غيره ممن يعيش في جزء آخر من فرنسا Se fâcher ، ولكن هذا الاختلاف ليس مهما بالمقارنة مع الحقائق النحوية التي تسمح لنا بتمييز الوحدة أو نفس الوحدة اللغوية في ما بين الصيغتين المتميزتين . لنقول ان كلمتين تختلفان مثل اختلاف :

callpum and chaud تشكل تماثلا تاريخيا يعنى ببساطة أن المتكلمين انتقلوا من صيغة إلى أخرى عبر مجموعة من التماثلات الوصفية فى الكلام ، من غير أن يحصل تفكيك أو تكسير للرابط المشترك بينها ، بالرغم من تتابع التغيرات الصوتية .

هذا ، ما يجعلنى أقول أن معرفة كيفية احتفاظ كلمة « Gentlemen » بتماثلها عندما تتكرر عدة مرات خلال محاضرة يعد ذا أهمية مثل معرفة : لماذا تماثل صيغة « أداة نفى » (pas) مع « اسم » (pas) فى الفرنسية ، أو مرة أخرى ، لماذا تماثل (chaud) مع (calidum) (أنظر ص ١٠٧) .

المسألة الثانية حقيقية ولكنها امتداد وتعقيد للأولى .

ملاحق القسمين

الثـــالث والرابـــع

١ ـ التحليل الذاتي والموضوعي :

إن التحليل الذى يقوم به المتكلمون باستمرار لوحدات اللغـــة . هو تحليل موضوعى . يجب الاحتراس من الخلط بين التحليل الموضوعى والذاتى القائم على التاريخ . انه فى صيغة مثل الصيغة اليونانية ، hippos ، يستخرج النحويون ثلاثة عناصر : الجـــذر ، اللاحقة ، والنهاية (hipp — o — s) . ولكن المتكلمين اليونان لايرون عنصرين (أنظر ص ١٥٥ hipp os) .

ان التحليل الموضوعى يظهر أربع وحـــدات مساعدة فى صيغة a mabas (am—a—ba—s ولا يميـــز المتكلمـون اللاتين إلا ثلاثة (ama — ba — s) من المحتمل أنهم اعتقدوا أن « bas — » صيغـة تصريفية كاملة مقابلة للجذر .

In french entier « كلياً » Latin in-teger « بكر، سليم » and enceinte « بدون حزام » (Latin in — cincta) « حامل خصب »

فانه يمكن النحويين أن يستخرجوا سابقة مشتركة هى « en — » التى تمثل أو تقابل السابقة اللاتينية « in — » ان التحليل الذاتى للمتكلمين يتجاهل السابقة كلية . يميل النحويون إلى الاعتقاد بأن التحليل التلقائى للغة يعد خطأ ، ان الحقيقة

هى أن التحليل الذاتى ليس أكثر زيفا من القياس الكاذب « false analogy » (أنظر ص ١٦٢) .

اللغة لاتخطىء أبداً . انها ببساطة تتخذ اتجاهات مختلفة . انه لايوجد مقياس معتمد لكليهما ، تحليل المتكلمين وتحليل المؤرخين ، وكلاهما يستعمل نفس المنهج ـــ مقارنة المجموعات التى تحمل عنصراً مشتركا . ان كلا التحليلين مقنعان . وكل منها يحتفظ بقيمته . فى المحاولة الأخيرة ، نوعا ما ، انما يشكل هو تحليل المتكلمين ، لانه قائم على حقائق لغوية .

إن التحليل التاريخى ليس إلا صيغة معدلة للتحليل الذاتى . بشكل أساسى ، انها تتألف من اسقاط تصور لتراكيب من فترات مختلفة على فترة واحدة . انها تشبه التحليل التلقائى فى محاولتها احـــداث التماثل بين الوحدات المساعدة للكلمات ، ولكنها تختلف فى تركيبها لكل الأقسام المصنوعة فى مرحلة زمنية مع تصور الوصول إلى أقدم صيغة . ان الكلمة تشبه البيت الذى تغير فيه ترتيب ووظيفة الغرف المختلفة عدة مرات . التحليل الذاتى يضيف ويخطط الترتيبات المتابعة ، ولكن ، بالنسبة لمن يعيشون داخل البيت لايوجد هنـــاك دائما إلا ترتيب واحد . ان تحليل صيغة hipp o—o ليس زائفا ـــ لقد بحث سابقا ـــ لأنه تشكل فى عقول المتكلمين ، انه مجرد تاريخى « anachronistic » انها تعود إلى مرحلة سابقة للكلمة التى أخذت منها الكلمة . ان صيغة « hipp - o — o » القديمة لا تناقض مع صيغة « themes hipp — os » فى الكلاسيكية اليونانية ، ولكن لانستطيع التعامل مع الحكم على التحليلين بنفس الطريقة . هذا يعيدنا مرة أخرى إلى فارق جذرى بين علم اللغة التاريخى والوصفى . وذلك يسمح لنا بحل قضية منهجية لا تزال معلقة فى علم اللغة .

لقد قسمت المدرسة القديمة الكلمات إلى : جذور ، أفكار (« them ») لواحق .. إلخ . وأعطت قيمة مطلقة لهذه الفوارق (الميزات) .

قد يتصور — من يقرأ لبوب « Bopp » وتلاميذه — أن اليونانيين قد حملوا معهم منذ القدم مجموعة من الجذور واللواحق استخدموها في اختراع الكلمات . وذلك ما أحدث الاضطراب في صنع وتأليف كلماتهم عند الكلام ، على سبيل المثال ، فإن صيغة « pater » بالنسبة لهم تتكون من الجذر pa + اللاحقة ter — ، وأن صيغة « doso » تمثل مجموع do + so + personal duping .. إلخ .

وكان لابد من وجود رد فعل ضد اضطراب المدرسة القديمة ، وكان هذا الشعار المناسب : لاحظ ما يحدث في الكلام اليومي للغات الوقت الحاضر ، ولا ترجعها إلى الفترات القديمة بأي طريقة ، لاوجود لظاهرة غير موجودة اليوم .

ولهذا ، فإن اللغة الحية بعامة لا تسلم نفسها أو لا تقبل الخضوع لتحليل مشابه لما صنعه « بوب » Bopp .

لقد أخلص النحويون الجدد للأسس التي وضعوها ، مصرحين بأن الجذور ، الأفكار ، اللواحق .. إلخ . ما هي إلا مجردات يجب استعمالها لتسهيل الشرح والتفسير فقط . ولكن بالرغم من وجود أكثر من مـــبرر للابقاء على هذه الأنواع ، فلماذا القلق ؟

وإذا بقيت على هذه الهيئة ، فبأي سلطة يستطيع تقسيم ما ، مثل : hipp–o–s على سبيل المثال ، أن يكون أفضل من التقسيم الآخر hipp-os ؟ .

بعد ان بينت المدرسة الجديدة القصور الموجودة فى البحث القديم — وكان هذا سهلا — قد اقتنع أصحابها برفض النظرية ، ولكنهم ظلوا مقيدين فى التطبيق بالجهاز العلمى الذى وصل إلى درجة من العجز تجعله يطرح وينبذ ، عندما نختبر المجردات بدقة أكثر ، فاننا نرى أى جزء من الحقيقة تمثل فعليا ، وان مقياسا صحيحا بسيطا يكفى ليقـــدم معنى مقنعا ودقيقا لوسائل وذرائع التحويين . هذا ما حاولت عمله قبل ببيانى أن التحليل الموضوعى، المرتبط بشكل أساسى بالتحليل الذاتى للغة الحية — يملك مكانا محددا وصحيحا فى علم المنهج اللغوى .

٢ - التحليل الذاتى وتعريف الوحدات الساعدة أو تحديدها :

فى التحليل ، بعد ذلك ، فاننا لا نستطيع أن نؤسس منهجا أو نصوغ تعريفات إلا بعد أن نتبنى وجهة النظر الوصفية (علم اللغة الوصفى) .

هذا ما كنت أود بيانه من خلال بعض الملاحظات حول أقسام الكلمة :

السوابق ، الجذور (roots) ، الأصول (radicals) ، اللواحق ، والنهايات التصريفية .

أولا ، النهاية التصريفية — أعنى — العنصر الفعال فى نهاية الكلمة الذى يميز الصيغ المختلفة من صيغة اسمية أو فعلية .

فى الصيغ الآتية : « أجهز الفرس »

Zeugnú —mi, Zeugnú -e, Zeugnú si, zeugnu men, etc.

نجد أن النهايات التصريفية .mi, —e, —si, etc — برزت بصورة بسيطة ، لانها متناقضة مع بعضها ، ومع الجزء السابق من الكلمة (—Zeugnū) تتذكر فى

صيغة « Czech » أن غياب النهاية التصريفية يلعب دورا عائلا النهاية المطردة (على سبيل المثال ، الجمع الاضافي « Zen » فى مقابل المفرد المرفوع « Zena » . (أنظر ص ٨٦ و ص ١٨١) .

بالمشابه ، « أنت تجهز » to — against « أنت تجهز » ! Greek Zeugnu or rhetor againstrhetor-oe, etc. and french mars ! (morche تكتب) against marso ! « دعنا نمشى »

تعد كلها صيغ متصرفة مع نهاية صفرية .

بواسطة حذف النهاية التصريفية نحصل على الفكرة التصريفية أو الأصل . هذا بشكل عام العنصر المشترك الذى ينشأ تلقائيا عندما نقارن مجموعة من كلمات متقاربة ، سواء أكانت متصرفة أم لا ، والتى تحمل فكرة مشتركة بين كل الكلها :

لف roulement اسطوانه roulage غرفة العجين rauleau اسطوانة roulia يظهر — roual ، ولكن يستخرج المتكلمون فى تحليلهم عدة أنواع او أكثر من درجة أو أصل فى نفس عائلة الكلمات .

إن صيغة , ~Zeugnu التى انفصلت سابقا من : Zeugnu—mi, zeu· gnu - s, etc هى الدرجة الأصلية الأولى . انها ليست جامدة أو متطورة الاختصار ، بالنسبة لتقسيم الصيغة Zug—nu فانها بينة بذاتها اذا قارنا صيغة — Zeugnu مع مجموعة أخرى ،

(Zeugnumi, zeuk tes, zeukter, zugon, etc.)

من جهة ومجموعة (Zeugnumi, deiknumi, ornumi, etc.

من جهة أخرى) .

ثم ـــد صيغة « Zeug – » (مع صيغهـــا المعدلة : أنظر ص ١١٠ ,zug –, zeuk –, Zeug –) لهذا السبب الدرجة الأصلية الثانية . ولكن صيغة « zeug- » تعتبر جامدة (مجردة) لا يمكن تحليلها أكثر بواسطة مقارنة الصيغ القريبة .

إن الجذر هو العنصر المجرد (الذى لا يمكن إختصاره) المشترك فى جميع كلمات نفس العائلة ، ولكن أى تحليل ذاتى أو وصفى يفصل العناصر المادية فقط بواسطة مراعاة اقتسام المعنى الذى يحكم كل عنصر والجذر يكون بهذا المعنى هو العنصر الذى يكون فيه المعنى مشتركا فى كل الكلمات المتقاربة التى تصل إلى أعلى درجة من التجريد والعمومية . طبيعيا يختلف درجة الغموض من جذر إلى آخر ، كما أنها أيضا تعتمد نوعا ما على درجة اختزال ، أو اختصار الأصل . كلما كان الأصل أقصر كلما كان احتمال كون معناه أكثر تجريدا . هكـــذا فان الصيغة « zeugmation » تحقق فريقا صغيرا ، صيغة « zeugma » أى فريق مهما يكن ، وصيغة « zeug- » المفهوم غير المحدد لشد النير على الثور أو تجهيز الحصان .

يتبع ذلك أن الجذر لا يستطيع تشكيل كلمة وتكون له نهاية تصريفية مرتبطة مباشرة به .

فى الحقيقة ، ان الكلمة دائما تمثل أو تحمل فكرة محددة جيدا على الأقل من وجهة النظر النحوية ، وهذا يتناقض مع طبيعة الجذر المجردة والعامة . ولكن ماذا عن الجذور والصيغ التصريفية التى تندمج ظاهريا ؟ خذ الصيغة اليونانية « phlox »

genitive phlogos against the root phog- : phleg-

التى توجد فى كل كلمة من كلمات العائلة (قارن : phleg - ō الخ) .

ألا يتنافض هذا مع الميزة التي يراها الآخر ؟ لا ، لاننا يجب أن نفرق phelg- : phlog- بمعناها العام عن صيغة ، phlog- ، بمعناها الخاص أو تمازف بمراعاة الصيغة المادية فقط على حساب أبعاد المعنى . ان نفس العنصر المادي هنا له قيمتان مختلفتان . فهـو لهذا يتضمن عنصرين لغويين متميزين (أنظر ص ١٠٥) .

من قبل ، لقد تبين أن صيغة Zeugen ! تعد كلمة لها نهاية تصريفية صفرية . بنفس الطريقة ، فان صيغة phlog - تعد جذرا ذا لاحقه صفرية . لا امكانية لوجود خلط . ان الأصل متميز عن الجذر حتى ولو تطابقا صوتيا .

إن الجذر حقيق الوجود فى فكر المتكلمين . لنتأكد ، فان المتكلمين لايستطيعون استخراجه دائما بـ تمري واحد . هناك خلافات حول هذه النقطة ، إذا ما كان داخل اللغة الواحدة أو بين لغة وأخرى . فى بعض التعبيرات ، الصفات المحددة تلفت انتباه المتكلمين للجذر . فى الألمانية ، على سبيل المثال ، فان الجذر غالبا ما يكون موحدا وفى الكثير الغالب يكون أحادى المقطع (قارن : (streit-, bind-, haft- etc.

إنه يتبع قواعد تركيبية معينة . ان الوحدات الصوتية لا تظهر مصادفة ، ان بعض مكررات نهاية الكلمة من الصوامت ـ مثل ، انفجارى ، +occlusive ، رخو ، Liquid ــ قد تنهى تعميدها ، فاننا يمكن أن نقول : ، work- ، ولكن لا يمكن أن نقول ، wekr- ، ونجد كذلك الكلمات helf-, werd- ولكننا لانجد - wedr ، hefl- .

نعيد القول بأن التبدلات المطردة ــ بين الصوائت وخاصة ــ تتجه بشكل عام لتقوية ــ احساسنا بالجذور والوحدات المساعدة أكثر من اضافه .

تختلف الألمانية بشكل كبير عن الفرنسية فى التداخل المتعدد للتبادلات (أنظر ص ١٦٨). ان الجذور فى اللغات السامية تحمل نفس الصفة ، ولكن بنسب أكبر . التبدلات هنا مطردة تماما ، وتغطى أو تحكم عددا كبيرا من التناقضات المركبة (قارن : الصيغ العبرية : qatal, qtaltem, qtöl, qitlo, etc. كل الصيغ لنفس الأصل تعنى « القتل ») . أضف إلى ذلك ، أن الجذور فى اللغات السامية ذات ميزة ماثلة للمقطعية الأحادية فى الألمانية ، ولكن بشكل أكثر صرامة. فهى تتضمن دائما ثلاثة صوامت (أنظر ص ٢٢٠) . الفرنسية مختلفة تماما ، التبادلات قليلة فيها ، وهناك بجانب الجذور الأحادية المقطع (roul—, march—, mang—) توجد جذور كثيرة تتألف من مقطعين أو حتى ثلاثة مقاطع (commenc—, hesit—,epouvant—).

بجانب هذا ، فان هذه الجذور تحتوى على — فى الوضع النهائى بشكل رئيسى — تجمعات مختلفة لا يمكن تحويلها إلى قواعد (قارن : « يرشد » guid—er « يحكم » regn—er و « يقتل » tu—er « ينبح » hurl-er « يدخل » entr—er و « يتأخر » tard—er و « ينفخ » souffl—er « يدمدم » grond— er .

إن ضعف الاحساس بالجذور فى الفرنسية يجب أن لا يكون مستغربا . ان له قسيم ماثل ، وهو تحديد السوابق واللواحق . ان السابقة تأتى قبل جزء الكلمة الذى يعرف بالأصل (على سبيل المثال hupo in Greek hupo—zeugnumi)

أما اللاحقة فهى العنصر الذى يضاف إلى الجذر ليصنعا الأصل (على سبيل المثال : zeug - mat—) أو إلى الدرجة الأصلية الأولى ليصنعا الدرجة الأصلية الثانية ، (على سبيل المثال zeugmat - io -) لقد شاهدنا قبل أن اللاحقة — أشبه النهاية التصريفية — يمكن أن تكون صفرية .

إن إستخراج اللاحقة هى الجانب الآخر من تحليل الأصل . يكون للاحقة معنى أساسيا فى بعض الأحيان ، وقيمة دلالية كما هو فى (zeuk—ter) ، حيث اللاحقة (ter) تعنى الوكالة أو مصنع الحدث . وفى أحيان أخرى لايكون لها إلا وظيفـــة نحوية ، كما هو فى zug —) nu—mi حيث تدل اللاحقة (nu —) على فكرة المضارعة . كما تلعب السابقة كلا الدورين ، ولكن نادرا ما نعطيها لغتنا وظيفة نحوية ، على سبيل المثال ، — ge فى صيغة الماضى المستمر الألمانى (ge — setzt, etc) ، السوابق الكاملة فى اللغـــة السلافية (الصيغة الروسية na pisat etc) . كما أن السابقة تختلف عن اللاحقة من خلال ميزة — عامة تماما — ليست مطلقة . السابقة محددة بشكل صارم ولهذا فن السهولة فصلها عن الكلمة كلية . وهذا يعود إلى طبيعة السابقة . تبقى الكلمة كاملة بعد حذف السابقة (قارن الصيغ الفرنسية : غير قيم indigne ويبدأ commencer : يبدأ من البداية recommen cer وزن weight يوازن contrepoids ومدرب adroit وغير مدرب maladroit قيم digne .

تقدم اللاتينية واليونانية والألمانية نماذج أكثر صرامة . فوق ذلك ، فان كثيرا من السوابق تؤدى عمل الكلمات المستقلة ، (قارن : (مريض) un ومقابل French contre وقبل avant وعلى sur German un'er, vor, etc. and Greek kata, pro, etc.

ولكن اللاحقة تختلف كلية . ان العنصر الأصلى الباقى بعد حذف اللاحقة لا يشكل كلمة كاملة ، على سبيل المثـــال : organis—; German تنظيم French organisation Trennung : trenn , Greek Zeu ma : zeug —, etc.

وزيادة على ذلك ، ليس للاحقة وجود مستقل . النتيجة هى أن القسم الأول من

الأصل عادة يحدد مقدما . ان المتكلم يعرف قبل أن يقوم بأى مقارنات مع الصيغ الأخرى أين يضع الخط بين السابقة وما يتبعها . وهذا لا ينطبق على القسم الأخير فى الكلمة .

لا يوجد من يستطيع وضع حدود قبل مقارنة الصيغ التى لها نفس الأصل واللاحقة أولا . . . . والتحديدات الناتجة ستتنوع تبعا لطبيعة المصطلحات المقارنة .

بوجه خاص ، فان اللواحق والأصول تأخذ قيمتها من التناقضات التركيبية والمرافقية . اننا نجد عادة عنصرا أصليا وتشكيليا فى أى قسمين متناقضين من الكلمة بشرط أن تكون هناك تناقضات ممكنة . فى الكلمة اللاتينية : (dictatorem)، على سبيل المثال ، علينا أن نلاحظ الأصل (em) - dictàtor إذا قارنا ا مع الكلمات : consul- en, ped-em, etc والأصل : dicta- (torem إذا قارناها مع الصيغة Lic-tōrem, scrip - torem, etc. والأصل : dic — (tatorem) إذا نظرنا فى tatorem, cand - tatorem, etc. بشكل عام وتحت ظروف ملائمة ، فان المتكلم يمكن أن يقوم بأى تقسيم متصور (على سبيل المثال

dictat - orem, from am - ōrem, ard - ōrem, etc.',
dict - atorem, from or - atorem, ar - âtôrem, etc).

نعلم أن نتيجة هذه التحليلات التلقائية تظهر فى الصيغ القياسية لكل فترة (انظر ص ١٧٠) . نستطيع أن نستخرج الوحدات المساعدة من خلالها (الجذور ، السوابق ، اللواحق ، والنهايات) . التى تعرفها اللغة والقيم المتعلقة بها .

٩ ـ الاشتقاق (علم أصول المفردات) Etymology :

لا يعد الاشتقاق فرعا من فروع العلم ولا قسما من علم اللغة التطوري. فما هو إلا تطبيق واستعمال الأسس التي تتعلق بالحقائق التاريخية والوصفية. انه يعود إلى تاريخ الكلمات حتى يجد شيئا يفسرها.

إن الكلام عن أصل كلمة، وأنها أتت من كلمة أخرى يمكن أن يتطلب عدة أشياء مختلفة. هكذا، فإن الكلمة الفرنسية (et.) أتت من الكلمة اللاتينية (sal) من خلال تغير صوتي بسيط، وكلمة (يحرث) Labourer أتت من الكلمة الفرنسية القديمة (عمل) Labourer من خلال مجرد تغيير في المعنى؛ وكلمة (يحضن) couver أتت من الكلمة اللاتينية (يرقد في السرير) cubare من خلال تغير في المعنى والصوت، أخيرا. فإن التعبير الفرنسي: (شجرة تفاح) Pommier مأخوذ من كلمة (تفاح) pomme من خلال علاقة الاشتقاق النحوي.

إن النماذج الثلاثة الأولى تتضمن تماثلات تاريخية، أما الرابع فهو قائم على العلاقة الوصفية لعدة مصطلحات مختلفة، وكل شيء قيل حول القياس يدل على أن هذه العلاقة هي أهم أجزاء البحث الاشتقاقي.

انه لا يمكن التأكيد بأن اشتقاق كلمة bnous من مجرد الرجوع إلى كلمة dvanes. ولكن إذا كانت صيغة big تعود إلى صيغة dvis، باستخدام العلاقة مع duo، بعد هذا يكون المنهج أو الاجراء اشتقاقيا. نفس الشيء ينطبق على مقارنتنا لكلمة الفرنسية (عصفور) oiseau والكلمة اللاتينية avicellus، لأن المقارنة تكشف عن الرابط بين oiseau و avis. الاشتقاق هو بشكل رئيسي تفسير الكلمات من خلال الدراسة لعلاقاتها مع الكلمات الأخرى.

إن التفسير يعنى الربط بمصطلحات معروفة ، وفى علم اللغة ، تفسير الكلمة هو ربطها بكلمات أخرى ، لأنه ليس من الضرورى أن يكون هناك علاقات بين الصوت والمعنى (أنظر ص ٦٧ وما بعدها، أساس الطبيعة الاعتباطية للعلامة) .

إن الاشتقاق ليست مهمته تفسير الكلمات المفردة وتوقفه هناك . انه يجمع تاريخ عائلات الكلمة وتاريخ عائلات العناصر التشكيلية - السوابق ، اللواحق - الخ .

إن الاشتقاق ، مثل علم اللغة التطورى والثابت ، يصف الحقائق . ولكن هذا الوصف ليس منهجيا لأن لا يتبع نظاما محددا . ان الاشتقاق فى جمعه لتاريخ الكلمة يقترض معطياته أو معلوماته على التناوب من علم الأصوات وعلم الصرف وعلم الدلالة . . الخ .

حتى يصل إلى هدفه ، فان الاشتقاق يستخدم كل المعطيات الموضوعة تحت تصرفه ، فى علم اللغة ولكنه لا يهتم بطبيعة العمليات اللازم أداؤها .

القســم الرابــع

علم اللغة الجغرافى

الفصل الأول

كلما اقتربنا من مسألة العلاقات الخاصة للظاهرة اللغوية ، نكون قد تركنا علم اللغة الداخلي ، ودخلنا في علم اللغة الخارجي . لقد عرضنا مفهوم علم اللغة الخارجي في الفصل الخامس من المقدمة .

إن أكثر ما يلفت النظر حول دراسة اللغات هو تنوعها أو اختلافها — الاختلافات اللغوية التي عندما ينتقل المرء في بلد إلى آخر أو في اقليم إلى غيره . ان الاختلاف الزمني غالبا ما يغيب عن ذهن الملاحظ ، ولكن اختلاف المكان يفرض نفسه عليه في الحال ، حتى الهمجيون المتخلفون يدركونها ، وهم يفكرون من ربطهم بالقبائل الأخرى التي تتكلم لغة مخالفة لغتهم .

في الحقيقة ، ان هذه المقارنات هي التي تجعل الأمة تدرك لغتها وتفهمها .

نقول بالمناسبة ان هذا الاحساس يجعل الشعوب البدائية تنظر إلى اللغة على اعتبار أنها عادة أو تقليد مثل الملابس والأسلحة . ان مصطلح اللغة يظهرها بصدق على أنها تعكس ميزة خاصة بالمجتمع (ان مصطلح iploma في اليونانية كانت تحمل دائما معنى « تقليد خاص ») .

هذا المفهوم ، مع ملائمته، يصبح مضللا عندما نذهب بعيدا في النظر إلى اللغة على أنها خاصية أو ميزة — ليست لأمة ، ولكن للجنس بنفس الطريقة مثل اختلاف لون البشرة أو شكل الرأس .

انه من المفيد أن نشير إلى أن كل أمة تعتقد عبقرية لغتها ، وتعتبر الذي يتكلم

لغة غير لغتها بأنه غير قادر على الكلام . على سبيل المثال ، الكلمة اليونانية barbfares تعني بوضوح ، الشخص الذي يتمتم ، وهي متصلة بالكلمة اللاتينية balbus ، ويقال لها في الروسية والألمانية ، البكم ، Nëmtey . ان الاختلاف الجغرافي كان أول ملاحظ قام بها علم اللغة . انه حدد وقرر الصيغة الأولية للبحث العلمي للغة حتى عند اليونانيين ، للتأكيد ، كان اليونانيون لا يهتمون إلا بتنوع اللهجات الهللينية المختلفة ، وهذا ، راجع الى أن اهتمامهم لم يتجاوز حدود اليونان الخاصة .

عند ملاحظة لغتين مختلفتين ، فان الفرد ينظر إلى التشابه الموجود بينهما ، هذه نزعة طبيعية عند المتكلمين . كانت عند البيزنطيين رغبة في مقارنة لهجتهم المحلية ، مع لهجات القرى المجاورة . ان الشعوب التي تتكلم عدة لغات ، تلاحظ الميزات المشتركة بينها . ولكن لأمر غريب انتظر العلم فترة طويلة حتى استفاد من نتائج مثل هذه الملاحظات ، على سبيل المثال ، لقد لاحظ اليونانيون تشابها كبيرا بين مفردات اللغة اللاتينية ومفردات لغتهم . ولكنهم لم يستطيعوا الخروج بأي نتائج لغوية .

إن الملاحظة العلمية للتشابهات اللغوية تثبت أن لغتين أو أكثر يمكن أن تكون بينها قرابة . أعني ، أنهما من أصل واحد . ان مجموع اللغات المتقاربة يشكل عائلة . لقد حدد اللغويون المحدثون على التوالي عدة عائلات: الهندوأوروبية ، السامية ، لغة البانتو ... الخ . لقد كانت مقارنتهم لهذه اللغات مع بعضها ، بالتالي تكشف أحيانا الأصل القديم والواضح تماما .

لقد قامت محاولات للبحث عن التشابه بين اللغة الفينو ـ أوجرية Finno-ugric والهندوأوروبية ، وبين هذه واللغة السامية .. الخ ، ولكن مثل

هذه المقارنات كانت تواجهها دائما عوائق لا تقهر . يجب أن لانخلط بين لمحتمل وما يمكن اثباته .

إن وجود قرابة بين لغات العالم ، أمر غير محتمل ، حتى إذا كانت صحيحة ــ كما كان يعتقد اللغوى اللاتينى « ترومبيتى » Trombetti ــ فانه لايمكن إثبات ذلك لوجود العدد المفرط من التغيرات التى أصابتها .

بجانب الاختلاف داخل المجموعة المتقاربة ، من ثم ، هناك اختلاف مطلق ــ الاختلاف بين اللغات التى ليس لها نسب معروف أو ممكن اثباته ، ما المنهج الذى يجب أن يستخدمه اللغوى فى كل من هذه الدرجات ؟ دعنا نبدأ من الثانى الذى يعد أكثر شيوعا . كما قلنا الآن ، عدد كبير من اللغات والعائلات اللغوية ليس بينها نسب .

المثل الجيد هو اللغة الصينية مع أخذنا بالاعتبار الهندوأوروبية . ان حقيقة اختلافها لايعنى أنه لا يمكن مقارنتها ، لأن المقارنة ممكنة دائما ومفيدة ، انها تطابق على الفصائل النحوية والأساليب العامة للتعبير عن الفكرة تماما مثل الانظمة الصوتية ، كما أنها تتضمن الحقائق التاريخية ، التطور الصوتى فى لغتين ، الخ .

إن امكانيات المقارنه ، بهذا الشكل لا تعد ولا تحصى، محددة بمعطيات نفسية وصوتيا ثابتة ، تحدد شكل أى لغة ، تبادليا ، فان اكتشاف المعطيات المستقرة هو دائما الهدف الرئيسى ، لأى مقارنة بين اللغات المتقاربة .

النوع الثانى من الاختلافات ــ تلك التى توجد بين العائلات اللغوية ــ تفسح مجالا غير محدود للمقارنة . يمكن أن تختلف اللغتان إلى أى

حد ، يمكن أن يحملان تشابها كبيرا بينها ، مثل لغة الزند « Zend » والسنسكريتية ، أو تكونان مختلفتان تماما مثل السنسكريتية والجيليكية « Gaelic » ، كل الدرجات المتوسطة ممكنة : فاليونانية واللاتينية أكثر تقاربا مع بعضها من السنسكريتية ، الخ .

إن اللغات التي يوجد بينها اختلاف بسيط تدعى لهجات ، ولكن يجب استعمال هذه الكلمة بشكل مطلق . سوف نرى أن اختلاف اللهجات واللغات اختلاف كمي ، وليس جوهريا . (أنظر ص ٢٠٢) .

الفصل الثاني

تعقيدات الاختلاف الجغرافي

١ ـ تعايش عدة لغات في مكان واحد :

لقد تمثل الاختلاف الجغرافي في صيغة انموذجية عند هذه النقطة :

« بقدر ما تتعدد الاقاليم تختلف اللغات . لقد كان منهجا مقنعا لأن الفصل الجغرافي لا يزال أكبر قوة عامة في الاختلاف أو التنوع اللغوي . ولكن توجد هناك حقائق ثانوية تربك العلاقة النوذجية ، وتجعل عدة لغات تتعايش في نفس الاقليم ، لقد تجاوزنا أمرين، الأول ، هو الحقيقي أو الأصلي ، الامتزاج العضوي أو تداخل لغتين الذي ينتج عن تغير في النظام (قارن : الانجليزية بعد الغزو النورماندي) . الثاني هو الصدام السياسي لعدة لغات منفصلة بوضوح من حيث المكان ، لكنها تدخل ضمن حدود نفس الدولة ، كما هو الحال في سويسرا » .

إن الحقيقة الوحيدة التي تعنينا أنه يمكن للغتين أن تتعايشا جنبا إلى جنب في نفس المكان من غير أن تمتزجا وهذا يحدث غالبا ، ولكنه من نوعين مختلفين .

« الأول : أن يركب القادمون الجدد (المستعمرون) لغتهم على لغة أهل البلاد الاصليين ، على سبيل المثال ، لقد تتابع على جنوب أفريقيا استعماران الألماني والانجليزي ، وبقيت هاتان اللغتان جنبا إلى جنب مع اللهجات الافريقية

(Negro) ، بنفس الطريقة توضحت الاسبانية فى المكسيك . لايوجد مثل هذه التجاوزات الغريبة فى العصور الحديثة . لقد امتزجت الامم طوال العصور ، ولكنها حافظت على تميز لغاتها . لنؤكد هذه الحقيقة فما علينا إلا أن نلق نظرة على خريطة أوربا :

ايرلندا ، مع الكلتية والانجليزية ، كثير من الايرلنديين يتكلمون اللغتين فى بريتانى Brittany يتكلمون الفرنسية والبريتونية . فى اقلـــيم الباسك يتكلمون الفرنسية والاسبانيه تماما مثلما يتكلمون الباسيكية . فى فنلندا ، تعايشت اللغة السويدية والفنلندية لفترة طويلة ، كما انضمت اليها الروسية حديثا . فى بلاد الكور courland ، وليفونيا ، Livonia يتكلم الناس اللتشية ، Lettish ، والالمانية والروسية ، الالمانية دخلت عن طريق الاستعمار تحت حماية الحكم الهانزى ، Hanseatic League ، خلال القرون الوسطى – تخص جزءا خاصا من السكان ، والروسية دخلت بعدها عن طريق الاحتلال . لقد شهدت التوانية دخول البولندية بجانب التوانية نتيجة الوحدة السابقة مع بولندا والروسية نتيجة الضم . لقد كانت تستعمل السلافية والالمانية فى القرن الثامن عشر ، فى كل القسم الالمانى الواقع شرق جبال الالب . ان اللغات معقدة أكثر فى المناطق الاخرى : لقد وجدت فى مقدونيا كل اللغات التى يمكن تصورها — التركية ، البلغارية ، السيبيرية ، اليونانية ، الالبية ، الروسية ، الخ — واللغات ممتزجة بطرق مختلفة فى الأقاليم المختلفة .

إن تعايش اللغات ليس مطلق التعقيد دائما ، يمكن أن تكون هناك بعض التوزيعات الاقليمية النسبية . بالنسبة للغتين ، يمكن أن تكون احداهما متكلمة فى بلدة والاخرى لغة البلاد ، ولكن مثل هذا التوزيع لا يكون واضح الحدود

دائماً . لقد كانت نفس هذه القاعدة فى العصور القديمة . فالخريطة اللغوية للامبراطورية الرومانية تظهر حقائق مثل تلك التى وصفناها الآن .

فى نهاية العهد الجمهورى ، على سبيل المثال ، لقد أحصى كامبانيا Campania ثلاث أو أربع لغات : الاوسكانية Oscan ، تشهد عليها مخطوطات بومبى ، اليونانية ، لغة المستعمرين الذين اكتشفوا نابولى ، الخ . اللاتينية ، ومن المحتمل الاتروسكية Etruscan التى تعد اللغة المسيطرة أو الشائعة قبل وصول الرومان ، فى قرطاجنة ، استمرت البونية ، Punic ، أو الفينيقية بجانب اللاتينية (بقيت موجودة حتى الغزو العربى) ، كما أن النوميدية ، Numidian ، كانت موجودة بالتأكيد فى اقليم قرطاجنة لابد من الافتراض أنه كان فى حوض المتوسط بلاد أحادية اللغة فى العصور القديمة ، وهذا يكون استثناء .

إن الغزو هو السبب المألوف للتراكم اللغوى ، ولكن من الممكن أن يحدث من خلال تغلغل سلمى على شكل استعماره القبائل البدوية يمكن أن تحمل لهجتها معها :

هذا ما فعله الغجر (Gypsis) وبخاصة أولئك الذين أقاموا فى هنغاريا حيث شكلوا قرى متضامنة ، ودراسة لغتهم تشير إلى أنهم أتوا من الهند فى فترات زمنية غير معروفة فى الماضى . فى دوبروجا Dobruga على منبع نهر الدانوب ، تبدو القرى التترية المتفرقة مثل بقع صغيرة على الخريطة اللغوية للاقليم .

٣ ـ اللغة الادبية واللغة الدارجة (التعبير المحلى) :

التصور أو الفكرة البعيدة تبين أن الوحدة اللغوية يمكن أن تتحطم عندما

تتأثر اللغة الطبيعية باللغة الادبية . هذا ليس ببعيد الحدوث عندما تصل الأمه إلى مرحلة معينة من الحضارة ، لا أقصد باللغة الأدبية فقط لغة الادب ، ولكن أيضا ، بمعنى أكثر اتساعا وعمومية ، أى نوع من اللغة الثقافية رسمية كانت أو أى شيء آخر تقوم بخدمة كل المجتمع . فى اقليم محدد ، اللغة ليست إلا لهجات ، لا توجد لهجة أفضل من الأخريات ، ولهذا السبب فانها تستمرق بشكل عادى .

ولكن الاتصالات تتحسن مع نمو الحضارة ، تختار إحدى اللهجات بواسطة الاصطلاح الضمنى إلى حد ما لتكون الوعاء لكل شيء يثير مشاعر الأمة أو يؤلف بينها ككل . ان سبب الاختيار يختلف بشكل كبير . يكون التفضيل أحيانا لهجة الاقليم الأكثر تقدما حضاريا أو إلى المقاطعة التى تكون لها قوة سياسية وتسيطر على القوة المركزية . وأحيانا تفرض لهجه الطبقة الحاكمة على الأمة . ان اللهجة المتفوقة بعد أن ترقى الى المنزلة الرسمية واللغة الممتازة نادرا ما تبقى كما كانت من قبل . انها تكتسب عناصر لهجيه من الأقاليم الاخرى وتصبح مركبة بشكل كبير من غير أن تفقد صفتها الأصلية تماما .

هكذا ، فان لهجة Ilede France مميزة بوضوح فى اللغة الادبية الفرنسية والتوسكانية Tuscan فى اللغة الفصحى الايطالية . ولكن اللغة الادبية لا تفرض أو تعم بين يوم وليلة ، ويجد غالبية الناس أنفسهم يتكلمون لغتين (مزدوجى اللغة bilingual) ، اللغة الفصحى (الراقية) واللهجة المحلية . ويظهر هذا فى كثير من الأجزاء الفرنسية ، مثل سافوى Savoy ، حيث نجد الفرنسية لغة دخيلة لم تستطع ازالة

لهجة الاقاليم المحلية ، وبشكل عام فى ألمانيا وايطاليا حيث توجد اللهجات جنبا الى جنب مع اللغات الرسمية .

ان ذلك يحدث مع كل الامم التى وصلت الى مرحلة معينة من الحضارة . لقد كان لليونانيين لهجة أو لغة « Koine » ، مأخوذة فى الاتيكية والأيونية بجانب اللهجات المحلية الموجودة . وما يمكن افتراضه أو التسليم به أن اللغة البابلية القديمة كانت تتكون من اللغة الرسمية واللهجات الاقليمية .

هل اللغة الفصحى تتطلب أو تتضمن بالضرورة استعمال الكتابة ؟ ان قصائد هوميروس يمكن ان تؤكد أنها لاتتضمن ذلك . حتى أولئك الذين ألفوا لغاتهم فى وقت كان استعمال الكتابة فيه قليلا أو لم يكن مطلقا ، فان لغتهم لها قواعد مرعية ولها كل مميزات اللغة الادبية . ان الحقائق التى درست فى هذا الفصل تمد مشتركة الى الحد الذى يجب أن تؤخذ على أنها قوى عادية مألوفة فى تاريخ اللغات .

ولكن حتى نحافظ على هدفنا علينا أن نبتعد عن كل شىء يخفى الظاهرة الرئيسية للاختلاف الجغرافى الطبيعى ، ونعتبره منفصلا أو بعيدا عن لغة أجنبية دخيلة ، أو أى تشكيل اللغة الادبية . يبدو أن هذا الخلط التبسيطى يسير ضد الواقع ، ولكن الحقيقة الطبيعية يجب أن تدرس أولا فى نفسها . تمشيا مع هذا الاساس ، سوف نقول أن لغة بروكسل (عاصمة بلجيكا) ألمانية حتى وهى فى الجزء الفلمنكى « Flemish » ، لبلجيكا ، كما أنهم يتكلمون الفرنسية هناك ، ما أثر الحدود بين الفلمنكية والمقاطعات الوالونية « Walloon » ، اللبجية « Liège » ، رومانية لنفس السبب :

فى مقاطعة الوالون الفرنسية لغة أجنبية مما جعلها تفرض نفسها على لهجة من نفس الأصل . وبالمثل ، اللغة البرستية « Brest » تنتمى لغويا للغة البرتونية « Breton » ، ان اللغة الفرنسية المتكلمة هناك لا يوجد بينها وبين اللغة الوطنية البريتانى « Brittaog » ، أى شىء مشترك . فى برلين حيث كانت تسمع الالمانية الفصحى على وجـه الخصوص تعد الالمانية المبتذلة ، الخ .

الفصل الثالث

أسباب التنوع الجغرافى

١ – الزمن هو السبب الرئيسى :

حيث أن الاختلاف المطلق يا رح مسألة فكرية خالصه (أنظر ص ١٩٢)، فان الاختلاف بين اللغات المتقاربه يمكن ملاحظته واعادة توحيده . ان اتجاه العامية اللاتينيه اتجاهات مختلفة فى شمال بلاد الغال وجنوبها يفسر الأصل المشترك للفرنسية والبروفنسالية.

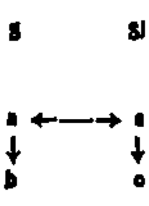
عند تبسيط الوضع النظرى بقدر الامكان فاننا نستطيع الوصل للسبب الرئيسى للاختلاف فى المكان . ماذا سيحدث إذا نقلت لغة متكلمة فى بقعة محدودة – على سبيل المثال ، جزيرة صغيرة – بواسطة المستعمرين الى بقعة محدودة أخرى – على سبيل المثال ، جزيرة أخرى ؟ ستكون هناك اختلافات متنوعة بعد فترة طويلة فى المفرداب ، النحو، النطق ، وهكذا ستفصل لغة المصدر « S » (الجزيرة الاولى) عن لغة المستعمرة (الجزيرة الثانية) « S' » .

انه من الخطأ أن نتصور أن التغير سيصيب اللغة الدخيلة فقط بينما اللغة الاصلية تبقى ثابتة أو العكس . يمكن أن يبدأ التجديد على أحد الجانبين أو فى كليهما فى نفس الوقت . خذ الشكل المغرى « a » الذى يمكن استبداله بالأشكال ، b, c, d, etc : يمكن أن يحدث الاختلاف فى ثلاث طرق مختلفة ،

b / a	a (source S)	المصدر (المكان الاصلى)
a / c	a (settlement S')	المستعمرة (المستوطنة التى انتقلت اليها اللغة .
b / c		

إن الطريقة الاحادية الجانب سوف لا تعمل لان تحديدات اللغة الأخرى لها نفس الأهمية . ما الذى أوجد الاختلافات ؟ انه من الوهم أن نعتقد أن المكان هو المسئول الوحيد . ان المكان بمفرده لا يستطيع أن يؤثر فى اللغة . ان المستعمرين القادمين من الجزيرة « s » يتكلمون فى اليوم التالى لوصولهم للجزيرة « s' » نفس اللغة التى كانوا يتكلمونها فى اليوم السابق . انه من السهل نسيان عامل الزمن لأنه ملموس بشكل أقل من المكان ، ولكنه السبب الفعلى للاختلاف اللغوى . يجب أن يسمى التنوع الجغرافى لتنوع الزمنى أو لاختلاف الزمنى . خذ شكلين مختلفين : « b and c » ، ترى المتكلمين لا ينتقلون من الأول إلى الثانى أو من الثانى إلى الاول لنكشف عن كيفية تحول الوحدة إلى تنوع علينا أن نعود إلى « a » الاصلية التى يحل محلها صورتا « b and c » : ان « a » فسحت المجال للشكلين الأخيرين b and c .

هكذا ، فان الجدول التالى للتنوع الجغرافى سوف يغطى أو يحكم كل الحالات المتشابهة :



.. إن اتصال اللغتين أو افتراقها يبين الصيغة الحقيقية الملموسة الظاهرة، ولكنه لا يفسرها . ان الاختلاف المكاني — بدون شك حالة ضرورية — الحجم والكم أيضا مهمين — ولكن المكان أو المسافة نفسها لا تخلق الاختلافات . ان المورد لا يقاس بواسطة سطح واحد ، ولكن باضافة بعد ثالث وهو العمق ، بالمشابه ، فان الاختلاف الجغرافي يأخذ صورة كاملة عندما يتصور من خلال الزمن . يمكن أن يكون هنا اعتراض آخر ، وهو الاختلاف في البيئة ، المناخ ، الطبوغرافيا والتقاليد المحلية (تقاليد سكان الجبال مقابل تقاليد سكان شواطىء البحار) تؤثر في اللغة ، وتنوعها يكون لهذا السبب مهلا جغرافيا . مثل هذه التأثيرات مفتوحة للنقاش ، نوعا ما (أنظر ص ٤٧ وما بعدها) حتى إذا أمكن اثباتها ، فانه يصبح لدينا فارق أو امتياز عظيم . اتجاه الحركة ، المحكومة في كل مثال بقوى غير قابلة للوزن بدقة لا يمكن اثباتها ولا وصفها ، ينتسب أو يعزى الى البيئة .

إن صوت « u » أصبح « ü » في وقت محدد وفي بيئة معينة . لماذا تغيرت في تلك اللحظة ، وفي ذلك المكان ولماذا أصبحت « ü » ، ولم تصبح « o » ؟ هذا السؤال لا نستطيع الاجابة عليه . ولكن التغير نفسه (مستبعدين الاتجاه الخاص الذي يتخذه ومظاهره الخاصة) — باختصار ، عدم الاستقرار اللغوى — ينشأ عن الزمن وحده . لهذا ، فان التنوع الجغرافي يعد جانبا ثانويا للظاهرة العامة . ان وحدة اللغات المتقاربة توجد في الزمن فقط ، باستثناء عالم علم اللغة المقارن ، فقد استوعب هذا الاساس ، ولكنه كان يبدو وكأنه يخدع نفسه .

٢ - أثر الزمن على الاقليم المتصل (المتجاور) :

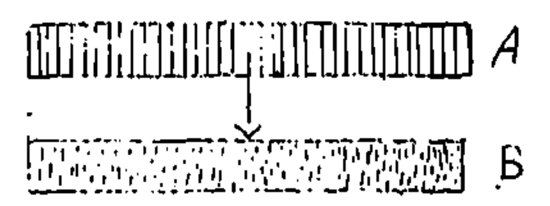
نأخذ الآن بلدا أحادى اللغة ، أعني ، بلدا لها لغة موحدة وشعب

مستمر ، مثل الحال حوالى سنة ٥٠ قبل الميلاد عندما استقرت اللاتينية فى كل مكان . ماذا سيحدث ؟

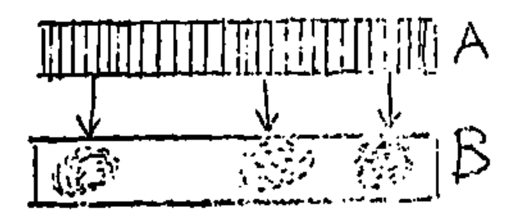
أ) بما أنه لا يوجد شىء مطلق الثبات أو الجمود فى الكلام (أنظر ص ٧٥ وما بعدها) ، فان اللغة لن تبقى كما هى بعد فترة طويلة معينة من الزمن .

ب) إن التطور لن يكون بشكل واحد داخل الاقليم ، ولكنه سيختلف من منطقة إلى أخرى ، لا توجد تسجيلات تدل على أن أية لغة تغـــيرت بنفس الطريقة فى كل أنحاء الاقليم .

ولهذا السبب فهى ليست مثل هذا الجدول :



ولكنها مثل هذا الجدول :



الذى يعطى الصورة الحقيقية .

كيف تنشأ الاختلافات المتحققة فى معظم الصيغ اللهجية المتنوعة ؟

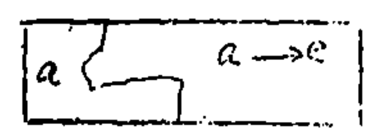
ما النموذج الذى نأخذيه فى تطوره ؟ ان الاختلاف عـبر الزمن ، الذى لا يعد بسيطا ، كما يبدو فى البداية ، يشير بميزتين رئيسيتين :

١) يأخذ التطور شكل التجديدات أو الابتكارات الدقيقة والمتتابعة ، التى تتضمن حقائق جزئية كثيرة بقدر ما يمكن احصاؤها ووصفها وتصنيفها تبعا لطبيعتها (الصوتية ، المعجمية ، الصرفيه والتركيبية ، الخ) .

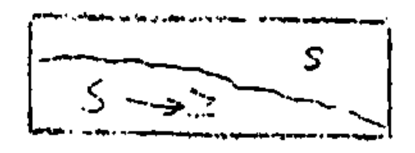
٢) كل تجديد يشمل مساحة معروفة ومحددة هناك احتمالان :

ـ اما أن يشمل التجديد كل الاقليم ، ولا ينشىء اختلافات لهجية (أقـل احتمال ممكن فى العادة) .

ـ أو أن التغير يؤثر فى جزء من الاقليم ، كل حقيقة لهجية لها منطقتها الخاصة (الحدث الأكثر شيوعا) . يمكن أن نمثل بالتغيرات الصوتيه ، ولـكن التجديدات الأخرى تكون مماثلة . على سبيل المثال ، قد يشهد جزء من الاقليم تحول صوت « a » إلى « e » :



كما انه يمكن أن يحدث فى نفس الاقليم داخل حدود أخرى تغير آخر ، مثل : تحول صوت « s » إلى « z » :



إن تعايش أو تواجد هاتين المنطقتين المتميزتين يفسر اختلاف صيغ الكلام الاقليمى فى كل أنحاء الاقليم اللغوى التى تركت تتطور طبيعياً. لا توجد طريقة التنبؤ بهذه المناطق، ولا يوجد ما يشير إلى الطريقة التى ستنتشر بها. كل ما نستطيع فعله هو تسجيلها.

إن الوضع على الخريطة بالحدود المتداخلة وغير المتداخلة مع بعضها، يشكل نماذج معقدة جدا. إن شكلها أو صياغتها تكون متناقضة ظاهريا فى بعض الأحيان. هكذا فان تحول صوتى g ، and ، o ، قبل تحول a to ťa, dě thens, ž (قارن : ، عقوبة ، virga → vozge وأغنية Cantum → chant) .

فى كل شمال فرنسا، باستثناء بيكاردى، وجزء من نورماندیا، حيث بقى صوتا g and c سليمين.

(قارن : Picard cat for chat وقطة rescape for rechappe vergue from virga استشهد بها من قبل etc) .

ما نتيجة الاختلاف عبر الزمن؟ فى لحظة تاريخية واحدة يمكن أن تسيطر لغة على كل أنحاء اقليم معين، وبعد خمسة أوعشرة قرون، فان أبناء كل من أبعد نقطتين فى الاقليم، من الممكن أن لا يفهم أحدهما الآخر. يبقى المتكلمون قادرين على فهم صيغ الكلام للأقاليم المجاورة عند نقطة معينة. ان المسافر فى طول البلاد وعرضها، لايلاحظ إلا اختلافات لهجية بسيطة بين موقع وآخر. ولكن كمية هذه الاختلافات تتزايد. وسوف يأتى على لغة لايستطيع أبناء أول منطقة خرج منها أن يفهموها. أو إذا – ابتدأ من نقطة معينة فى الاقليم – سافر إلى الخارج تارة فى هذا الاتجاه، وتارة فى اتجاه آخر، فانه سيجد أن

هذه الاختلافات تتزايد فى كل اتجاه . ولكن مع كمية اختلاف واحدة عن الأخرى . إن الخصائص الموجودة فى لهجات احدى القرى ، سوف تعود للظهور فى المواقع المجاورة ولكن لايوجد مايبين تماما إلى أى مدى ستصل هذه الخاصية . على سبيل المثال ، فى دوفين « Douvaine » ، الموقع فى مقاطعة سافوى العليا ، فان اسم « Geneva » ينطق « Ǒenva » . لقد سمع هذا النطق فى أقصى الشرق وأقصى الجنوب . ولكن فى الجانب الآخر من بحيرة جنيف ينطقها المتكلمون « dzenva » .

مع ذلك ، فانها ليست مسألة لهجتين متميزتين تميزا تاما ، لأن حدود بعض الظواهر الأخرى ستكون مختلفة .

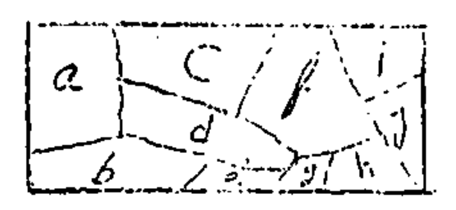
فى دوفين ينطق المتكلمون « اثنان » daue for deux ، ولكن هذا النطق يظهر فى منطقة محدودة أكثر من منطقة نقطة « Ǒenva » . وعلى سفح جبل ساليف « Salevo » ، على بعد عدة كيلو مترات ــ يقول المتكلمون « due » .

٣ ـ ليست هناك حدود طبيعية للهجات :

ان التطبيق السائد ــ الذى يختلف عن تطبيقها ــ يعمل على تصوير اللهجات على أنها أنواع لغوية معرفة تماما ، محددة فى كل الاتجاهات ، وتغطى مناطق معينة تقع بجانب بعضها بعض على الخريطة (a, b, c, d, etc) . لكن التحولات اللهجية تقدم أو تعطى نتائج مختلفة كلية .

كلما درسنا كل ظاهرة على حدة ، وحددنا انتشارها ، فانه مفهومنا القديم يفسح المجال لواحدة جديدة :

لا يوجد إلا أشكال لهجية طبيعية ولا بت لهجات طبيعية ، بمعنى آخر ، هناك عدد من اللهجات بقدر عدد المواقع .



إن مفهوم اللهجات الطبيعية يتعارض لهذا السبب مع مفهوم المناطق الواضحة التحديد وهذا يجعلنا أمام اختيارين :

١) يمكن أن نحدد اللهجة بخصائصها الكلية — التي تتضمن اختيار نقطة محددة على الخريطة ، ولا نجمع إلى صيغ الكلام الاقليمية اوقع واحد ، لأن نفس الخصائص لا تنتشر بعيدا عن هذه النقطة . أو

٢) يمكننا أن نحدد اللهجة باحدى مميزاتها ، ونحدد ببساطة مدى انتشار هذه الميزة أو الخاصية — من الواضح أنه اجراء فني صناعي ، لأن الحدود التي رسمناها لا تتطابق مع الحقيقة أو الواقع اللهجي .

إن البحث في الخصائص اللهجية هي نقطة الانتقال إلى البحث في رسم الخريطة اللغوية أو التوزيع اللغوي « Li guistic Carto graphy » . ان الأطلس اللغوي النموذجي هو :

Gilliéronis Atlas linguistique de la France.

كما أنه لابد من الاشارة إلى خريطة وينكر « Wenker » لألمانيا . ان شكل الأطلس يحدد سلفا ، لأننا سندرس البلد اقليما بعد اقليم ، والخريطة لا تشتمل

إلا على عدد قليل من الخصائص اللهجية لكل اقليم ، لابد من تمحيص الحقائق لكل الاقليم عدة مرات ، لتوضيح الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية .. الخ . التي تراكمت فوق بعضها . ان مثل هذا العمل يتطلب مجموعة من الخبراء ، واستبيانات مخططة بوضوح ، تعاون المؤسسات المحلية ، الخ ، احدى المشاريع القيمة ذلك البحث لهجات الفرنسية المتداخلة في سويسرا — ان الاطالس اللغوية مفيدة ، لانها تقدم المادة لعمل دراسات لهجية .

إن كثيراً من الدراسات الحديثة قامت على أساس أطالس جيليرون Gillieron ، . تسمى حدود الخصائص اللهجية الفواصل اللغوية « isoglote lines or isoglosses » .

إن هذا الاسم — مصاغ على النموذج isetherme — غامض وغير ملائم أو غير دقيق ، لانه يعني « معرفة نفس اللغة » ، بينما تعني كلمة « glosseme » خصيصة لغوية أو تعبيرية .

إن تعبير isoglossematic lines عند استخدامه عمليا ، لابد أن يكون أكثر دقة وملائمة . ولكني أفضل استعمال التعبير « الموجات التجديدية » Innovating Waves ، وهو تعبير وصفي يرجع استخدامه للعالم الألماني ج. شميث J. Schmith سيتضح في الفصل الثالث سبب تفضيلي لهذا التعبير .

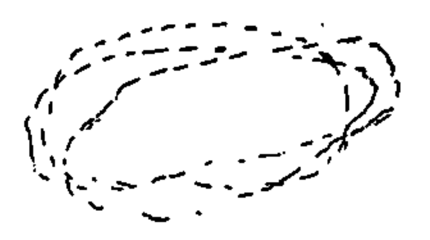
إن نظرة على الأطلس اللغوي تكشف نوعا ما عن موجتين أو ثلاث موجات مترافقة غالبا أو حتى متداخلة في منطقة واحدة :

A

B

إن النقطتين « A and B » التين يفصل بينهما مثل هذا الخط ، يوجد بينها بشكل واضح بعض الاختلافات أو الانحرافات ، وتكون شكلين مختلفين تماما من الكلام .

إن هذه التوافقات ، بدل أن تكون جزئية ، يمكن أن تميز أو تصف كل المحيط الخارجي لمنطقتين أو أكثر :



تعرف اللهجة — كلام غير مهذب — بواسطة تراكم كاف من مثل هذه التوافقات . إن منبعها أو مصدرها هو المسائل الاجتماعية والسياسية والدينية ... الخ . التي لا تعنينا الآن ولكنها تحجب — من غير اغفالها كلية — الحقيقة الطبيعية والرئيسية للاختلاف من منطقة إلى أخرى .

٤ - ليس للغات حدود طبيعية :

انه من الصعب ان نحدد بدقة كيفية اختلاف اللغة عن اللهجة . ان اللهجة فى الغالب تسمى لغة لانها تنتج أدبا . وهــــذا ينطبق على اللغتين البرتغالية والالمانية .

كما أن الموضوع يلعب دوراً ، لابد أن يقر الجميع ويعترفوا بأن الشعب الذى لايفهم بعضهم لغة بعض يعنى وجود اختلاف لغوى أو لغات مختلفة . مع ذلك ، ان اللغات التى تنشأ فى اقليم مستقر وبين سكان ثابتين تظهر — على دائرة واسعة

ـ نفس الحقائق مثل اللهجات . ان الموجات التجديدية تظهر هنا أيضا ولكن مع هذا الاختلاف فانها تحمل خطا مشتركا للغات المتعددة .

إنه يستحيل - حتى فى أمثلتنا الافتراضية ـ أن نقيم حـــدوداً بين اللهجات .

نفس الشيء ينطبق على اللغات المتقاربة . إن حجم الاقليم لا يصنع الاختلاف. اننا لا نستطيع أن نبين بداية الفصحى الألمانية ، High German ، ونهاية الألمانية المبتذلة « Low German » وسنجد أنه من المستحيل أن نضع خطا فاصلا بين : German and Dutch أو بين الفرنسية والايطالية . هناك نقاط حدية يمكن أن نؤكدها « هنا تسود الفرنسية وهنا الايطالية » ، ولكن الفارق يختفى فى الأقاليم الحدودية . يمكن أن نتصور اتفاقا أو ميثاقا ، منطقة أو خط انتقال محصور بين لغتين على سبيل المثال البروفنسالية بين الفرنسية والايطالية ـ ولكن ببساطة فان مثل هذا الخط لا يبقى .

كيف يمكننا رسم حدود لغوية دقيقة لاقليم تنتشر فيه أو تغطيه من بدايته حتى نهايته لهجات مختلفة تدريجيا ؟ ان الخطوط الفاصلة بين اللغات ، مثل تلك التى بين اللهجات ، تختفى فى المناطق الانتقالية . كما أن اللهجات ليست إلا تقسيمات جزئية اعتباطية للشكل أو المظهر الكلى للغة ، فان الحد المفترض ليكون فاصلا بين لغتين ليس إلا فاصلا عرفيا (اصطلاحيا) .

ومع ذلك ، فان الانتقال المفاجىء من لغة إلى أخرى يعد أمراً شائعاً يعود إلى الظروف التى تحطم الانتقالات التدريجية . إن أكبر القوى المدمرة هى التحول السكانى .

إن لأمم انتقل دائما إلى الخلف وإلى الأمام . إن هجراتها المتعددة فى كل العصور أحدثت الاختلاط فى كل مكان وقد اندثرت كل آثار الانتقال اللغوى فى مناطق عديدة . تعد اللغة الهندوأوروبية نموذجية . فى البداية ، فان لغاتها لابد أن تكون متقاربة تماما مع عـــدم تفكك سلسلة المناطق اللغوية . فاننا نستطيع إعادة بناء غالبية الخطوط العريضة لغالبية المناطق . تتقاسم السلافية الخصائص المشتركة مع الايرانية والألمانية وهذا يتفق مع التوزيع الجغرافى للغات الثلاث ، بالمثابه ، فان الألمانية هى الحلقة الوسطى التى تربط السلافية بالكلتية التى لها صلة قرابة تامة مع الايطالية ، والايطالية هى حلقة الوصل (منتصف الطريق) بين الكلتية واليونانية . هكذا يستطيع اللغوى — من غير معرفة موقعها الجغرافى — تحديد موقع كل لغة بدقة . والآن ، فاننا بقدر مانستطيع تعيين الحــــد بين مجموعتين فى اللغات (على سبيل المثال الحدود الألمانية — السلافية) هناك انفصال مفاجىء من غير مرحلة انتقالية . إن المجموعتين تتعارضان بدل أن تتوافقا .

وذلك لأن اللهجات الوسطية قد اختفت لم يكن السلافيون ولا الألمان مستقرين لقد هاجروا ، احتلوا أقاليم كل منها على حساب الآخر ، ان التجمعات السكانية المجاورة للسلافيين والألمان اليوم ليست هى نفسها التى كانت مجاورة . لو ان الايطاليين الذين يقطنون فى كالابريا Calabria أقاموا على الحـــــدود الفرنسية فان التحرك سيحطم الانتقال التدريجى بين إيطاليا وفرنسا . إن عدداً من الحقائق المشابهة يعـــود لانتشار الهندوأوروبية الأصلية .

كما ان قوى أخرى تساعد على القضاء على المراحل الانتقالية . خذ انتشار

الثمات الراقية على حساب اللهجات المحلية (أنظر ص ١٩٥ وما بعدها) . إن اللغة الفرنسية الأدبية الحالية : (لغة ile de france سابقا) تمتد إلى الحدود حيث اصطدم بالايطالية الرسمية (الشكل العام للهجة التوسكانية Tuscan) ، وانه من خلال المصادفة فقط ان اللهجات التقليدية لاتزال موجودة قرب الألب ، على طول كثير من الحدود اللغوية الاخرى فان كل أثر الصيغ الكلامية الوسطية قد انقرضت .

الفصل الرابع

انتشار الموجات اللغوية الانفصالية

١ ـ الاتصال الاجتماعي و (التعبير الريفي) أو (الاقليمية والاتصال) :

إن القوانين التي تحكم انتشار الظاهرة اللغوية هي نفسها التي تحكم أي عادة مهما تكن ، على سبيل المثال ، الزي ، الموضة fashin ، . تعمل في كل مجتمع بشري قوتان معـــا في اتجاهين متعاكسين : (الفردية Provincalism (esprit de clocher) الاقليمية) من جهة والاتصال ــ الاتصال بين الناس ــ من جهة أخرى .

الاقليمية تجعل الجماعة اللغوية المحدودة مخلصة لتقاليدها . ان النماذج التي يكتسبها الفرد في طفولته تكون قوية ومستمرة أو دائمة . إذا بقيت هذه النماذج تعمل منعزلة فانها ستبتكر عددا غير محدود من الخصائص أو الغرائب في الكلام . ولكن الاتصال ، القوة المعاكسة ، يحد من تأثيرها . بينما تعمل الاقليمية على شد الناس في مكانهم نرى الاتصال يجبرهم على التحرك بسرعة . ان الاتصال يأتي بالمارين السبيل من مواقعهم إلى القرية ، ينقل جزءا من الناس من أماكنهم عندما يكون هناك احتفال أو سوق ، يوحد رجالا من أقاليم مختلفة في الجيش . الخ . ، باختصار ، انه القـــوة الموحدة التي تعادل عامل التفريق للاقليمية أو الانفصالية .

إن الاتصال ينشر اللغة ويعطيها الوحدة . انه يعمل فى اتجاهين : سلبيا ، انه يمنع الانقسام اللهجى بقضائه على التجديد اينما ظهر وفى وجد ، ايجابيا ، انه يشجع الوحدة بنشره للتجديد وتبنيه . ان الشكل الثانى الذى يمكن أن يتخذه الاتصال يبرر استعمال كلمة «موجة Wave» لتعيين الحدود الجغرافيه للحقيقة اللهجية (أنظر ص ٢٠٣) ، لأن الفاصل اللغوى يشبه الطرف النهائى لتموج الفيضان .

إنما يثير الدهشة ، اننا نجد فى بعض الأحيان لهجتين منفصلتين بشكل كبير داخل نفس اللغة بينهما سمات لغوية مشتركة ، ذلك لأن التغير الذى نشأ فى مكان ما من الأقاليم لم يواجه أى عائق فى انتشاره وانتشر بالتدريج بعيدا عن النقطة التى بدأ منها . لاشىء يعوق الاتصال فى المادة اللغوية التى لا تعدو أن تكون انتقالات تدريجية .

إن تعميم الحقيقة الخاصة — بصرف النظر عن حجم منطقتها — تتطلب وقتا ، وفى بعض الأحيان يكون الوقت محدودا (مقيسا) . هكذا فان تحول ضوزة : b to d ، الذى حمله الاتصال إلى كل القارة الألمانية ، انتشر أولا فى الجنوب ، ما بين سنتى ٨٠٠ — ٨٥٠ م ، ماعدا فرانكونيا Franconia حيث بقى صوت b مثل صوت u الخفيفة ولم تسمح بظهور صوت d حتى وقت متأخر أن تحول صوت t إلى Z (تنطق ts) قد حدث فى أكثر الحدود المحصورة وبدأ خلال فترة سابقة لأول وثائق مكتوبة ، لابد انها بدأت فى منطقة الألب حوالى ٦٠٠ م وانتشرت شمالا وجنوبا حتى وصلت لومباردى Lombardy لقد كان صوت الـ « t » موجودا فى القرن الثامن فى دستور ثورنجيان Thuringian خلال فترة متأخرة أصبح صوتا I and U صائتين

مركبين (علة ثانية diphthongized قارن :

(mein for min, brenn for brūn

لقد استغرق وصول هذه الظاهرة إلى الراين Rhine ثلاثمائة سنة وعبت منطقتها الحالية .

لقد انتشرت الحقائق اللغوية السابقة عبر تأثير التداخل اللهجى ، ونفس الشىء يمكن أن ينطبق على الموجات . لقد بدأت من نقطة واحدة ثم تشعبت . وهذا يقودنا إلى الملاحظة الهامة الثانية . ان تحول الصوامت الألمانية يوضحها لنا مرة ثانية .

عندما تحولت الوحدة الصوتية t إلى ts عند نقطة ما فى الاقليم الالمانى فان الصوت الجديد بدأ ينتقل ويتشعب من مصدره وأصبح الصوت ts هو المنافس لصوت t الأصلية أو للاصوات الأخرى التى يمكن أن تتطور عنها فى نقاط أخرى . ان مثل هذا التجديد يكون صوتيا خالصا عند المنشأ ولكنه ينشأ فى أى مكان آخر جغرافيا فقط من خلال التداخل اللهجى . ومن ثم يكون الجـــدول :

t
↓
ts

صالحا وصحيحا مع كل بساطته بالنسبة للمنشأ وليس أكثر . وإذا حاولنا تطبيقه على الانتشار فان الصورة الناتجة تكون مشوهة ومحرفة لهذا فان واجب عالم الأصوات التمييز بدقة بين أماكن النشوء والمناطق المتأثرة . ان الوحـــدة الصوتية تتطور عند نشأتها بناء على العامل الزمنى فقط . ولكن الحقائق الصوتية المجردة سوف لا تبين المناطق المتـــأثرة ، لأنها ناتجة من تفاعل الزمان والمكان كليهما . خذ ts التى أتت من مصدر (منشأ) خارجى والتى حلت محل « t »

هذا مثال ، ليس تكييفا أو تعديلا للنوع الأصلى التقليدى ولكن تقليداً للهجة المجاورة بصرف النظر عن النوع الاصلى . ان كلمة « القلب » Herza جاءت من مناطق الألب وحلت محل الصيغة القديمة « herte » فى ثورنجيا " Thuringia " .

علينا أن لا نتحدث هنا عن التغير الصوتى ولكن عن الوحدة الصوتية الدخيلة (المقترضة) .

٣ ـ اختصار القوتان الى قوة :

إذا ركزنا على نقطة جغرافية واحدة ـ اعنى منطقة صغيرة مشابهة القمة (أنظر ص ٢٠٢) على سبيل المثال ، قرية ـ من السهل فرز ما يعود لكل قوة من القوتين ، الانفصالية (الاقليمية) والاتصال . أن أى حقيقة خاصة لاتعتمد إلا على قوة واحدة ولا يمكن أن تعتمد على كليها ، ان أى سمة مشتركة مع أى لهجة أخرى تعود إلى الاتصال ، وكل سمة تخص تماما لهجة المنطقة المدروسة تعود الى الانفصالية (الاقليمية Provincialism) . ولكن عندما ننتقل إلى منطقة أكبر ـ على سبيل المثال ، ولاية ـ فتظهر صعوبة أخرى . ليس من السهل معرفة القوة المسئولة عن ظاهرة محددة . ان كلا القوتين ، المتناقضتين ، مستخدمتان فى كل سمة من سمات اللغة . انما يميز ولاية « A » يكون عاما أو مشتركا فى كل أجزائها

ان القوة الفردية أو الانعزالية تمنع ولاية « A » من محاكاة أى شىء عند ولاية « B » ، وكذلك تمنع ولاية « B » من تقليد ولاية « A » . ولكن القوة الموحدة ، الاتصال ، تعمل أيضا ، لأنها تظهر الأجزاء المختلفة لولاية « A » (A¹, A², A³, etc) تعمل القوتان معا فى المناطق الكبيرة ولكن بنسب مختلفة . بقدر ما يدعم الاتصال التجديد بقدر ما يصل إلى أقصى منطقة،

أما بالنسبة للانعزالية (الأقليمية) فانها تتجه إلى حماية الحقيقة اللغوية فى كل منطقتها بواسطة حمايتها ضد المنافسات الخارجية . لا نستطيع التنبؤ بالنتائج النهائية لأثر القوتين . فى الاقليم الألمانى الذى يمتد فى جبال الألب على بحر الشمال بعد أن تحول صوت a إلى e كان عاما بينما تحول صوت « z » على « ts » لم يؤثر إلا فى الجنوب (أنظر ص ٢٠٦) ، الانعزالية (الاقليمية) أنشأت تناقضا بين الشمال والجنوب ولكن الاتصال هو المسئول عن الثبات المعوى داخل اقليم .

وهكذا فليس هناك فرقا أساسيا بين الظاهرة الثانية والأولى . نفس القوى موجودة ، ولكن تختلف قوة كل منها فقط .

من الناحية العملية ، فان هذا يعنى أننا عند دراستنا التطورات اللغوية نستطيع اهمال القوة الانعزالية (الاستقلالية — الاقليمية) . هذا ما يمكن أن نعتبره الجانب السلبي للقوة الموحدة . ان الأخير يمكن أن يكون قويا إلى درجة توحيد كل المنطقة . (وإذا لم يكن ذلك) فان الظاهرة ستتوقف بعد أن تسود جزءا من الاقليم . ان الجزء الذى سادت فيه الظاهرة سوف يشكل ، داخليا ارغاما ، كلا متماسكا . هذا ما يجعلنا نقتصر كل شىء على القوة الموحدة بمفردها دون الحاجة إلى الانعزالية (الاقليمية الاستقلالية) ، التى لا تعدو أن تكون أكثر من قوة اتصال خاصة بكل اقليم .

٣ ـ الانفصال اللغوى فى أقاليم متفرقة :

لابد من تحقق ثلاثة أشياء قبل امكانية القيام بدراسة مفيدة للغة التى تتطور فى وقت واحد فى اقليمين منفصلين :

١ – ان التماسك فى المجموعة الأحادية اللغة ليس نفسه بالنسبة لكل الظاهرة.

٢ – لا اليشر كل التجديدات ،

٣ – ان الاستقرار الجغرافى لايمنع الاختلافات الدائمة .

إن مثل هذا التطور المتزامن يكون عاما . عندما انتقلت الألمانية من القارة الألمانية إلى الجزر البريطانية على سبيل المثال ، بدأ هناك تطور مزدوج . كانت هناك اللهجات الالمانية من جهة ، ومن جهة أخرى الانجلوسكسونية التى تطورت عنها الانجليزية .

مثال آخر ، اللغة الفرنسية بعد ان دخلت إلى كندا . ان الانقطاع لا يكون دائما بسبب الاستعمار أو الغزو ، انه يمكن أن ينتج أيضا عن العزلة . لقد فقدت الرومانية اتصالها بالمجموعة اللاتينية من خلال (تدخل) توسط السكان السلافيين. ان السبب ليس مهما ، انما ما يهم هو ما إذا كان الانفصال يلعب دورا فى تاريخ اللغات وفيما إذا اختلف تأثيراتها عن تلك التى تظهر عندما تكون هناك استمرارية .

لقد تصورنا فى السابق ، حتى نوضح الأثر المتفوق للزمن ، لغة يمكن أن تتطور معا فى نقطتين مختلفتين محددتين – جزيرتان صغيرتان ، فى المثال الذى قدمناه – حيث يمكن أن نتجاهل الانتشار التدريجى . الآن ، مهما يكن ، لأخذ اقليمين يشملان منطقة واسعة ، سنجد مرة أخرى أن الانتشار التدريجى يحدث الاختلافات اللهجية . ان انفصال أو عدم اتصال الاقليمين لا يبسط المشكلة على الاطلاق . يجب أن نحذر من نسبة أى شىء للانفصال (التفريق) يمكن تفسيره بدون ذلك :

هذا هو الخطأ الذى وقع فيه الباحثون السابقون للغة الهندوأوروبيـــة

(أنظر ص ٢) . ان مراجهتم لما ئة كبيرة من اللغات مختلفة بشكل كبير جعلتهم يفشلون من التأكد من أن الاختلافات يمكن أن تنتج عن أى شىء بجانب الانقسام أو الانفصال الجغرافى . لقد كان سهلا بالنسبة لهم — ولأى شخص — تصور لغات مختلفة فى مناطق متعددة ، فى المظهر الخارجى لم تكن هناك حاجة لتفسير الاختلاف بشكل أكبر . ولكنهم ذهبوا بعيدا . لقد ربطوا بين القومية واللغة مستخدمين الأولى فى تفسير الثانية . هكذا صوروا أو تصوروا اللغات السلافية والألمانية والكلتية الخ ، وكأنها أسراب نحل من خلية واحدة وتصوروا هذه المجموعات (القبائل) تفرقت بعيدا عن مكان اقامتها الأصلى بواسطة الهجرة وحملت معها اللغة الهندوأوربية الأصلية إلى العديد من الاقاليم المختلفة .

ولم يصحح هذا الخطأ إلا فى وقت متأخر جدا . لم يكن ذلك قبل ١٨٧٧ م عندما فتح جوهانز شميدت Johannes Schmidt عيون اللغويين باقتراحه النظرية الاستمرارية أو الموجات (Wellentheorie) فى كتابه :

Die Verwand ts Chef teverhä ltniese der Indogermanen

ثم رأوا أن إنقسام اللغة المحلية تكفى لتفسير العلاقات المتبادلة لغات الهندو أوروبية ، وأنه ليس من الضرورى افتراض أن الأمم المختلفة انتقلت إلى أماكن جديدة (أنظر ص ٢٠٤) . ان الاختلافات اللهجية يمكن ويجب أن تظهر قبل تفرق هذه الأمم فى اتجاهات مختلفة .

ان النظرية النموذجية " Wave theory " لهذا السبب لم تقدم الصورة الصحيحة للهندوأوروبية الأصلية فقط ولكنها كشفت عن أسباب الاختلاف والحالات أو الظروف التى تؤكد قرابة اللغات . ان النظرية التموجية تناقض

نظرية المهاجرة Migratory theory ولكن لا تستبعدها أو تنفيها بالضرورة توجد نماذج كثيرة من الأمم فى تاريخ اللغات الهندوأوروبية قد فقدت صلاتها بالعائلة الرئيسية من خلال الهجرة ، وهذا لابد أن ينتج تأثيرات خاصة ولكن ولكن هذه التأثيرات تمتزج بتأثيرات الاختلاف عندما كان الاتصال قائما ، وصعوبة مطابقتها أو عائلتها تعود بنا إلى مسألة التطور اللغوى فى الأقاليم المختلفة أو المتفرقة .

الانجليزية القديمة ، لقد كان انفصالها عن الألمانية الاساسية نتيجة الهجرة . على الأرجح لن يكون لها شكلها الحالى لو ان السكسونيين أقاموا فى القارة الالمانية خلال القرن الخامس . ولكن ما (المؤثرات) التأثيرات المميزة للتشعب أو الانفصال ؟ انه يبدو أن الواجب علينا أن نسأل أولا فيما إذا كان هذا التغير أو ذاك لا يمكن أن يظهر تماما فى حالة الاتصال الجغرافى (يكون قائما) . لو أن الانجليز أقاموا فى جوتلاند Jutland بدل الجزر البريطانية فانه من الممكن أن بعض الحقائق العائدة إلى الانفصال هو ما جعل الانجليزية تحتفظ بصوت þ بينما تحول إلى (d) فى كل انحاء القارة الالمانية (على سبيل المثال ، English thing and German Ding) ، كما أن الاستقرار الجغرافى ليس بالضرورة هو المسئول عن شيوع التغير فى القارة الالمانية ، يمكن أن تكون حكمت بشكل أدق بالرغم من الاتصال أو الاستمرارية . ان الخطأ هو المقابلة العادية بين اللهجات المنعزلة والمتصلة . لا شىء يثبت فعليا أن تأثير التداخل اللهجى هو الذى سبب انتشار صوت (d) فى كل انحاء — حسب تصورنا — المستعمرة الانجليزية فى جوتلاند " Jutland " اننا نجد فى الاقليم اللغوى الفرنسى ، على سبيل المثال ، (ts) k بقيت

فى الزاوية (الجزء) المشكل لمقاطعتى بيكاردى و نورماندى Picardy & Normandy ولكنها تحولت إلى " (ch) " S ساكنة أو عثنية فى كل مكان آخر . فالانفصال لهذا السبب يعد تفسيرا ظاهريا وغير مقنع . ان التنوع والاختلاف يمكن أن يفسر دائما بدونها . انما يمكن أن يعجل به الانفصال يستطيع عمله الاستمرار أو الاستقرار الجغرافى تماما . إذا كان هناك اختلاف بين نوعى الظاهرة فاننا لا نستطيع تبينه .

ولكن الصور تتغير عندما نأخذ فى الاعتبار لغتين متقاربتين ليس من وجهه النظر السلبية لاختلافات التى بينها ولكن من وجهه النظر الايجابية لاستقرارهما أو ثباتهما . بعدئذ نرى أن الانفصال يفتح الباب فى الحال لامكانية انقطاع كل علاقة بينها يدعم الاستقرار الجغرافى الثبات حتى عبر صيغ الكلام الاقليمية الشديدة الاختلاف ، بالاضافـــة إلى ارتباطها بلهجـات وسطية . وحتى نحدد درجات القرابة بين اللغات ، من أجل هذا علينـــا أن نميز بشكل حاسم ودقيق بين الاستمرارية (الاتصال) والانفصال .

ستحتفظ اللغتان المنفصلتان فى تراثهما المشترك بعدد من السمات تشهد أو تثبت قرابتهما ولكن منذ أن تبدأ كل لغة فى تطورها مستقلة فان المميزات الجديده التى تظهر فى احدهما سوف لا تظهر فى الأخرى (باستثناء بعض المميزات التي تنشأ بعد الانفصال وتكون متطابقة أو متماثلة فى اللغتين بمحض الصدفة) . انما يمكن استخراجه من كل مثال هو انتشار هذه المميزات من خلال تأثير التداخل اللهجى . ان اللغة التى تطورت من غير أن تتأثر باللغات القريبة بشكل عام يكون لها مجموعة من

السمات تميزها عنهن . وعندما تنشق هذه اللغة بالتالى ، فان لهجاتها تظهر القرابة الحميمة عبر السمات المشتركة التى تربط بينهما وتجعلها منفصلة أو متميزة عن لهجات الاقاليم الأخرى ، انها تشكل عادة فرعا مميزا منفصلا عن الأصل . ان علاقات اللغات فى الاقليم المستقر (المتصل) تختلف بشكل كبير . ان سماتها المشتركة ليس بالضرورة أن تكون أقدم من سمات الاختلاف بينهما . فى الحقيقة ، ان التجديد . الذى يبدأ من نقطة محددة يمكن أن ينتشر فى أى لحظة ويمكن أن يشمل كل الاقليم . بجانب هذا ، ان خطوط التجديد تتنوع فى امتدادها ، فمن الممكن أن تكون هناك لغتان متجاورتان لهما خاصية مشتركة دون أن تشكلا مجموعة منفصلة ، ويمكن أن ترتبط كل منها بلغات مجاورة عبر سمات أخرى ، كما هو واضح فى اللغات الهندوأوروبية .

القسم الخامس

فيما يختص باستعراض ماضى علم اللغة

الفصل الأول

(منظورا) وجهتنا نظر علم اللغة التاريخي :

ليس لعلم اللغة الوصفي إلا منظور الشكل في فقط وبالتالي منهج واحد فقط، وعلم اللغة التاريخي، لوعا ما، يتطلب وجهتي النظر Prospective ماسيكون (الترقبية) وماكان (استعادة الماضي retr ospective) (انظر ص ٩).

إن المنهج الترقبي . الذي يتطابق ويتعلق بالبحث الواقعي للاحداث . هو المنهج الذي يجب أن نستخدمه في تطوير أي نقطة تتناول تاريخ اللغة أو اللغات .

انها (تتألف) تتكون من اختبار الوثائق المتاحة . ولكن لايمكن مواجهة المشاكل الكثيرة لعلم اللغة التاريخي بواسطة المنهج الترقبي . في الحقيقة ، حتى نتمكن من اعطاء تاريخ تفصيلي للغة عن طريق متابعة بحثها في الزمن فاننا بحاجة إلى عدد غير محدود من الصور مأخوذة من فترات مختلفة . لم يواجه هذا المطلب أو الشرط الآن . الباحثون الرومان ، على سبيل المثال ، بالرغم من استفادتهم من معرفة اللاتينية ، نقطة الانطلاق لهم في البحث ، وامتلاكهم ومعرفتهم الترتيب الجليل لوثائق تشمل عدة مناطق متتابعة ، كانوا يدركون باستمرار الثغرة الكثيرة في أبحاثهم . ولهذا فيجب أن يرفضوا المنهج الترقبي — دليل مباشر — ويعملوا في الاتجاه المعاكس ، ويستعملوا المنهج التاريخي (الإستعادي) ليستعيدوا الماضي (الزمن) . هذا يعني اختيار مرحلة معينة

والحاجة لتحديد ليس كيفية تطوير الصيغة ولكن الصيغة القديمة التى استطاعت اخراجها إلى الوجود .

إن المنهج التوقعى يعادل (أو يوحد) الرواية البسيطة ويقوم كليا على نقد النص ، ولكن وجهة النظر الاستعادية تتطلب اعادة تنظيم المنهج مدعما بالمقارنة انه يستحيل بناء الصيغة الأصليه فى حالة مفردة ، علامة مفردة ، ولكن المقارنة بين علامتين مختلفتين لها نفس الأصل (على سبيل المثال

Latin pater, sanskrit, pitr; Or the radical of latin ger—o and that of gen—tus)

توضح فى الحال الوحدة التاريخية التى تربط العلامتين مع النوع الأصلى الذى يمكن بناؤه بشكل تحليقى (تأصيل) (ieductively) كلما كان عدد المقارنات أكثر كلما تكون التحليقات (التأصيلات) أصح أو أدق وتكون النتائج — إذ كانت هناك معطيات كافية — أبنية جديدة صحيحة . نفس الشىء ينطبق على اللغات فى مجموعها . لا نستطيع أن نستنتج أو نحدس بشىء حول مقاطعة الباسك Basque لأنها منفصلة (معزولة) ، لايوجد شىء نقارنه بها . ولكن بمقارنة مجموعة من اللغات المتقاربة مثل اليونانية ، واللاتينية والسلافية القديمة الخ ، نجد أن الباحثين استطاعوا استخراج العناصر الأصلية المشتركة واعادة بناء أسس اللغة الهندو أوروبية الأصلية كما كانت قبل أن يحدث الاختلاف المكانى .

إن ما جرى لشكل المسألة فى دائرة واسعة قد أعيد فى دائرة أصغر — ودائما بنفس الاجراء — كل قسم من أقسامها كلما كانت هذه ضرورة لازمة وممكنة . اننا نعرف كثيرا من اللغات الألمانية مباشرة من خلال الوثائق ، ولكننا لانعرف

الألمانية الأصلية ـ مصدر أساس هذه اللغـــات المختلفة ـ إلا بطريقة غير مباشرة ، من خلال المنهج الاستعادى . لقد لاحظ اللغويون ـ باستعمالهم نفس المنهج مع تفاوت النجاح وتنوعه ـ الوحدة الأصلية للعائلات الأخرى (أنظر ص ١٩٢) .

إن المنهج الاستعادى لهذا يأخذنا بعيدا ناحية أقدم الوثائق فى متابعة تاريخ اللغة هكذا تمكنوا من رسم الخطوط العريضة المحتملة اللاتينية التى يبدأ تاريخها بشكل قوى قبل القرن الثالث أو الرابع قبل الميلاد ، لقد ظهرت تلميحات طفيفة بعد اعادة بناء الهندوأوروبية الأصلية حول ما يجب أن يكون قد حدث بين مرحلة الوحدة الأصلية ومرحلة معرفة أول وثائق لاتينية . مع أخذ اعادة البناء بعين الاعتبار ، فان علم اللغة التطورى يشبه علم الجيولوجيا ، علم تاريخى آخر ، ان علم الجيولوجيا عليه أن يصف فى بعض الأحيان الحالات الثابتة (على سبيل المثال الحالة الحاضرة لبحيرة جنيف باسين Gene va Basin) بدون مراعاة ما يمكن أن يكون قد حدث فى الزمن السابق ، ولكن اهتمامها الرئيسى سلسلة الحوادث والتحولات التى تشكل التاريخيات . انه يمكن تصور علم الجيولوجيا التوقعى . ولكن فى الحقيقة فان وجهة النظر لا تكون فى العادة إلا الاستعادية . قبل اعادة حساب ما حدث فى نقطة محددة على الأرض لا بد أن يعيد الجيولوجيون بناء سلسلة الأحداث ويحاولوا تعيين أو تحديد المسئول عن الحالة الحالية لذلك الجزء من الكرة الأرضية .

إن وجهتى النظر لا يتعارضان بقـــوة فى المنهج فقط ، كما ان استعمالهما فى التعليم معا فى نفس العرض والتوضيح يعد غير مفيد . ان دراسة التغيرات الصوتية على سبيل المثال ، تقدم صورتين مختلفتين بشكل كبير ، بالاعتماد على وجهة النظر هذه .

يجب أن نسأل عند استعمال وجهة نظر التوقعية أى (ē) فى الكلاسيكية اللاتينية هى التى تحولت إلى الفرنسية سوف نرى أن الصوت المفرد فى تطوره مع الزمن يتنوع ويسمح بظهور وحدات صوتية متعددة . قارن :

(Pied قدم) ventum → vā (Vent ريح) ، lěctum → li

(lit سرير) pědem → py ? něcare → nwaye Noyer يغرق) etc.

مقابل ذلك ، إذا استخدمنا وجهة النظر الاستعادية لمعرفة الصوت اللاتينى المقابل لصورة (e) الفرنسى المفتوح ، سوف نجد أن هذا الصوت المفرد هو النقطة الاصطلاحية لعدة وحدات صوتية (فونيمات) متميزة الأصل : قارن

ter (terre أرض) = těrram, Vers (verge عقربة) =

virgam fe (fait حقيقة) = factom, etc.

يمكن أن نوضح تصور العناصر التشكيلية بطريقتين ، وستكون الصورتان مختلفتين تماما ، كل شىء قيل حول التشكيلات القياسية (انظر ص١٦٩ ومابعدها) تعد دليلا أساسيا . هكذا فان (الاستعادية) البحث عن أصل لاحقة الادوات الفرنسية é — ، يعود بنا إلى اللاحقة اللاتينية ātum — ، ان اللاحقة اللاتينية مرتبطة اشتقاقيا بالأفعال اللاتينية المشتقة المنتهية بـ āre — التى ترجع أساسيا إلى الأسماء المؤنثة المنتهية بـ a — (قارن :

(Plan lāre : Planta, Greek tīmeō : Tīmā, etc)

وأكثر من ذلك فان اللاحقة atum — لم تكن لتوجد لو أن اللاحقة — to — فى الهندوأوروبية الأصلية لم تعش وتنشأ فى طريقها الصحيح (قارن :

Greek klu—tó—s, Latin in -clu — tu — s, Sanskrit çru—ta—s,

أخيرا ، فان اللاحقة atum — تتضمن العنصر التشكيلى m — من المفرد

المنصوب (انظر ص ١٥٤) . بالمقابل ، البحث (الوقفى) من التشكيلات الفرنسية التى لو جد فيها اللاحقة الأصلية — te — سوف تكشف انه لا توجد اللواحق المختلفة فقط — سواء أكانت منتجة أم لا — للماضى الوصفى لاسم الفاعل فى حالة الماضى Past participle ، :

(aimé محبوب = amatum, fin : منته = finitum, clos مغلق = clausum for claudtum, etc)

كما أن هناك أشياء كثيرة أخرى :

— u = — ūtum (cf. cornu القرن = cornutūm), – tif (لاحقة تعيمية) = Latin– tīvum (cf. fugitif = fugitivum, sinsitif, négatif, etc.)

وعدد من الكلمات ذات التحليل القصير مثل :

Point نقطة = Lotțu Punctum. De يموت = dalum, chetif يثق = captivum, etc.

الفصل الثاني

أقدم لغة والنموذج الأصلي

لم يفهم باحثون المقربون في المراحل المبكرة للهندوأوروبية الغرض الحقيقي من المقارنة ولا أهمية منهج ، اعادة البناء ، وتحديده (انظر ص ٢) .

وان ذلك يفسر أحد أخطائهم الكبرى : وهو الدور الكلي والمبالغ فيه الذي أعطوه للسنكريتية . لقد ارتقوا بالسنكريتية إلى مرتبة النموذج الأصلي لأنها كانت أقدم وثيقة وشاهد للهندوأوروبية الأصلية . ان تصور أن الهندوأوروبية الأصلية ولدت السنكريتية واليونانية والسلافية والكلتية والايطالية ، الخ . يعد شيئا واحلال احدى هذه اللغات على الهندوأوربية الأصلية يعد شيئا مختلفا كلية . ان الخطأ الجسيم الباحثين الاوائل كانت له نتائج بعيدة ومتنوعة أو مختلفة ان فرضيتهم لم تصنف كا وضحت ولكن فهمت ضمنيا في التطبيق .

لقد كتب Bopp انه لايعتقد أن السنكريتية يمكن أن تكون المصدر المشترك ، وكأن هناك امكانية لتشكيل – حتى مع الشك الصريح – افتراض ما (مثل هذا الافتراض) . ان هذا يدفع التساؤل حول معنى مقولة هنالك لغة أقدم من أخرى .

هناك ثلاثة تفسيرات نظرية ممكنة :

١) القدم يمكن أن ينسب إلى البداية ، نقطة البداية للغة . ولكن مع قليل من التفكير سيظهر أننا لانستطيع تحديد عمر أى لغة ، لأن كل لغة ما هى إلا استمرار لغة كانت متكلمة قبلها . ان ما ينطبق على الجنس البشرى لا ينطبق على الكلام ، ان الاستمرار المطلق لتطورها يمنعنا من تمييز الأجيال فيها . لقد كان جاستون بارى محقا فى نقده لمفهوم اخوة اللغات واللغات الأم منذ أن اعترضت هذه الافتراضات . ان القدم بهذا المعنى لا يدل على شيء .

٢) يمكن أن تدل كلمة « القدم » على أن احدى حالات اللغة التى ندرسها سابقة على الحالة الأخرى فى نفس اللغة . هكذا فان فارسية المخطوطات الأعجمية Achoemenian هى أقدم من فارسية الفردوسى . فى حالة خاصة مثل هذه ، عندما تتطور لغة بشكل غير محدد عن الأخرى وكلاهما متساويتان فى الشهرة علينا أن نعتقد أو نتعامل بالطبع مع اللغة السابقة . ولكن عند مواجهة الحالتين فان السبق الزمنى ليس له أهمية .

هكذا التوانية ، التى سجلت فقط منذ عام ١٥٤٠م ، لا تقل فى قيمتها عن السلافية القديمة التى سجلت فى القرن العاشر أو تقل عن سنسكرتية الفيـــدا « Rig veda » لذلك السبب .

٣) أخيراً ، فان كلمة « القدم » يمكن أن تحدد أقدم حالة لغوية ، أعنى ، أن تكون احداها ذات صيغ أشد ارتباطا بصيغ النموذج الأصلى ، منفصلة تماما عن أى مسألة تاريخية . بهذا المعنى فان لتوانية القرن السادس عشر أقدم من لاتينية القرن الثالث قبل الميلاد .

انه بالمعنى الثانى أو الثالث فقط تكون السنسكريتية أقدم من المغاير

الأخرى تلائم أو تتناسب التفريعين . إن المتفق عليه أن تراتيل الفيدا سابقة لأقدم النصوص اليونانية من جهة ، ومن جهة أخرى — وهذه لها أهمية خاصة — فإن السنسكريتية عدد من الملامح القديمة المهمة في المقارنة مع تلك التي تحتفظ بها اللغات الأخرى (انظر ص ١ وما بعدها) .

ولكن اللغويين الأوائل — لاختلاط مفهوم "عصر عليهم — جعلوا السنسكريتية على رأس كل العائلة لقد كانت النتيجة ان اللغويين المتأخرين — الذين شفوا من المفهوم ان السنسكريتية هي اللغة الأم — استمروا في اعطاء أهمية كبيرة للبرهنة على أنها تصلح لغة كبة أوملازمة ان أ. بيكتت A. Pictet في كتابه (أنظر ص ٢٠٤)

(Les Origines indo - européennes)

وهو يقرر بوضوح وجود الأمة البدائية مع لغتها الخاصة كان يلح على أننا يجب أن نرجع إلى السنسكريتية أولا وأن الدليل الذى تقدمه هذه اللغة أكثر قيمة مما تحويه كثير من اللغات الهندوأوروبية الأخرى . نفس هذا الوهم احتفظ لمدة سنوات بنتائج أو قضايا غامضة لها أهمية أولية مثل صوتيات اللغة الهندوأوروبية الأصلية .

لقد عاد الخطأ في دائرة أصغر وبالتفصيل . لقد اعتقد أولئك الذين درسوا فروعا معينة من الهندوأوروبية ، ان أقدم لغة معروفة كانت كاملة ، كانت ممثلة بشكل كاف (بصدق) لكل المجموعة ولم يحاولوا التعرف أو التعامل بشكل أفضل مع الحالة الاصلية . على سبيل المثال ، بدل أن يتكلموا عن الالمانية ، كانوا لا يترددون عن الاستشهاد بالقوطية و لوقوف عند هذا الحد ، لأن القوطية تسبق وجود اللهجات

الألمانية بعدة قرون ، لقد احتلت دور النموذج الأصل وأصبحت مصدراً للهجات الأخرى . عندما أخذوا يهتمون بالسلافية أقاموا بحثهم على اللغة السلافونية Slavonic أو السلافية القديمة التى كتبت ووثقت فى القرن العاشر لأن اللهجات السلافية الأخرى قد سجلت فى وقت متأخر . انه فى مناسبات نادرة جداً نجد جزئين من اللغة التى استقرت عن طريق الكتابة فى فترات متعاقبة يمثلان تماما نفس اللغة فى فترتين من تاريخها . كثيراً ما نجد أن احدى اللهجات ليست هى الوريث اللغوى للاخرى .

ان الاستثناءات تؤكد القاعدة .

إن أشهر استثناء هو اللغات الرومانية بالنظر إلى اللاتينية : عند ارجاع الفرنسية إلى اللاتينية فانه لابد من اتباع الطريق العمودى ، لقد تصادف تجاور اقليم اللغات الرومانية مع الاقليم الذى يتكلم أهله اللاتينية ، وكل لغة فى هذه الاقاليم ما هى إلا حالة متأخرة من حالات اللاتينية . والفارسية هى استثناء آخر من القاعدة ، ان فارسية مخطوطات « داريوس » هى نفس لهجة فارسية العصور الوسطى . ولكن التناقض ظهر بشكل غير عادى . ان الوثائق المكتوبة فى فترات مختلفة ترجع بشكل عام إلى لهجات مختلفة من نفس العائلة .

الألمانية على سبيل المثال ، تظهر على التوالى فى « قوطية أولفيلاس Gothic of ulfilas (وريثها غير معروف) — ثم فى نصوص الالمانية القديمة ، وأخيراً فى الانجلوسكسونية والنصوص النرويجية القديمة ، الخ . لا لهذه واحدة من هذه اللهجات أو مجموعات اللهجات استمراراً للتى سجلت أولا

ان الجدول الآتى ، الذى تمثل فيه الحروف اللهجات والخطوط المنقوطة تتابع التراث . يقدم أو يقترح النموذج المألوف :

..................A....	Period	1
........B...............	Period	2
...C.........D........	Period	3
...................E....	Period	4

إن هذا النموذج يعد مصدرا قيما لعلم اللغة . إذا كان التتابع عموديا فان أول لهجة معروفة « A » يجب أن تحتوى على كل شىء يمكن الاستدلال عليه بواسطة تحليل الحالات المتتابعة . ولكن بالبحث عن نقطة التقـــاء كل اللهجات فى النموذج لن الممكن أن تجد صيغة أقدم من (A, B, C, D, E, etc) « A » (اعنى نموذج أصل X) وهكذا الخلط « X » and « A » ..

الفصل الثالث

الأبنية الجديدة RECONSTRUCTIONS

١ — طبيعتها وهدفها :

ان الوسيلة الوحيدة لاعادة البناء أو لبناء جديد تكون بالمقارنة ، والهدف الوحيد للمقارنة هو اعادة البناء (البناء الجديد) .

ان اجراءنا (procedure) يبقى عقيما حتى نتصور علاقات الصيغ المتعددة من المنظور الزمني وتنجح في اعادة تأسيس الصيغة المفردة . لقد كررت التأكيد على هذه النقطة (انظر ص ٣ وما بعدها والصفحات ١٩٨ وما بعدها) . هكذا نستطيع تفسير الصيغة اللاتينية medius في مقابل الصيغة اليونانية mesos من غير الرجوع إلى الهندوأوروبية الأصلية ، وذلك بجعل الصيغة القديمة methyos مصدرا لكلا الصيغتين medius & mesos أو يمكن أن نقارن صيغتين من نفس اللغة أفضل من مقارنة كلمتين في لغات مختلفة :

ان الصيغتين اللاتينيتين : gero and gestus تعودان إلى الأصل « ges — » التي كانت حينا مشتركة بين الصيغتين . لقد ذكرنا في ما مضى ان المقارنات التي تتعامل مع التغيرات الصوتية يجب أن تعتمد بشكل كبير على الأبحاث الصرفية . عند اختيار الصيغ اللاتينية : Patior and Passus أجد نفس في مواجهة الصيغتين factus, dictus, etc لأن صيغة Passus هي

صياغة من نفس النوع . ٥ د تطبيق استنتاجى على العلاقات الصرفية بين :

facio and factus, dico and dictus

أستطيع أن أضع بالنسبة للمرحلة المبكرة ، نفس العلاقة بين :

Patior and pat - tus بشكل تبادلى، لابد أن ألقى الضوء على المقارنة الصوتية يمكن أن أقارن الصيغة اللاتينية meridrem مع الصيغة اليونانية hedio لأن الصيغة الأولى تعود صوتيا إلى الصيغتين : mlissem, melissm والصيغة الثانية إلى الصيغ : hadios, hadioss, hedioss

إن المقارنة اللغوية ليست عملية ميكانيكية بسيطة انها تتطلب جمـــع كل المعلومات أو المعطيات المتقاربة . ولكنها يجب أن تتحقق دائما فى الحدس الذى يمكن أن نعبر عنه بشكل ما ويهدف إلى إعادة تكوين شىء قد سبق ، انهـــا تتحقق دائما فى اعادة بناء الصيغ (تحديد الصيغ) . ولكن هل الهدف من تصور الماضى هو تحديد بناء كل الصيغ الأساسية للحالة السابقة ؟ أو هل اعادة البناء عامة بالمجرد ، اثباتات منفصلة حول أجزاء الكلمة (على سبيل المثال بالنسبة للملاحظة وهى أن صوت f اللاتينى فى الصيغة fumus يقابل صوت d فى الايطالية الأصلية ، أو أن العنصر اليونانى الأولى allo واللاتينى aliud بقيت تماما مثل صوت « o » فى الهندوأوروبية الأصلية ؟

إن تحديد اعادة بناء البنية يمكن أن يقصر نفسه على النوع الثانى فى البحث ، ان منهجه التحليلى ليس له من هدف آخر أكثر من هذه الملاحظات الجزئية . لانزال قادرين على استخراج استنتاجات عامة من مجموع الحقائق المعزولة أو المفردة . ان مجموع الحقائق المشابهة لما هو موجود فى صيغة fumus تسمح لنا بالقول مع التأكيد على أن صوت « b » ، كان له مكان فى النظام الصوتى

للايطالية الأصلية ، بالمشابه ، نستطيع القول أن تصريف الضمائر الهندوأوروبية الأصلية تحوى على نهاية مفردة حيادية d ـ ، تختلف عن النهاية m ـ للصفات نستنتج هذه الحقيقة الصرفية العامة من مجموع الملاحظات المفردة (قارن :

Latin istud, aliud against bonum, Greek to = tod, allo = allod against kalon, english that, etc)

نستطيع أن نذهب أبعد من ذلك ، انه من الممكن ، بعد أن اعدنا بناء الحقائق الخاصة أن نركب أو نؤلف ما يرتبط بكل الصيغة ونعيد بناء كل (على سبيل المثال ، صيغة alyod الهندوأوروبية الأصلية) بجداول تصريف الكلمات ، الخ ان التركيب يتألف من تجميع العبارات المفردة كلها مع بعض . على سبيل المثال ، عندما نقارن الأجزاء المختلفة للصيغة المعاد بناؤها مثل « alyod » فاننا نلاحظ الفرق الكبير بين « d ـــ » ، التي تظهر نقطة نحوية ، و ـــ a ، التي ليس لها أي دلالة نحوية . ان الصيغة المعاد بناؤها ليست جامدة كلية . انها مجموعة يمكن دائما تحليلها صوتيا . ان كل قسم من أقسامها يمكن الغاؤه واخضاعه لاختبار أبعد . لهذا السبب ، فان الصيغ المستردة تكون متأثرة تماما بالنتائج العامة المتلائمة معها . ان كلمة « حصان » في الهندوأوربية افترضت على التوالي كذلك :

ekvas, ek, vas, ek, voe وأخيرا ek, wos ، لم يبق بدوره تغيير إلى صوت « a » وعدد الوحدات الصوتية (الفونيمات) .

إن هدف تجديد البناء ليس اعادة الصيغة من أجلها ـــ ان هذا سيكون أقل ما يمكن قوله من السخف ـــ ولكن لنبلور ونكشف مجموعة من النتائج التي يبدو منطقياً ـــ تتبعها من النتائج الحاصلة عند كل لحظة ، باختصار ، ان هدفها

تسجيل التقدم لعلما . لا يوجد من يصرن اللغويين أو يحميهم من مواجهة التعليمات المنافية للعقل من التوجه لاسترجاع الهندو أوروبية الأصلية تماما كما كانوا يتمنون أن يستعملوها . لم تكن لديهم الموضوعية حتى فى دراستهم اللغات المسجلة تاريخيا (ان الباحث لايدرس اللاتينية لغويا من أجل أن يتكلمها جيدا) ؛ لم يكن هناك أدنى اقتناع بالنسبة لها فى حالة الكلمات الفردية من لغات ما قبل التاريخ .

إن إعادة البناء أو تجديده ، يخضع مع ذلك دائما للمراجعة ، يعد ضروريا التصور العام للغة المدروسة ولنوعها اللغوى . انه أداة أساسية للوصف والتصوير ، مع تبسيط نسبى للعدد الكبير من الحقائق العامة ، المنهجين الوصفى والتاريخى .

إن كل مجموعة الأبنية الجديدة توضح مباشرة الخطوط للهندوأوروبية الأصلية ، على سبيل المثال ، نعرف أن السوابق تتشكل من عناصر (t , S , r , etc) ، لاستبعاد الأخريات ، كما أن الاختلاف المعقد لصوتيات الأفعال الألمانية (قارن :

Werlen , Wirst , Word , Werle ; Worlen)

يجعل القواعد التى تحكم احدى التغيرات الأصلية المماثلة غامضة :

e — o - zero

النتيجة هى أن إعادة البناء يساعد بشكل كبير فى دراسة تاريخ المراحل المتأخرة ، لأنه بدون اعادة البناء سيكون صعبا جدا تفسير التغيرات التى ظهرت منذ مرحلة ما قبل التاريخ .

١ ـ الدلالة (الصحة) النسبية لمادة البناء وتجديده :

نحن متأكدون بشكل مطلق من بعض الصيغ المعاد بناؤهـــا (الجديدة) ، ولكن الصيغ الأخرى . بعضها موضع خلاف والأخرى مشكلة بلاشك .

لقد رأينا الآن أن صحة كل الصيغ تشهد على الصحة النسبية التى يمكن أن نعزوها إلى الاسترجاعات الجزئية (المنفصلة) التى تدخل فى التركيب . بناء على هذا فان الكلمتين لا يمكن أن تتماثلا أبدا . هنـاك اختلاف بين صيغ الهندوأوروبية الأصلية كما هو واضح مثل :

(esti " he is " and " di doti " he gives) .

لأن حرف العلة المكرر فى الصيغة الثانية يعطى مجالا للشك .

(قارن Sanskrit dadati and Greek didosi) .

هنـاك اتجاه عام لاعتبار الأبنية الجديدة أقل صحة مما هى عليه فى الواقع .

هناك ثلاث حقائق تقوى قناعتنا :

الحقيقة الاولى :

وهى ذات أهمية كبيرة ، قد ذكرت سابقا (انظر ص ٢٩ وما بعدها) . نستطيع أن نميز بوضوح أصوات كلمة معينة ، عددها وحدودها . كما رأينا (فى ص ٥٤) كيف يمكن أن نراعى أو نتعامل مع الاعتراضات التى نظر اليها بعض اللغويين من خلال الميكروسكوب الصوتى يمكن أن تظهر . هناك اصوات انتقالية أو مختلسة فى تتابع

مثل ـ ea ـ ، ولكن تمييزها بعد أمرا غير لغوى ، ان الاكثر العادية لا يمكن أن تميزها ــ والاكثر أهمية يتفق المتكلمون دائما على عدد العناصر فى مثل هذا التتابع ، نستطيع لهذا أن نقول أن الصيغة الهندوأوروبية الأصلية woe . ek لها خمس مميزات ، العناصر المختلفة التى تألفت القياء المتكلمين .

الحقيقة الثانية :

تتعامل مع نظام العناصر الصوتية لكل لغة . أن أى لغة تتعامل مع سلسلة كاملة محددة من الوحدات الصوتية (Phonemes) (أنظر ص ٢٤) . ان أقل العناصر شيوعا فى نظام الهندوأوروبية الأصلية يظهر فى أقل من اثنتى عشرة صيغة ــ والاكثر شيوعا فى ألف ــ كلها مسجلة من خلال البناء الجديد (اعادة البناء) . مع هذا فاننا متأكدون من معرفتها كلها :

أخيرا ، لن نعمل على رسم صورة دقيقة للأوصاف الايجابية للوحدات الصوتية من أجل معرفتها . يجب أن نعتبرها كيانات مختلفة موصوفة بتميزها (انظر ص ١١٩) .

يعد هذا أساسيا بحيث نستطيع تشكيل العناصر الصوتية للغة التى يراد اعادة بنائها بواسطة الأعداد أو بواسطة أى علامات مهما تكن . ليست هناك أى حاجة لتأكيد الصفة المطلقة بصوت « o » فى الصيغة $\overset{\vee}{w}o\overset{\vee}{e}$, $\overset{\vee}{e}k$ أو التحير فيما إذا كان صوت « $\overset{\vee}{e}$ » مفتوحا أو مغلقا بمجرد كيفية اتجاه نطقها السابق ، الخ . كل هذا لا يكون مهما حتى تتطابق أو تتماثل

الأنواع المتعددة لصوت « ŏ » ان أهم شيء هو أننا لم نخلطه بعنصر آخر أفرزته اللغة (ŏ ; Ŏ , ō , etc) . هذه طريقة أخرى للقول بأن الوحدة الصوتية الأولى (الأول) من الصيغة ek , woe لا تختلف عن الوحدة الصوتية الثانية في الصيغة medbyoe ولا عن الثالثة في age . الخ ، وهذا من غير تعيين طبيعتها الصوتية ، نستطيع أن نفهرسها ونعطيها رقما في قائمة الوحدات الصوتية الهندوأوروبية الأصلية .

إن صيغة البنية الجـــديدة woe ; ek تعنى لهذا السبب أن الصيغة الهندو أوروبية الأصلية المعادلة للصيغة اللاتينية equos والسنسكريتية a-sva-s . الخ ، قد تشكلت من خمس وحدات صوتية محددة مأخوذة من السلسلة الصوتية الكاملة للغة الاصليه .

من خلال التحديدات أو القيود الموضحة تماما ، فان الأبلية الجديدة تعمل على المحافظة على قيمتها الكاملة .

الفصل الرابع

مساهمة اللغة بالنسبة لعلم الانثروبولوجيا

وما قبل التاريخ

١ - اللغة والجنس (Race) :

الفضل والشكر للنهج الاستعادى لأن اللغوى يستطيع بواسطة الرجوع عبر القرون الماضية أن يعيد بناء اللغات التى كانت تتكلمها الأمم لمدة طويلة قبل أن يبدأ تاريخ كتابتها . ولكن ألا يمكن أن تقدم الأبنية الجديدة (إعادة الابنية) معلومات حول الأمم أنفسها — جنسها ، نسبها ، علاقاتها الاجتماعية ، عاداتها ، أعرافها وقرابينها الخ ؟

باختصار ، هل تستطيع اللغة تقديم بعض الاجابات عن الأسئلة التى تظهر فى دراسة علم الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الوصفية (ethnography) وما قبل التاريخ ؟ .

كثير من الناس يعتقدون ذلك ، ولكنى أعتقد أن هذا وهم كبير . دعنا نختبر بوضوح بعض أقسام المشكلة العامة .

أولا ، الجنس . سوف يكون من الخطأ الافتراض بأن اللغة المشتركة تقتضى وجود قرابة ، أى أن العائلة اللغوية تماثل العائلة الانثروبولوجية . إن الحقائق

ليست بهذه البساطة . يوجد هناك على سبيل المثال ، الجنس الألماني له صفات انثروبولوجية محددة : الشعر الأشقر ، الجمجمة المستطيلة ، طول القامة ، الخ . الاسكندنافي يعد النموذج الكامل لها . يبقى ان ليس ، جميع الناس الذين يتكلمون الألمانية ينطبق عليهم هذا الوصف ، وهكذا فان الالمان الذين يسكنون على سفوح جبال الألب يختلفون بشكل كبير عن الاسكندنافيين ، هل يمكننا أن نفترض على الأقل ، نوعا ما ، إن كل لغة تختص تماما بجنس واحد ، وإذا إستعملت اللغة أمم أخرى تنتمي إلى أجناس أخرى فهذا يعني انها فرضت عليهم عبر الغزو والاحتلال فقط ؟ لا شك في أن الأمم في الغالب تتبنى أو تجبر على الخضوع للغة الغالبين (على سبيل المثال ، الغاليون بعد الانتصار الروماني) ، ولكن هـــذا لايفسر كل شيء . على سبيل المثال ، حتى لو إستطاعوا إخضاع عدة شعوب مختلفة فان القبائل أو الجماعات الألمانية لا تستطيع إستيعاب كل هذه الشعوب ، علينا أن نتخيل فترة طويلة من الاحتلال قامت قبل بداية التاريخ وظروف وهمية أخرى . ليس هناك علاقة ضرورية بين القرابة والجماعة اللغوية ، ولا يمكن أن نستخرج نتائج من واحدة ونطبقها على الأخرى ، وبالتالي ، عندما لاتتفق أدلة اللغويين والانثروبولوجيين في العديد من الامثلة ، فليس من الضروري أن يكون نوعا الادلة متناقضين أو نفاضـــل بينهما ، فان كل نوع يحتفظ بقيمته الخاصة .

٣ ـ الوحدة العرقية : Etqnic vnity

ماذا نستطيع أن نتعلم من الدليل الذي تقدمه اللغة ؟

إن وحـــدة الجنس ــ قوة ثانوية ــ ليست ضرورية بأي شكل للجماعة اللغوية . ولكن هناك نوع آخر من الوحدة ــ النوع الوحيد الحاسم والأساسي

ـ له أهمية عظيمة غير محدودة والذي يشكل واسطة الرابطة الاجتماعية : الوحدة العرقية ethnisme) . أعني بهذا الوحدة القائمة على العلاقات المتعددة من دين وحضارة والدفاع المشترك الخ . التي تنشأ داخل الأمم ذات الأجناس المختلفة وفي غياب أي رابط سياسي .

لقد قامت بين الوحدة العرقية واللغة علاقة متبادلة ذكرت سابقا (أنظر ص ٢٠) . تتجه الرابطة الاجتماعية لانشاء جماعة لغوية ومن الممكن أن تفرض سمات محددة على اللغة المشتركة بالمقابل ، فان الجماعة اللغوية مسئولة إلى حد ما عن الوحدة العرقية . بشكل عام ، إن الوحدة العرقية تكفي دائما لتفسير الجماعة اللغوية . على سبيل المثال في بداية العصور الوسطى ربطت الوحدة العرقية الرومانية ـ في غياب أي رابط سياسي ـ أنما من مختلف الأقاليم . بشكل عكسي أو تبادلي ، لابد لنا من أن نستشير اللغة في مسألة الوحدة العرقية . إن المعلومات التي تقدمها لها الأسبقية على كل شيء آخر . هذا مثال واحد كان يعيش الاتروسكيون بجوار اللاتينيين في إيطاليا القديمة ، إذا حاولنا تحديد الأمور المشتركة بين الأمتين رغبة في ارجاعهما إلى نفس الأصل ، يمكن أن نستدعي كل شيء تخلوه (المعالم والآثار ، الشعائر الدينية ، الاعراف السياسية ، الخ) ويبقى مفتقراً إلى التأكيد الذي تقدمه اللغة مباشرة . إن أربعة أسطر من الاتروسكانية تكفي لبيان أن متكلمي هذه اللغة ينتمون إلى أمة متميزة عن المجموعة العرقية التي تتكلم اللاتينية .

هكذا فان اللغة ـ من خلال التحديدات الواضحة ـ وثيقة تاريخية . كون اللغات الهندوأوروبية تشكل عائلة ، على سبيل المثال ، هي دليل على الوحدة العرقية البدائية التي انتقلت بشكل مباشر أو غير مباشر عبر الانتساب الاجتماعي لكل أمة تتكلم إحدى اللغات الحالية .

٤ - علم الاحاثة[1] اللغوى : Linguistic - paleohtology

يمكن أن تسمح لنا الوحدة اللغوية بتأكيد الجماعة الاجتماعية ، ولكن هل تكشف اللغة طبيعة هذه الوحدة العرقية المشتركة ؟

ظلت اللغات تعتبر لمدة طويلة المعين الذى لا ينضب من الوثائق التى تتعلق بالامم التى تتكلمها وتاريخ ما قبل تاريخها .

إشتهر ادولف بيكت Adolphe Pictet ، رائد الكلتية « Celtism » ، بخاصة بواسطة كتابه : Les Origines indo - europeennes (1859 - 63) لقد كان فى كتابه نموذجا لكتب كثيرة أخرى ، ولا يزال أهمها جميعا .

لقد نظر بيكيت Pictet فى اللغات الهندوأوروبية عن معطيات ومعلومات يمكن أن تكشف عن السمات الرئيسية لحضارة الآرية واعتقد انه يستطيع بذلك تأكيد واثبات التفصيلات المختلفة الأشياء المادة (آلات ، أسلحة ، حيوانات داجنة) .

الحياة الاجتماعية (فيما اذا كانوا أمة بدوية أو زراعية) ، العائلة ، الحكومة ، الخ .

كان يبحث عن مهد الآريين ومكان نشأتهم الذى حدده فى باكتريانا Bactriana ، ودرس حيوانات ونباتات المنطقة التى عاشوا فيهـــا . انه أهم موضوع أو مشروع من نوعه . ان العلم الذى أوجده أو اكتشفه يدعى علم الاحاثة اللغوى « Linguistic poleontology » لقد قامت جهود أخرى

---

١ — علم يبحث فى أشكال الحياة فى العصور الجيولوجية الأولى كما تمثلها المتحجرات .

وسارت فى نفس الاتجاه . وأحـــد أحدث هذه البحوث هو كتاب die Ir dogermanen لهيرمان هيرت Hermann Hirt (١٩٠٥-١٩٠٧) .
لقد أقام بحثه على نظرية ج ـــ شميدت J. schmi dt (أنظر ص ٢٠٩) .
وحاول « هيرت » ان يبين مكان اقامة الهندوأوروبية . ولكنه لم يتجاهل علم الاحاثة الاثرى . لقد وضحت له الحقائق المعجمية ان الهندوأوروبيين كانوا مزارعين ، ورفض تحديد أن يكون جنوب روسيا مكان اقامتهم ، التى تتناسب والحياة البدوية (الرعوية) . ان كثرة ورود أو ظهور أسماء الأشجار ، وبخاصة من أنواع معينة (الننوب ، البتولا ، الزان أو المران والبلوط) . جعله يعتقد أن بلادهم حرجية شجرية ، وهذه المنطقة تقع بين جبال الهارز ، Harz ، والفيستولا « Vistula » ، وبالتخصيص فى اقليم براندبرج Brandenburg وبرلـــين « Berliu » . كما أننا لابد أن ننوه بأنه حتى مثل بكتيت Pictet ، استخدم ادلبرت كون A. Kuhu وغيره علم اللغة لاعادة بناء اساطير ودين الهندوأوروبيين ولكننا لانتوقع أن تقدم اللغة مثل هذه المعلومات للأسباب الآتيه :

الأول الشك فى الاشتقاق . لقد تأكد الباحثون مؤخراً من ندرة الكلمات ذات الاصل الصحيح وأصبحوا أكثر حذراً . وهذا نموذج من التهور الذى شاع انئذ . الكلمتان المعروفتان Servus and servare ، لقد ساوى الباحثون بين الكلمتين ـ ربما لم يكن لهم الحق فى مثل هذا العمل ـــ وباعطائهم الكلمة الاولى معنى « الحارس » وكان فى إستطاعتهم أن يستنتجوا ان كلمة العبد « Slave » قد استعملت أصلا فى معنى « يحرس to guard » ، ليس هذا كل شيء . إن معانى الكلمتين تطور إن معنى الكلمه يشعر عندنا انتشر الجماعة مكان اقامتها ، لقد اخطأ الباحثون فى الافتراض بأن غياب كلمة يدل على ان المجتمع البدائى لا يعرف شيئا

عن مسمى الكلمة أو ما تدل عليه وهكذا فان كلمة « حرث » غير موجودة فى اللغات الآسيوية . ولكن هذا لا يعنى أن الحرث لم يكن معروفا فى البداية .

يمكن أن تكون قد نبذت أو تصرفوا فيها بواسطة اجراءات أخرى معروفة باسماء مختلفة . إن امكانية اقتراض الكلمات يعد سببا ثالثا للشك . إن الموضوع الذى استعير يمكن ان يأتى بأسمه معه . على سبيل المثال « القنبه الهندى (الحشيش)، hemp دخل إلى منطقة البحر المتوسط فى مرحلة متأخره جداً وبعدها إلى المناطق الشمالية كان يأتى اسم الحشيش hemp فى كل وقت مصاحبا لقدوم النبات . ان غياب المعلومات اللغوية الممتازة أو الخاصة فى كثير من الامثلة لا يسمح لنا من التأكد فيما إذا كان وجود الكلمة فى لغات متعددة يعود إلى الاقتراض أو هو دليل على التقاليد الاصلية المشتركة . إن التحديدات السابقة لا تعوق أو تمنع تمييزنا أو معرفتنا — من غير تردد — لبعض السمات العامة وحتى بعض المعلومات الدقيقة على سبيل المثال . المصطلحات المشتركة الدالة على القرابة تعد وافرة وكثيرة وقد انتقلت بشكل واضح جداً إنها تسمح لنا بالقول من خلال اللغات الهندوأوروبية ان العائله كانت مؤسسة معقدة ومستقرة ، لأن لديهم تمييز بطرق لطيفة لا نستطيعها لغتنا اليوم . إن كلمة « einateres » كانت تعنى عند هوميروس (أخت الزوج أوالزوجة) مع الاشارة إلى زوجات مختلف الاخوة ، وكلمة « galooi » تبين علاقة القرابة بين الزوجة وأخت الزوج . والكلمة اللاتينية « Janitrices » تتطابق مع كلمة « einateres » فى الصيغه والمعنى . بالمشابه « أخو الزوج أو الزوجه » (زوج الاخت « لا يسمى بنفس الكلمة مثل أخو الزوج أو الزوجة) » مع ملاحظة علاقة القرابه بين أزواج الاخوات المتعددات » .

هنا نستطيع أن نبين تفصيلا بسيطا ، ولكن يجب أن نقتنع بالمعلومات

العامه . نفس الشيء ينطبق على الحيوانات . بالنسبه الأنواع الهامه مثل « الثور » نستطيع الاعتماد على الكلمات الموافقه من اليونانية Loue ، والالمانيه Bovine ، والسنسكريتية gou-s الخ . ونعيد بناء الكلمة الهندوأوروبية g ou-s kuh بجانب هذا فان تصريف الكلمة له نفس السمات في كل لغه ، وهذا يكون مستحيلا لو إن الكلمة مقترضة (دخيلة) من لغه أخرى وفي فترة متأخرة .

يمكننا هنا أن نأخذ في الاعتبار (نراعى) حقيقه صرفيه أخرى لها ميزة أو صفه مزدوجه ان تكون محصورة في منطقة محددة ولها تأثير على نقطة من النظام الاجتماعي .

بالرغم من كل شيء خيل حول علاقة الكلمتين dominus and domus ، فانه يبدو ان اللغويين غير مقتنعين تماما ، لأن إستعمال اللاحقه — no — في صياغة المشتقات الثانوية أمر غير عادي . لا توجد هناك صيغ مثل :

Oiko - no - s or oike - no - s from oikos in Greek or aç va-na from açva in Sanskrit.

ولكن هذه الندرة تعطي لاحقه الكلمة dominus قيمتها وشهرتها .

العديد من الكلمات الالمانيه — كما أعتقد — واضحة تماما :

١) Gothic biudans, old saxon thiodan, « رأس الملك »

beuos-na-z (beuoo, Gothic biuda = Ocean . to nto . « شعب »)

٢) (من هذا الاسم المسيحي للسيد المسيح « الله » « قائد الجيش » تغير جزئي drux-ti-na-z) النرويجية القديمة Oldnorse e.g. drux-ti-na-z

Drettinn, Anglo-Saxon Dryhten both with final - ina-z

Kindi-na-zhead of the kindi-z = Latin gens, with respect (٢

to the head of a teuoo, the Germanic word Kindins

(completely Lost else where)

يستعملها شعب الاو لفيلاس ulfilas إسما للحاكم الرومانى — على طريقته الالمانيه فى التفكير — لان مثل الامبراطور هو رئيس المجموعة بالنظر إلى كلمة biupans ، مهما يكن فان أهمية التجمع يمكن أن تكون من وجهة النظر التاريخيه ، لايوجد أدنى شك فى أن كلمة Kindins — التى لا يمثلها أى شىء رومانى — تتضمن إنقسام السكان الالمان إلى Kindi-z . هكذا يكون معنى اللاحقه الثانوية – na – عندما تضاف إلى أى جذر فى الالمانيه الاصيلة — رئيس مجموعة معينه . إنما يبقى الآن من ملاحظة أن الكلمة اللاتينية ' tri bunus ' تعنى حرفياً بنفس الطريقه (رئيس القبيلة) لان كلمة biudans تعنى رئيس الشعب (biuda) ، وأخيراً ، ان dominus تعنى رئيس (domu) التقسيم الثانى لـ touta = biuda . إن كلمة Dominus ، مع لاحقتها الفريدة تبدو لى وكأنها تقدم الدليل الاكيد ليس للمجموعة اللغوية فقط ولكن أيضاً لمجموعة الأعراف والمعايير داخل المجموعات العرقية الايطالية والالمانيه . مرة أخرى ، فانه لاقيمه للمقارنات بين اللغات التى لاتقيم مثل هذه الادلة أو العلامات المميزة .

٤ – النوع اللغوى والتفكير للجموعة اللغوية .

هل تعمل اللغة — حتى لو فشلت فى تقديم المعلومات الحقيقية والدقيقة حول المؤسسات الكلاميه — على وصف تفكير المجموعة الاجتماعيه التى تتكلمها على الاقل ؟

إن المفهوم العام اللغة إنها تعكس نفسية الأمة ولكن هناك إعتراض وجيه يناقض وجهة النظر هذه إن الاسباب النفسية لا تخضع بالضرورة للاجراءات اللغوية. إن اللغات السامية تصون علاقة تحديد الاسمية بالاسم عن طريق التجاور البسيط (قارن ، كلمة الله French la Parde de Dieu ، والتأكيد ، فان الاسم المؤكد (المعين) له صيغة خاصة تسمى « حالة البناء » تسبق الصيغة المحددة . خذ مثلا الكلمة العبرية (لكلمة) dabar و (الله) elōhīm نجد أن dabar elōhīm تعني كلمة الله) هل هذا يخول لنا القول بأن مثل هذا النموذج التركيبي يكشف شيئا عن التفكير السامي ؟ سوف يكون مثل هذا الحكم مشهوراً، لأن الفرنسية القديمة كانت تستعمل بانتظام أبنية مماثلة : قارن : (قة رولاند) Le cor Roland etc (أبناء ايمن الاربعة) Les quatre fils Aymon لقد ظهر الاجراء الآن في اللغة الرومانية — من خلال المصادفة التامه — صرفيا تماما مثلما هو صوتي : لقد فرض الاختصار الشديد لحالات البناء أو الشكل الحديد على اللغه . انه من المحتمل تماما أن تكون المصادف المماثلة سيرت السامية الاصلية على نفس الطريق . هكذا فان الحقيقة التركيبية التي تعد واحدة من السمات الثابته الواضحة للغة السامية لا تقدم مفتاحا دقيقا لحل لغز التفكير السامي .

مثال آخر ، لا يوجد في الهندوأوروبية مركبات لها عنصر فعلي في بداية الكلمة . إن وجود مثل هذه المركبات في الالمانية (قارن : Bethaus, Spring brunnen, etc. لا يدل أن الألمان في لحظة معينة عدلوا طريقة التفكير التي ورثوها عن أسلافهم . لقد لاحظنا (في ص ١٩٥) أن التجديد يعود إلى المصادفة التي لا تعد ماديه فقط ولكن سلبيه أيضا، حذف صوت « e » في الكلمة betahus . كل شيء يحدث خارج العقل (الفكر) في مجال التغيرات الصوتيه ، الذي يفرض رباطا كليا على الفكر ويتحكم فيها بالطريقة الخاصة التي

تنتمي لها الحالة المادية للعلاقات . إن الملاحظات العديدة المماثلة تؤكد هذه النتيجة.

إن الميزة لتفسيه المجموعة غير مفيدة بالمقارنة مع حذف حرف العلة ، تغير النبر ، أو أى أشياء مشابهة يمكنها عند أى لحظة أن تحدث تغيرا أساسيا فى العلاقة بين العلامه والفكرة فى أى لغة مهما كانت .

إنه من المفيد دائما أن نحدد الميزة النحوية للغات (سواء وثقت تاريخيا أو أعيد بناؤها) ونصنف اللغات تبعا للاجراءات التى تستخدمها فى تصوير الفكرة. ولكن بعدما أصبحنا ملمين بأبنية اللغات وتصنيفها ، فاننا لا نستطيع وضع النتائج الدقيقة خارج نطاق علم اللغة الخاص :

الفصل الخامس

العائلات اللغوية والأنواع اللغوية

لقد عرفنا قبل ذلك أن اللغة غير محكومة أو مراقبة مباشرة من عقول المتكلمين . دعنى أؤكد فى النهاية — احدى نتائج هذا الأساس : ان عائلة اللغات لاتنتمى باستمرار إلى نوع لغوى معين . إن السؤال عن النوع الذى تنتمى اليه مجموعة من اللغات يعنى أن ننسى أن اللغات تتطور ، ان المعنى الضمنى يوجد فى عنصر الثبات فى التطور .

كيف يمكن فرض التحديدات على نشاط لا يملك شيئا ؟

إن كثيرا من الناس يكون - طبعا — سمات اللغة الأصلية فى عقولهم عندما يتكلمون عن مميزات العائلة ، ومشكلاتهم لا يمكن حلها أو تفسيرها إلا عند تناول لغة واحدة وفترة واحدة .

ولكن عندما نفترض أن هناك سمات ثابتة لا يمكن أن يغيرها الزمان أو المكان بأى حال فاننا نصطدم رأسا مع الأسس الرئيسية لعلم اللغة التطورى . لا تملك أى صفة حق الوجود الدائم ولكنها تبقى من خلال المصادفة المحضة .

خذ عائلة اللغات الهندوأوروبية . أننا نعرف السمات المميزة للغة عن طريق اللغة التي اشتقت منها . إن النظام الصوتى للهندوأوروبيه الاصلية بسيط

جداً . لا توجد فيها مجموعة معقدة من الصوامت أو صوامت ثنائية ونظامها الرتيب المماثل يظهر تفاعل التعاقبات أو التناوبات النحوية العميقة والاضطراد الدقيق (انظر ص ١٥٧ و ص ٢٢٠) ، ان النبر التنغيمى يمكن وضعه على أى مقطع من الكلمة ولهذا يكون له دوره فى تفاعل التناقضات النحوية ، ان الايقاع الكمى قائم فقط على التناقض بين المقاطع القصيرة والطويلة ، تتشكل المركبات والمشتقات بسهولة ، ان التصرفات الاسمية والفعلية متعددة ، والكلمة المتصرفة بحدودها المتميزة مستقلة فى داخل الجملة تعطى حرية كبيرة للبناء وتحدد بشكل كبير عدد الكلمات النحوية ذات القيمة المتصلة أو المحددة (سوابق الافعال ، حروف الجر ، الخ) .

لقد أصبح واضحا أنه لم يبق شىء من السمات السابقة على شكلها الأصلى فى اللغات الهندو أوروبية المختلفة وان عديدا منها (على سبيل المثال ، دور الايقاع الكمى والنبر التنغيمى) لم يظهر فى أى عضو من أعضاء المجموعة الهندو أوروبية . لقد غيرت بعض اللغات ملامح الهندو أوروبية إلى الحد الذى أصبحت تمثل فيه نوعا لغويا مختلفا (على سبيل المثال ، الانجليزية الأرمنية ، الايرلندية ، الخ) .

انه من الأفضل والأنسب التكلم عن بعض التحولات التى أثرت فى اللغات المختلفة التى تنتمى لنفس العائلة .

على سبيل المثال ، يعد تتابع الضعف فى آلية التصريف ، صفة مميزة للغات الهندوأوروبية كما أنها تؤدى إلى الاختلافات الشديدة . لقد أعدت اللغة السلافية مقاومة قوية بينما اختصرت الانجليزية التصريف إلى الصفر . ولتصوير ذلك ، فان نظام الكلمة الثابت تطور هو الآخر ،

كما اتجهت عملية تحليل العبارة اتحل محل عملية التركيب ، حروف الجر تحقق حالة الفيم (أنظر ص ١٨٠) ، كما حلت الأفعال المساعدة محل الصيغ الفعلية المركبة ، الخ .

لقد عرفنا انه يمكن أن لا تظهر احدى سمات النوع الأصل فى اللغات المشتقة منه . والعكس صحيح تماما . ان عدم وجود السمات المشتركة للغات التى تمثل العائلة الفرعية فى اللغة الأصلية لا يعد أمرا غريبا أو غير عادى . وهذا ينطبق على الايقاع الصوتى (على سبيل المثال ، نوع ما من التشابه بين جرس الصائت اللاحق والصائت الأخير للجذر أو الأصل) توجد هذه السمة البارزة فى اللغات الألتية ــ الاورالية (مجموعة كبيرة من اللغات المتكلمة فى أوروبا وآسيا وتمتد من فلندا حتى منشوريا) ويحتمل انها تعود إلى تطورات متأخرة .

لهذا يعد الايقاع الصوتى سمة مشتركة ولكنه ليس أصليا ، ونتيجة لذلك فاننا لا نستطيع الاعتماد عليه لاثبات الأصل المشترك (مختلف فيه بشكل كبير) لهذه اللغات . كما أننا نعرف أنها لم تكن أحادية المقطع باستمرار . ان أول ما يواجهنا عندما نقارن اللغات السامية مع نوعها الأصلى الاستعــــادى (المعاد بناؤه) recoustructed بقاء بعض السمات . ان اللغات السامية أكثر من أى عائلة ــ تشكل نوعا ثابتا ومستمرا ــ ذات سمات متوارثة فى كل لغة . السمات الآتية التى يتناقض كثير منها مع سمات الهندوأوروبية تجعل السامية الأصلية لغة مستقلة المركبات غير موجودة عمليا . ليس للاشتقاق إلا دور بسيط . النظام التصريفى ضعيف التطور (فهو أفضل فى السامية الاصلية منه فى اللغات المتولدة منها) نتيجة للقواعد الصارمة التى تحكم نظام

الكلمة ان أهم سمة بارزة يجب أن تحصل مع بنية الجذر (أنظر ص ١٨٧) . انها تشتمل باتظام (باطراد) على ثلاثة صوامت (على سبيل المثال : قتل q-t-l) تكون موجودة فى كل الصيغ داخل اللغة المعينة (قارن "صيغ العبرية qatal, qatle, qtol, qitli, etc.) ولا تختلف من لغة لأخرى (قارن العربية : قتل ، قتيل ، الخ) (١) .

وبصورة أخرى ، فان الصوامت تحقق المعنى الأساسى أو القيمة المعجمية الكلمات بينما الصوائت (حروف العلة) ـ بمساعدة سوابق أو لواحق معينة بالطبع ـ تماك الدور الكلى فى الدلالة على القيمة النحوية عبر تفاعل تناوباتها أو تعاقباتها (على سبيل المثال : الصيغ العبرية مع اللاحقة « u » قتلوا qtal-u و « يقتل » qtol و « قتل » qatal etc.) مع لاحقة وسابقة « سيقتلون » ji-qtl u ومع السابقة ji « سيقتل » ji-qtol دفى مقابل الحقائق السابقة ـ وبالرغم من المقولات التى أظهرتها ـ فانه يجب علينا أن نحافظ على الأساس الذى وضعناه . لا توجد صفات أو مميزات ثابتة . ان الثبات ينتج عن طريق المصادفة المحضة ، ان كل ميزة أو صفة تبقى مع الزمن يمكن أن تختفى أيضا مع الزمن . ولكن لنعودْ إلى اللغة السامية . نجد أن قانون الأصل الثلاثى ليس ميزة حقيقية العائلة السامية منذ ظهور ظاهرة القياس فى العائلات الأخرى . كما أن القوانين الصارمة فى الهندوأوروبية تحكم بنية صوامت الجذور . على سبيل المثال فان صوتين من مجموع هذه الأصوات (n , m , i , r , u , l) لا يتبع

---

(١) قارن الصيغ العربية : قتل ، يقتل ، قاتل ، مقتول ، مقاتل ، قتال ، قتال ، قتيل ، استقتال ، تقاتل ، الخ .

صوت الـ « e » ، ووجود جـــذر مثل « Selr » مستحيل . أن دور وظيفة الصوائت السامية أكثر وضوحا . ان الهندوأوروبية تملك صرامة مماثلة ولـكن بمجموع الصوائت أقل غنى ، الصيغ المتقابلة مثل الصيغ العبرية : etc « كلماتهم « dabar « كلمة » dbar - im « كلمات » dibre - hem لنذكر بالصيغ الالمانية Gast : Gäste, fliessen : floss .

إن أصل الاجراء النحوى فى كلا المثالين واحد . مجرد تعديلات صوتية — تعود إلى التطور العشوائى — تظهر فى التناوبات . يسيطر العقل على التناوبات ويعطى قيما نحوية لها وينشرها مستعملا النماذج القياسية التى قدمتها التطورات الصوتية العفوية . ان استمرار وثبات الأصل الثلاثى فى اللغات السامية ما هو إلا قاعدة عامة ليست جامعة مانعة .

لقد تأكدنا من ذلك مقدما ، ولـكن تصورنا مرتبط بالحقائق . نجد أن جذر الكلمة العبرية « رجال im -anas » يتضمن الصوامت الثلاثة المحتملة ولكن مفردها « is » لا يوجد فيه إلا صامتان لأن هذه الصيغة مختصرة من الصيغة القديمة التى تشتمل على ثلاثة صوامت حتى لو وافقنا على أن الجذور السامية ثابتة إلى حد ما فان هذا لا يعنى انها تملك صفة وراثية انها تعنى ببساطة أن اللغات السامية تعانى من قلة التغيرات الصوتية أكثر من كثير غيرها وان الصوامت قد حوفظ عليها بشكل أفضل فى هذه المجموعة عن أى مجموعة غيرها . نحن معنيون بشىء تطورى وصوتى لا بشىء نحوى أو ثابت . ان الاعلان عن ثبات الجذر هو القول بأنها لم تخضع للتغير الصوتى ، ليس أكــثر ، ولا نستطيع التأكيد على أن التغيرات لن تحدث أبدا . كلام عام ، ان كل ما يفعله الزمن يستطيع الزمن نفسه أن يفسده أو يغيره . لقد أصبح مؤكدا لدينا الآن أن

لشليخر Schleicher كان مخطئا عندما نظر إلى اللغات على انها شيء عضوى له قانونه التطورى ولكننا نواصل — من غير تشكيك بها — محاولة جعل اللغة عضوية بطريقة أخرى وهى افتراض ان عبقريا الجنس أو المجموعة العرقية تميل للاتجاه باللغة باستمرار إلى طرق ثابتة محددة .

من القارات التى قمنا بها داخل حدود علمنا بقى درس واحد خارج الحدود انها سلبية كلية ، ولكنها الاكثر أهمية لأنها تتفق مع الفكرة الرئيسية للبحث .

إن الموضوع الوحيد والصحيح لعلم اللغة هو دراسة اللغة فى ذاتها ومن أجلها « أجل ذاتها » .

المحتـــويات

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثانى :

القسم الاول

أســـس عامـــة

الفصل الاول :

الفصل الثانى :

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

القسم الثالث

علم اللغة التاريخي

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



المطبعة العصرية

٥ شارع كافور ـــ الحضرة القبلية اسكندرية

